



مكتبة الإسكندرية

المشروع القومي للترجمة

تحرير: روى ماكلويد

ترجمة: مصطفى البهنساوى

تقديم: إسماعيل سراج الدين

634

المشروع القومى للترجمة

مكتبة الإسكندرية

تحرير : روى ماكلويد

تقديم : إسماعيل سراج الدين

ترجمة : مصطفى البهنساوى



٢٠٠٣

المشروع القومى للترجمة
إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٦٣٤
- مكتبة الإسكندرية
- روى ماكلويد
- إسماعيل سراج الدين
- مصطفى البهنساوى
- الطبعة الأولى : ٢٠٠٣

The Library of Alexandria

Centre of Learning in the ancient world

Edited by : Roy Macleod

With a Foreword by : Ismail Serageldin

"Published by arrangement with I.B Tauris & Co Ltd, London The original English edition of this book is entitled The Library of Alexandria : Centre of Learning in the Ancient world and publlished by I.B. Tauris & Co. Ltd."

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo
Tel. : 7352396 **Fax :** 7358084.

تهدف إصدارات المشروع القومى للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة .

المحتويات

تقديم

كانت مكتبة الإسكندرية القديمة واحدة من كبرى المغامرات الثقافية فى التاريخ. اختفت منذ أكثر من ١٦٠٠ عام، لكنها تظل حتى يومنا هذا جزءًا من تاريخنا الجمعى، ومادة للأساطير والحكايات، وإلهامًا للساعين للمعرفة، والعقلانية، والانفتاح على الآخر.

بالنسبة للكثيرين، ترى على أنها المكتبة التى جمعت كل النصوص المعروفة فى العالم فى عصرها، ثم أحرقتها النيران فى حادث مأساوى، ويا لها من خسارة لا تقدر بثمن للإنسانية. هذا الكتاب يصحح الانطباع لدى الكثيرين عن المكتبة، عن طريق إظهار أنها لم تكن مجرد مستودع للكتب واختفت على أثر حريق كبير واحد، لكنها كانت ضحية تدهور بطىء عبر القرون. كانت المكتبة قبل كل شىء مجتمعًا من الدارسين، وكانت أفضل من مكتبات مصر واليونان الأخرى من حيث وجود رؤية متعددة الثقافات والحضارات والرغبة فى الوصول إلى المعرفة الكونية الكبرى. مثل هذه المهمة كانت ممكنة بسبب التغيرات الهائلة التى جلبتها إمبراطورية الإسكندر الأكبر، وعن طريق الالتزام اللامسبوق للبطالمة الأوائل بدعم أحلامهم بالتمويل المالى الضخم للمكتبة. فى هذا السياق، أنتج مجتمع الدارسين بها ميراثا ضخمًا من الإنجازات العلمية والأدبية التى تستمر فى إبهارنا يوما بعد يوم.

اليوم ، نحن بصدد إنشاء مكتبة جديدة فى الإسكندرية، تنهض المكتبة القديمة من التراب كالعنقاء من الموقع القديم نفسه لها. نحن بحاجة لاسترجاع روح المكتبة القديمة بأساليب تتفق مع القرن الحادى والعشرين. نحن لا نحاول تجميع كل كتب العالم، فهى مهمة أكبر من قدرة أية مكتبة، وحتى مكتبة الكونجرس العملاقة لم تنجح فى ذلك بالرغم من إمكانياتها الهائلة. بل نحن نحاول أن نكون صادقين مع روح التاريخ ونشيد مكانًا لالتقاء حضارات العالم؛ بحثا عن العقلانية، والتحضر، والحوار ، ومحاولة للفهم والسعى وراء المعرفة.

وهكذا، تنهض مكتبة الإسكندرية على شاطئ البحر المتوسط بتصميم معاصر جميل، يتسع لكمية كتب بين ٤ و ٨ ملايين كتاب، ومركز مؤتمرات يتسع لثلاثة آلاف شخص، ومرصد، وثلاثة متاحف، والعديد من المعارض الفنية، وعدد من المعاهد البحثية، إنه مجمع علمى نهديه لروح المكتبة القديمة. ولسوف تكون بمثابة نافذة على مصر، وفى الوقت نفسه نافذة مصر على العالم. ويجب أن تكون مؤسسة حديثة قادرة على التغلب على تحديات العصر الرقمى، وفوق كل شىء مركز نابض بالحياة للجدال الفكرى، وملتقى للحوار لكل الشعوب وكل الحضارات فى العالم.

لذلك فمن المناسب أن يصدر هذا الكتاب مع افتتاح المكتبة. فهو ذو أهمية خاصة فى تذكيرنا بالإنجازات القديمة، وفيه أمثلة على أهم الاتجاهات العلمية فى ذلك الحين. هو يخترق الأسطورة ويقيم الموضع تقييما عادلا، وهو فى النهاية خاص بالمكتبة التى ألهمت العلماء والفلاسفة والأدباء فى كل مكان.

نحن ندين بالكثير للمساهمين فى هذاالكتاب، وبصفة خاصة للأستاذ ماكلويد الذى جمع مجهودات المشاركين وجهز الكتاب للنشر ، ثم توج المجهودات بمقدمة رائعة، يعرض فيها بأسلوبه الجزل الجذاب، ومعرفته العميقة الواسعة، للكتاب ومحتوياته.

ولكل المشاركين فى افتتاح مكتبة الإسكندرية أقول إنها دعوة للتفوق أن نستحق عن جدارة اسم المكتبة القديمة. نحن نؤمن بأن المحافظة على نقاء روح التقصى والبحث العلمى السليم، والانفتاح على الآخر، سوف تكون المسار الصحيح إلى إعادة اكتشاف ميراث المؤسسة القديمة، وإعادة اكتشاف جوهر إنسانيتنا، فى عالم يبدو فى بعض الأحيان كأنه يغلى بالغضب والخوف والرهبة من الآخرين. ومع انطلاقنا فى هذه الرحلة المدهشة، لا يسعنى سوى ذكر أبيات تى . إس . إليوت :

سوف لا نتوقف عن البحث والاستكشاف

ولن نقف عند حد فى رحلتنا

إلا عندما نصل إلى النقطة التى بدأنا منها

ونعرف المكان للمرة الأولى.

تمهيد

روى ماكلويد

عندما احتل يوليوس قيصر الإسكندرية عام ٤٧ ق.م. كانت المكتبة القديمة التى تحمل اسم الإسكندر الأكبر فى حالة دمار؛ حيث التهمت الحرائق -التى اشتعلت على طول الميناء ودمرت أسطول بطلميوس- آلاف المخطوطات التى جمعت ونظمت من قِبل تسعة أجيال من العلماء والفلاسفة المقيمين .

وحدث دمار مرة أخرى سنة ٤٥٠م قضى على ما لا يقدر بثمن من التراث اليونانى، والعبرى، ومن المحتمل أنه قد قضى أيضا على أدب بلاد ما بين النهرين، ومعظم ما كان معروفا فى ذلك الوقت فى مصر القديمة. وتلاشت بذلك المكتبة الوحيدة، بل أكثر المكتبات والمتاحف شهرة وحتى صرح من صروح الحضارة الهيلينية، والتى صارت فى عداد الأساطير.

وعلى الرغم من هذه الخسارة، أو بالأحرى بسببها، فإن المكتبة القديمة لم تفقد سطوتها على الخيال الأوروبى، ومؤخرا بدأت فى جذب اهتمام المؤرخين المتزايد وطلاب العلم والأدب.

والآن يعيد العلماء - الذين اعتبروا تراثها منذ سنوات أمرا مفروغا منه - فحص تاريخها الذى يمكن أن يعرفنا بالطرق الكلاسيكية لدراسة الأدب والعلوم، وتبادل الأفكار عبر الحدود الثقافية. اليوم هذا الاهتمام بالماضى يتم تشجيعه برؤية مستقبلية لمكتبة الإسكندرية: مكتبة، ومركز مؤتمرات حديث جدا، تم تطويره تحت رعاية منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو)، وكذلك الحكومة المصرية، وقامت على ساحل الإسكندرية قرب المكان الذى كان يعتقد أنه موقع البناء القديم، هذا المشروع الدولى مكرس لتقدم المعرفة، وسوف يجذب العلماء من العديد من البلدان، وسوف تحتفل بعالمية مدينة الإسكندرية وثقافتها، والتقاليد الدولية، والنقد البناء والأبحاث المهمة، وحرية البحث العلمى، التى كانت عبر أزمنة عديدة من سمات المكتبة

القديمة. ولمساعدة المشروع الجديد ولتوسيع نطاق مكتسباته، فقد تأسست جماعات لأصدقاء مكتبة الإسكندرية فى جميع أنحاء العالم.

ففى سيدنى، أخذ أصدقاء المكتبة الأسترالية على عاتقهم تنفيذ سلسلة من البرامج والأنشطة الموسيقية والفنية والأدبية، ومساهمة فى هذا النشاط وتقديرا لتراث المكتبة اغتنم مجموعة من المؤرخين وعلماء الآثار وعلماء تاريخ الأدب القديم متخصصى تاريخ العصور الوسطى الأستراليين فرصة المشاركة فى مجهودات لإبراز أهمية المكتبة، وهذا الكتاب إحدى ثمارها .

يبدو ملائما بصفة خاصة أن علماء واحدة من الأمم الناشئة حديثا فى العالم الأكاديمى يشاركون فى تجديد هذا المركز المعرفى العريق. وبهذا فنحن نحتفل بمساهمة الإسكندرية فى الثقافة الجمعية للأمم الأوروبية، وكذلك التبادل الدولى للأفكار حول العالم. وأتوجه بالشكر إلى السيدة جيل بارنز لمساعدتها الهائلة فى تحرير هذا الكتاب، وكذلك المؤلفين الذين جعلوا تأليفه مغامرة شيقة، وأخيرا فإنه من دواعى سرورى أن أثنى على عمل "لورينزو مونتيسينى"، وكذلك على أصدقاء مكتبة الإسكندرية الأستراليين، لجهوداتهم وإخلاصهم أهدى هذا الكتاب.

ملعومات عن المساهمين فى الكتاب

روبرت بارنز: محاضر التاريخ الكلاسيكي فى جامعة أستراليا القومية، مهتم بالفلسفة والديانات القديمة، وبعلم تصنيف المكتبات وتاريخها . وبلغ اهتمامه حد إثارة اهتمام الرأى العام بمكتبة أستراليا القومية وسياسات جمع الكتب بها.

ويندى برازيل: حصلت على درجة البكالريوس من جامعة سيدنى، والماجستير فى الآثار الأدبية واللغويات من جامعة أستراليا القومية، ودرجة الـ MEd من جامعة كانبرا. عملت باحثة فى البرلمان، وعملت أمينة لمكتبة أستراليا القومية، ومدرسة بجامعة كانبرا، ومراجعة مسرح، وحصلت على زمالة جامعة أستراليا القومية. كذلك تقوم بتعليم اللاتينية واليونانية فى المدارس الثانوية وفى مركز التعليم المستدام. وهى مؤلفة لمقالات فى الـ IPA، وقامت بتصميم منهج تعليمى جديد للاتينية، باسم : اللاتينية المدهشة. كذلك تعمل مراجعة لمناهج اللاتينية بجامعة كانبرا.

جى . آر . جرين: أستاذ الأدب القديم بجامعة سيدنى ومؤلف عدد كبير من الكتب والمقالات عن المسرح القديم، منها: "صور من المسرح اليونانى" (مطبعة المتحف البريطانى، ١٩٩٥، ترجمة يونانية، مطبعة جامعة كريت ١٩٩٦)، و"المسرح فى المجتمع اليونانى القديم" (دار نشر روتليدج ١٩٩٤،١٩٩٦). وهو مدير موقع تنقيب الجامعة فى بافوس، وقبرص، وحاصل على زمالة معهد الدراسات الكلاسيكية بلندن.

باتريشيا كانون جونسون: ولدت بإنجلترا، ودرست حفظ الآثار فى جامعة لندن بمعهد الآثار بها. ثم عملت لمدة ثلاثة عشر عاما فى القسم المصرى واليونانى والرومانى بالمتحف البريطانى. فى ١٩٨٠، وبعد فترة من العمل مراسلة حرة صارت وصية بمتحف نيكلسون التابع لجامعة سيدنى، ومنه تقاعدت سنة ١٩٩٧ . والآن تعمل كاتبة، ومرممة، ومعلمة لدراسات الآثار الحرفية.

صامويل . إن . سى . ليو: أستاذ التاريخ القديم بجامعة ماسكورى، ومساعد مدير مركز أبحاث الوثائق التاريخية القديمة بها، كان فيما سبق أستاذ الآثار الأدبية

والتاريخ القديم بجامعة وارويك، ومدير مركز الدراسات الرومانية الشرقية بها. درس التاريخ القديم فى كامبريدج وحصل على الدكتوراه من جامعة أكسفورد بأطروحة عن الدراسة المقارنة بين بلاد ما بين النهرين، وروما، والصين. منذ سنة ١٩٩٠ كان يعمل منسقًا لمشروع (Corpus Fontium Manichaeorum) المشروع الذى ترعاه منظمة اليونسكو، ويهدف إلى نشر ٦٠ نصا تاريخيا وجدت فى مواقع من وسط آسيا إلى مصر. فى ١٩٩٦ حصل على منحة من مجلس الأبحاث الأسترالى مخصصة لمشروع النصوص. تتضمن اهتماماته البحثية الدراسة المقارنة لتاريخ الصين وروما، والتاريخ العسكرى للجبهة الرومانية الشرقية، والصراع بين الوثنية والمسيحية فى العصور القديمة، واستخدام الكمبيوتر فى البحث العلمى والتدريس الخاص بالتاريخ القديم. وهو زميل الجمعية التاريخية بلندن والأكاديمية الأسترالية للعلوم الإنسانية.

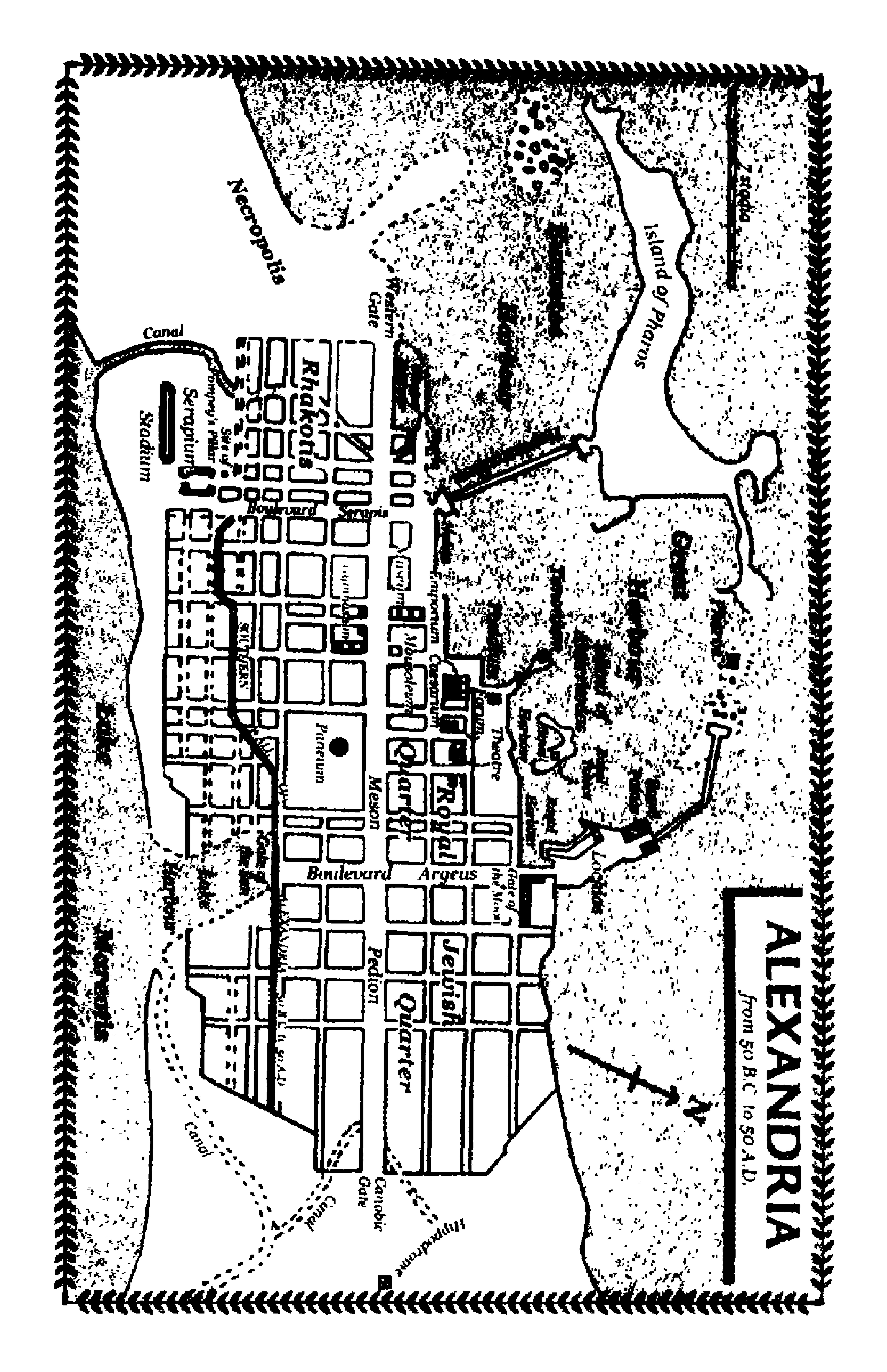
روى ماكلويد: أستاذ التاريخ بجامعة سيدنى. تعلم فى هارفارد، ومدرسة لندن للاقتصاد، وفى كامبريدج، كتب الكثير عن التاريخ العلمى لأوروبا، والتكنولوجيا والطب، وعن تاريخ التوسع الأوروبى عبر البحار. قام بالتدريس فى إنجلترا وفرنسا وهولندا والولايات المتحدة الأمريكية، وشغل الكثير من المناصب الرفيعة فى العديد من الجامعات. وهو زميل الجمعية التاريخية بلندن، وأكاديمية العلوم الاجتماعية بأستراليا. وحاليا يكتب عن نقل الأفكار من أوروبا إلى الهامش، كما يرى من الأفكار والأيديولوجيات والمعمار الخاص بالمتحف الحديث.

دى . تى . بوتس: أستاذ علم آثار الشرق الأوسط بجامعة سيدنى. قام بعمليات تنقيب كثيرة فى الإمارات العربية المتحدة، وكتب الكثير عن نطاق واسع من موضوعات علم الآثار والتاريخ القديم لإيران، وبلاد ما بين النهرين وشبه الجزيرة العربية. وهو معروف بكتابه المكون من مجلدين والمسمى: "الخليج العربى فى التاريخ القديم"، الذى نشرته مطبعة جامعة أوكسفورد فى ١٩٩٠، وكتابه المكون من مجلدين: "العملات السابقة على الإسلام فى شرق الجزيرة العربية"، المنشور فى كوبنهاجن سنتى ١٩٩١ و ١٩٩٤، وكتابه": حضارة بلاد ما بين النهرين: الأسس المادية"، نشر من جانب إتلون بلندن ومطبعة جامعة كورنيل فى ١٩٩٧، وكتابه: "آثار إيلام"، المنشور من مطبعة كامبريدج فى ١٩٩٩، وهو مؤسس ورئيس تحرير الدورية الدولية " الآثار العربية" الصادرة عن مونكسجارد فى الدنمارك، وكذلك مؤسس ومساعد رئيس تحرير لسلسلة ABIEL، دورية بحثية تركز على الآثار العربية، منشورة من جانب بريبولس فى بلجيكا. وزميل الجمعية التاريخية بلندن والأكاديمية الأسترالية للعلوم الإنسانية .

آر . جى . تانر: أستاذ الآثار الأدبية المتفرغ ومحاضر السنسكريتية بجامعة نيوكاسل، فى نيوساوث ويلز. تخرج فى جامعة كامبريدج سنة ١٩٥٢، وبعدها قام بالتدريس فى جامعة ميلبورن ١٩٥٣-١٩٥٥، وفى معهد كينج باراماتا ١٩٥٧-١٩٥٩، قبل أن ينتقل إلى نيوكاسل محاضراً سنة ١٩٦٠ . وشغل منصب أستاذ الآثار الأدبية من ١٩٦٤ إلى ١٩٩٣ . كان زميل سان جونس فى كامبريدج ١٩٦٧-١٩٦٨، ورئيس الـ ASCS، من ١٩٩٢ إلى ١٩٩٥ . نشر الكثير عن الدراما القديمة، والأدب اللاتينى، والفلسفة اليونانية، والدراسات السنسكريتية. يتضمن ما نشره عن أرسطو: "أرسطو : عالم لغويات" (لندن، ١٩٦٩) و "الشكل والجوهر عند أرسطو" (برودينتا، ١٩٨٣).

جون فالانس: مدير مدرسة سيدنى للقواعد اللغوية. درس الأدب القديم بجامعة سيدنى، ومعهد سان جونس بكامبريدج. بين سنتى ١٩٨٦و١٩٩٣ كان زميل ومدرس بجامعتى جونفيل وكاوس بكامبريدج، وألقى محاضرات عن تاريخ الأدب القديم وتاريخ العلم. وهو مؤلف لمقالات عن الفلسفة القديمة والعلم والطب - منها ما نشر فى طبعة ثالثة فى قاموس كامبريدج لتاريخ الأدب القديم (١٩٩٦) - واستشارى تحرير ومساهم فى الموسوعة الإيطالية (إنسيكلوبيديا إيطاليانا). تتضمن كتبه: "النظرية المفقودة لأسكلوبيديس البيثانى" (أكسفورد ١٩٩٠). وقام بتحرير: "مرجع العلم اليونانى" لمطبعة جامعة كامبريدج .

جى . أو . وارد: مدرس بقسم التاريخ فى جامعة سيدنى. كتب عدداً من الكتب والمقالات عن الحياة الفكرية للعصور الوسطى، وتاريخ الرهبنة، والسحر، والحملات الصليبية. وله سمعة دولية عن عمله الخاص بالخطابة المتأثرة بشيشرون (سيسرو) فى العصور الوسطى. ومؤخرا نشر كتاب: "الخطابة الشيشرونية فى الدراسات والتعليقات العلمية" (بريبولس، ١٩٩٥).



خريطة الإسكندرية

مقدمة

الإسكندرية فى التاريخ والأسطورة

روى ماكلويد

فى عمله الموسوعى فى علوم الاشتقاق والصرف كرس إيسيدور الإشبيلى – العالم وراعى الكنيسة الإسبانية فى القرن السادس الميلادى – فصلا لتعريف كلمتى (بيبليون و ثيك) بمعنى (مخطوطة) و (مستودع)، باعتبارهما مكانا وأيضا رموزا للثقافة الغربية. ففى الروايات التى سبقته بسبعة قرون، وكذلك التى تلت عصره بقرون عديدة، نما تقليد الدراسة التى تركزت على التاريخ، والأساطير، وتأثير ما سماه البعض "مكتبة الإسكندرية المندثرة". وتكمن أصول المكتبة المشهورة بين أصداء مشتتة للذاكرة الأوروبية، وتنتظر إعادة اكتشافها.

تبدأ القصة قبل الإسكندرية نفسها. بين اليونانيين، حيث قيل إن بيسستراتوس طاغية أثينا كان أول من أسس مكتبة التى نقلها بعد ذلك أكسركسيس إلى فارس، هذا العمل الذى وضع نموذجا للملوك والمدن ذات السيادة، وذلك للبحث عن كتب كل الشعوب وخاصة هؤلاء الذين ينتمون إلى البلاد الأجنبية التى تم غزوها وقهرها. وكذلك عن طريق أعمال الترجمة وتحويل شخصية هذه الشعوب المستعمرة ولغاتها إلى عناصر فى الثقافة المهيمنة.

وطبقا لآريان، فحينما توقف الإسكندر الأكبر – أكثر تلاميذ أرسطو شهرة – فى أثناء إحدى رحلاته عند الطرف الغربى لدلتا النيل بين بحيرة مريوط والبحر المتوسط، لاحظ أن "الموقع هو الأفضل على الإطلاق لتأسيس مدينة، وأن هذه المدينة سوف تزدهر". وبالبحث عن مكان يبعد عن معبد أوليمبوس فقد طلب أن يخصص لربات الشعر

والموسيقي مكتبة في المدينة الجديدة، والأهم أن تحمل اسمه. وبسبب الطموح الاستعماري أطاع ثلاثة الملوك المقدونيين الأوائل من خلفاء الإسكندر في مصر تعليماته، وأنشأوا مؤسسة علمية يملأ تاريخها وتأثيرها الآفاق، وتبقى مع الدهر، وتثرى الموروث الفكرى الأوروبي الذى عاش متمثلا في بعث مكتبة الإسكندرية مع نهاية القرن الحالي. إن قصة المكتبة الكبيرة في الإسكندرية جزء منها تاريخي والجزء الآخر أسطورى. فمنذ عشر سنوات نشر "لوشيانو كانفورا" رواية لعلها غير أسطورية، عبارة عن تقرير أدبي ذى وصف جميل، حيث قامت الرواية بعملية مسح للمشهد الثقافي لمصر الإغريقية في وقت اختار فيه حكام الإسكندرية أن يظهروا السلطة والنفوذ من خلال تشجيع البحث العلمي والتحكم فيه، ذلك المشروع الذى جمع مجموعة من البشر والأغراض والأصول داخل القصر في "البروكيوم" وهو القسم الإغريقي من المدينة.

فعلى مدى ألفي العام التي أعقبت ذلك بالنسبة إلى علماء اللغة والآثار والمؤرخين وعلماء الدين والثقافة والكتب أصبح هذا الموقع مكانًا داخل مكان يضم مجموعة من الهويات مضمنة في لغة الفوكولت، حيث يتحول النص في فحواه، وتبقى الأسطورة لفترة طويلة بعد اختفاء المبنى الحجرى. المناقشة الموسعة الأولى عن المكتبة التي ظلت باقية كانت عبارة عن خطاب أرستياس (١٨٠-١٤٥ ق.م) بالأسطورة المكتوبة من قبل عالم يهودى يعمل بالمكتبة، والخطاب يؤرخ لمشروع ترجمة «السبعونية» إلى اليونانية.

وبقى الاسم كائنا من خلال الاعتقاد بأن سبعين عالما يهوديا جمعهم الملك وعزلهم في مكان ما حتى أتموا عملية الترجمة كاملة، وحينما لم يتم تصديق القصة من جانب الكثيرين فإن هذا الخطاب والقطع الأخرى دعمت النظرية القائلة بأن المكتبة قد تم تفويض أمرها لبطلميوس الأول (سوتر)-أحد قادة الإسكندر البارزين-الذى حاز ملك مصر بعد موت الإسكندر. وتحقيقا لأمنية الإسكندر فقد قام بطلميوس الأول "سوتر" (الذى ظل اسمه الملكي حتى القرن الخامس عشر كما هو بدون تغيير) بالبحث عن ديمتريوس الفاليرى - طاغية أثينا السابق، ورجل ذو شأن وأحد طلبة أرسطو- وذلك لإنشاء مكتبة. وكما تروى القصة فإن بطلميوس قد دعا ثيوفراستوس ليكون معلما لورثة بطلميوس ولكن الأثيني رفض ورشح ديمتريوس للمهمة. وقد وافق ديمتريوس، الذى كان قد ساعد ثيوفراستوس في إنشاء مدرسة على غرار مدرسة أرسطو وأكاديمية أفلاطون.

وبحثا عن مأوى من الاضطراب السياسي فى الدولة المدينة، فقد رأى ديمتريوس موقعًا بارزًا على الحدود واستثمر الفرصة. إن أصالة مشروع الإسكندر كانت مجالا لنقاش لا نهاية له، فقد كان واضحا أن هؤلاء الإغريق من القرن الثالث لم يكونوا هم فقط أول من تفهَّم أهمية جمع وترجمة كتب فى لغات عديدة كأدوات للاستخبارات السياسية والتجارية والاستعلام الثقافى.

فكان لدى الممالك القديمة من الحيثيين والآشوريين محفوظات رائعة فى لغات عديدة، وكذلك مكتبة كبيرة تؤرخ للفترة البابلية فى عهد نبوخذ نصر (٦٠٥-٥٦٢ ق.م). ومع ذلك فإن الإسكندرية بشرت بشىء مختلف، علاوة على ذلك فإنها قد حازت تقدير كل من التقاليد الإغريقية وتقاليد بلاد ما بين النهرين. ولحسن الحظ فإن النظريات الإغريقية والاستشراقية للتكوين كانت تؤيد الرأى القائل بأن الإسكندرية هى المستفيد من الميراث المختلط. حيث إن الحكام المقدونيين قد تحدثوا عن الصفات الخاصة بالمكتبة، حيث إنهم كان لديهم اهتمام خاص بتكوين معرفة عن الشرق؛ بهدف إقامة السنسكريتية الهيلينية فى كل مكان بطول العالم الاستعمارى وعرضه. وما تم الكشف عنه أن هذا المشروع السكندرى الخاص أصبح بالتأكيد - ولو لم يكن له سابق من نوعه - فريدا فى مجاله وحجمه.

كان مقدرا للمكتبة أن تكون مشروعا طموحا أكثر من أن تكون مجرد مخزن للمخطوطات، حيث كانت الخطوة الأولى فى برنامج للغزو الثقافى أول مركز للحساب كما قال "برونو لاتوس" فلأسباب مماثلة تم إنشاء مكتبات ملكية فى كل المراكز الإغريقية؛ من أجل التفاخر والاستخبار الثقافى، وكذلك من أجل أغراض عملية للإدارة والحكم، علاوة على ذلك فعلى نقيض منافساتها فى "برجامون" أو "إيفسوس" كانت الإسكندرية ترحب بمجىء المثقفين اليونانيين وعملهم الجماعى فى الرياضيات والطب والأدب والشعر والفيزياء وكذلك الفلسفة، فمثل هذه الأعمال والإنجازات اللامعة سوف يسطع معها مجد البطالمة. وأخيرا وعلى عكس سابقاتها فإن المكتبة الجديدة سوف تكون عالمية؛ حيث إنها تهدف إلى تغطية كاملة لكل شىء مكتوب. وقد حدث ذلك من قبل، بعد نصف قرن من رواق زينو، ومدرسة أبيقوروس، حيث تم جمع كل المواد المكتوبة فى العالم.

ومن هذا الموقع، وتحت تأثير التجارة البحرمتوسطية، تم إطلاق صناعة التعلم. وبدأ ديمتريوس-مستشار الملك- فى تجميع الكتب على غرار أفلاطون، مع أعمال فى الدولة، والحكم والملوك، من أجل تقدم الحكومة والحضارة اللتين تعتبران أداتى الملك

والحكم. ومن اعتقادات الإسكندر أنه من أجل الحكم والغزو فلابد من معرفة مَنْ الذين ستحكمهم في البداية، وتطلب ذلك عند تطبيقه تجميع الأدب المحلى للشعوب وترجمته إلى اليونانية. لكن البطالمة وجدوا أنه من الباعث على الفخر تجميع وحفظ التراث الهيليني نفسه. ومع نمو الإسكندرية وازدهارها، وبالتالى ازدهار المكتبة، صارت الأخيرة مركزا هيلينيا أكثر هيلينية من اليونان ذاتها. لدرجة نما معها النموذج الهيليني للحضارة أكثر مما كان لأرسطو أن يتخيل.

وفى منطقة المكتبة كانت هناك مؤسستان، هما المتحف والمكتبة نفسها، لتغطية أغراض متداخلة مع فصل الاختصاص، حيث يكون (بيبليون) وهو (مكان الكتب) من أجل العلماء، والمجمع ربات العلم والفن من أجل التأمل والتفكر. والموقع يظل غير مؤكد، ولكن الدليل يحدده بين المدينة وميناءها. على أن أسلوبها المعمارى لم يعرف بعد، ولكن هناك دلائل تقترح أنها بنيت على غرار (الرامسيوم) فكانت مزيجاً من القصر والمتحف والمعبد. حيث إن المعبد قد خصص للتأمل والتفكر، فى حين أن المتحف كان له نفس الخصائص نفسها الخاصة بمدرسة أفلاطون فى أثينا، حيث إن المدرسة تطلبت وضعًا دينيا لاكتساب حماية القانون الأثيني. كان يتم الإشراف عليها من قبل كهنة يطلق عليهم (إيبستاتيس) وتعنى المقررين (المديرين)، تم تعيينهم بأسلوب تعيين الكهنة الذين كانوا يشرفون على معابد مصر. وبرعاية وتشجيع بطلميوس الثانى (فيلاديلفوس) وفى عام ٢٨٣ ق.م. حضر ما أطلق عليه إسترابو مؤخرا (سينودوس) وتعنى مجتمع (community) من ٣٠ إلى ٥٠ رجلا متعلما من المدنيين ولم يكن بينهم نساء، وأعطى لهم راتب مقابل خدماتهم كمدرسين، ومنحوا إعفاء من الضرائب ومنحوا الأكل والسكن المجانى فى الحى الملكى بالمدينة. حيث كانوا يتناولون عشاءهم فى قاعة عشاء ذات قبة مستديرة وبالخارج كانت هناك فصول من أجلهم، وكان يتم استدعاؤهم للتدريس بها من الحين للآخر.

وربما لم يكن كل المعلمين محبوبين من أهالى المنطقة المحليين، باعتبارهم أجانب معفيين من الضرائب، خاصة إذا ما عرفنا أنهم كانوا يتقاضون رواتبهم من الأموال الحكومية، ولكن السكان الأغنياء فى منطقة المتحف دائما ما كانوا يصنعون أخبارا. كان من أول من تم دعوتهم من قبل ديمتريوس هو إقليدس عالم الرياضيات، الذى من المفترض أنه كان قد أخبر بطلميوس الأول (سوتر) – ردا على طلب للتدريب –"أنه لا يوجد (طريق ملكى لتعلم الهندسة)"، وربما قام إقليدس بتأليف كتابه "العناصر" فى حكم فيلاديلفوس. وقد علم أبولونيوس البرجى (٢٥٠–٢٢٠ ق.م) طالب الهندسة

العبقرى الذى كتب ثمانية كتب عن المقاطع المخروطية، سبعة منها مازالت موجودة إلى الآن، أربعة باليونانية وثلاثة بالعربية. ويبدو أن علم الرياضيات والميتافيزيقا قد عاشا معا فى انسجام، جنبا إلى جنب مع التاريخ الطبيعى وعلم الفلك. وقد قيل إن بطلميوس فيلاديلفوس كان مهتما بعلم الحيوان ولذلك فلعل المتحف قد احتوى على حديقة وحديقة حيوان ومرصد. ومن عهد بطلميوس الخامس (٢٠٥-١٨٠ ق.م) نظم علماء المكتبة الألعاب والاحتفالات والمسابقات الأدبية، حيث ظلت مركز طائفة يديره كاهن، فإذا كان المعبد الرئيسى لأبولو هو دلفى، ومعبد زيوس هو أوليمبس، فبالتأكيد فإن معبد ربات الفكر والفن كان الإسكندرية.

وبالقرب من المتحف كانت المكتبة نفسها، وكان يتم إدارتها من قبل أمين مكتبة عالم، يقوم الملك بتعيينه، كان يتولى أيضا وظيفة المعلم الملكى. وقد اشتملت المكتبة على العديد من الأجنحة والمداخل جنبا إلى جنب مع الأرفف المرتبة بطول الممرات المغطاة، حيث يمكن للمرء أن يراها على أنها رواق. وقد عرفنا أن هذه الأماكن المختلفة كانت مخصصة للطبقات المختلفة من المؤلفين والعلماء. وبحماس المبشرين الأوائل بالمسيحية فتش وكلاء بطلميوس الثالث منطقة البحر المتوسط بحثا عن الكتب التى أثرت المجموعة المتنامية، "هذه المكتبة ولع مرضى، وجمعها هو العلاج": مقولة سكندرية. كان لدى المكتبة احترام قليل للملكية الفكرية أو حتى لحقوق المُلكية، فقد قيل إن بطلميوس الثالث (٢٦٤-٢٢١ ق.م) قد كتب إلى كل حكام العالم طالبا استعارة كتبهم من أجل نسخها، وعندما أعارته أثينا نصوص يوريبيدوس وإيسخيلوس وسوفوكليس، قام بنسخها مع الاحتفاظ بالأصول، وصادر ثروة تقدر بخمس عشرة نابغة احتجزهم رهائن. التصرف نفسه تم مع نصوص طبية، حيث روى جالين أن موظفى الجمارك كان عندهم أوامر بمصادرة كل الكتب من السفن العابرة ثم نسخها.

وكانت الأصول تودع فى المكتبة وتصنف تحت عبارة :"وارد من سفينة"، وهكذا تم دمغ تعبير "مكتبة السفينة"، وكان الملاك المحظوظون يتلقون نسخا من الأصل الذى يودع بالمكتبة. ولكن هناك اعتقاداً بأن العديدين من المسافرين الذين أبحروا عبر الإسكندرية ضاعت منهم مخطوطاتهم بعد مصادرتها.

لم تكن المكتبة والمتحف مرتبطين بأية مدرسة أو مذهب فلسفى. وقد عرفنا أن العلماء المقيمين كان لديهم درجة من الحرية الأكاديمية، ربما كانت التزاماً، ولكن كانت هناك طرق لإلغاء الاتفاقات. الطيور النادرة (مقصود بها العلماء) التى حبست فى معبد

الأدب والفكر كانت فى خدمة الملك، وكانت ذكية بحيث إنها لم تثر سخطه. حيث يوجد قصة عن سوتاديس المارونى الذى كان أكثر فطنة من كونه فصيحا، والذى كتب شعراً هجائيا عن زواج بطلميوس الثانى بأخته. وعندما كشف أمره، تم سجن الشاعر التعس، وعندما هرب تم القبض عليه مرة أخرى، ووضع فى جرة مصفحة بالرصاص وألقى به فى البحر. وتجربته تم روايتها على نطاق واسع، وربما كانت خيالية؛ لتحذير المندفعين المتهورين. كانت المعرفةُ والسيطرة أصولَ المكتبة ووسائلها .

فى عهد كاليماخوس كان بالمكتبة ما يزيد على ٤٠٠٠٠٠ مخطوطة، من أعمال متنوعة ومتعددة، بالإضافة إلى ٩٠٠٠٠ مخطوطة فردية أخرى، ومع نمو المجموعة ظهر السيرابيون فى معبد سيرابيس موطن الطائفة المصرية الإغريقية الجديدة التى أسسها بطلميوس الثالث فى الجنوب الغربى من المدينة على مقربة من الأحياء الملكية، حيث كان ديمتريوس نفسه معتنقا عقيدة سيرابيس. وبالتدريج احتوت المكتبة الجديدة على ٤٠٠٠٠ كتاب، وفى النهاية ظهرت المكتبات الصغيرة الأخرى فى كل مكان من المدينة مما آذن بانتشار المكتبات فى الحى اللاتينى بباريس فى القرون الوسطى والمدن الجامعية فى بولونيا وأكسفورد.

وجاء بعد ديمتريوس، أول أمين للمكتبة، فيما تبقى من بقايا كشف ناقص، زينودوتوس الإيفسوسى (٢٨٣-٢٤٥ ق.م). وكان كاليماخوس السيرينى من أكثر مساعديه شهرة، الذى ربما لم يملك رسميا منصب أمين المكتبة، ولكنه هو من بدأ للمكتبة أول مشروع تصنيف فى العالم، على ألواح كتابة مكونة من ٦ أقسام وتحصر قرابة ١٢٠٠٠٠ مخطوطة من الشعر الكلاسيكى والنثر. ولمدة سبعمائة عام، حتى القرن الرابع الميلادى جاء مائة عالم إلى المكتبة لفحص هذه المجموعة؛ للقراءة والحوار والكتابة. فى البداية كتبوا على البردى الذى كانت الإسكندرية تحتكره، وبعدها على الرقائق عندما توقف البطالمة عن تصدير البردى بهدف القضاء على المكتبة الناشئة التى أنشأها السيلوديون فى بيرجامون، ففى البداية كتبوا على الرقائق، التى كانت تخزن فى محافظ جلدية، وتحفظ على حوامل فى الصالة أو فى الأروقة. وبعد ذلك فى زمن الرومان كتبوا النصوص باليد على شكل مخطوطات كانت تخزن فى صناديق خشبية (أرمايا). ضمن مجموعة الموظفين فى المكتبة، كان المترجمون هم الأكثر عددا ويطلق عليهم الناسخون (كاراكيتاى)؛ لأنهم كانوا يكتبون على البردى (كارتا). وكانوا يقضون أوقاتهم - كما قال تيمون الأثينى - فى قفص التأمل والتفكر. ولكن عمل المكتبة

لم يكن محددا بالأدب الكلاسيكى، ففى حوالى سنة ٢٧٠ ق.م. منحت شعلة أمين المكتبة لأبولونيوس الرودسى، مؤلف الملحمة الشعرية الأكاديمية "أرجونوتيكا"، الذى رحب بالشاب أرشميدس السيراكوسى (٢٨٧-٢١٢ ق.م).

قضى أرشميدس عبقرى أيوركا بعض الوقت فى المتحف ملاحظا صعود النيل وهبوطه، واخترع الطنبور الشهير الذى حمل اسمه، وهناك أيضا بدأ علم الهيدروستاتيكا (علم توازن الموائع وضغطها)، ولخص طرق حساب مساحات الأسطح، وأحجامها التى شكلت بعد ذلك بحوالى ١٨٠٠ عام قاعدة حساب التفاضل والتكامل، وربما تحت الضغط انكب أرشميدس على تصميم آلات الحصار والحرب من أجل الدفاع عن مدينته ضد الرومان فى نضال وصراع كاد يكلفه حياته.

فى المتحف والمكتبة لم يكن أرشميدس وحده راعى العلوم، فالمدينة كانت معروفة بمنارتها شاهقة الارتفاع لأكثر من مائة متر على ميناء الإسكندرية، المجهزة من قبل بطلميوس الثانى والمصممة من قبل المهندس المعمارى اليونانى سوستراتوس الكنيدوسى، والتى تعتبر واحدة من عجائب الدنيا السبع. اشتعلت النيران فى قمتها، وتركزت عن طريق مرآة مستوية كانت مرئية على بعد ثلاثين ميلا فى البحر، وداخل المتحف كانت المطالب الخاصة لثقافة مرتكزة على الزراعة والملاحة واضحة بكثافة. لقد غيَّر الغمر السنوى للنيل المعالم الطبيعية. ويمكن أن تساعد الملاحظات الفلكية فى تقرير حدود ملكية الأراضى فيرسل التجار السفن من الميناء-المحملة بالسلع التجارية للإسكندرية-معتمدين على الملاحة الفلكية للإبحار فى أى وقت بعيدا عن الأرض. كان مقصودا أن الرجال فى المتحف غيروا اهتماماتهم لتطبيقات الرياضيات والجغرافيا.

وجاء بعد أبولونيوس عام ٢٣٥ ق.م. خليفته إيراتوسينس السيرينى (٢٧٦-١٩٤ ق.م) عالم الجغرافيا والرياضيات الرواقى، الذى اهتم بالهندسة والأرقام الصماء ولكنه أيضا أثبت أن المحيطات متصلة، و أن أفريقيا يمكن الإبحار حولها، وأن الهند ربما يمكن الوصول إليها عن طريق الإبحار تجاه الغرب من إسبانيا. إنه هو الذى توصل بدقة لطول العام وأسس التقويم الذى اتبعه يوليوس قيصر، وهو الذى أثبت أن الأرض كروية وحسب محيطها مرتكزا على المسافة بين أسوان والإسكندرية، وهو الذى حسب قطر الأرض بدرجة خطأ ٨٠ كم فقط. أعطى إيراتوسينس لإيودوكسوس أذكى تلاميذ إقليدس منزلا، وهو الذى أصبح الأول - كما عرفنا - فى تعليم حركات الكواكب، حيث كان معاصروه فى المتحف يشملون: أرستارخوس الساموسى (٣١٠-٢٣٠ ق.م)

الذى اقترح قاعدة خاصة بالشمس باعتبارها مركزًا للنظام الشمسى قبل ١٨٠٠ عام من كوبرنيكوس، وهيبارخوس الذى استورد النظام الدائرى (٣٦٠ درجة) من بلاد بابل، وحشد مخططات النجوم والأبراج، وهيروفيلوس وإيراستراتوس اللذين كانا رواد علم التشريح البشرى، لكن مجهوداتهما كانت مبهمة بسبب الاعتراضات على تشريح الأجساد. وصول المكتبة - منقطع النظير - للمعرفة البابلية والمصرية أعطاها موقعا محوريا فى العالم المتحضر. هذا العصر الذهبى لم يكن ليدوم إلى الأبد. فبعد إيراتوسينس انتقلت شعلة فاروس إلى أرستوفانيس البيزنطى (٢٣٧-١٨٠ ق.م) وهو عالم النحو والصرف القدير (لا علاقة بينه وبين أرستوفانيس الكاتب المسرحى) الذى أدخل استعمال اللهجات على اللغة اليونانية، والذى يبدو أنه قد مارس تأثيرا أقل على العلماء من حوله. بعد فترة تقدر بعشرين عاما، خلفه أرستارخوس الساموكراسي وهو العالم البارز والشاعر الإغريقى القديم، وآخر مسجل حيث عين سنة ١٧٥ ق.م. فى أثناء عهد بطلميوس السابع. لكن فى ذلك الوقت - كما قال كاتب معاصر - كانت الدراسة السكندرية قد صارت مُهيمَنًا ومسيطَرًا عليها من جانب النقد الأدبى. وكمركز معرفى، فإنها شابهت الرقبة الرفيعة لزجاجة كبيرة جدا، من حيث حماية محتوياتها الثمينة، وتحويل وتأجير تدفق المعرفة الجديدة إليها.

لو أنه فى أثناء القرون الثلاثة الأولى للمكتبة، توصل فلاسفتها الأوائل لتقدم نظرى رئيسى فى الرياضيات والمعرفة الطبيعية ببداية العصر المسيحى، لأصبح معروفا لدينا أفضل للدراسة المنهجية منه للإبداع. ففى أثناء القرن الأول كان المتحف يبدو أنه قد حجب بالمكتبة، وبتأكيد المكتبة على الدراسة النظامية للأدب اليونانى، وترجمة الأعمال غير اليونانية؛ لهذا فإن المكتبة قد امتلكت فرصا لا نظير لها. على سبيل المثال، فإن مجموعات المكتبة ربما اشتملت على "السجلات المقدسة" المصرية، التى كتب منها هيكاثيوس الأبديرى "الإيجيبتياكا" لكن التلاعب بالنص - التهمة الموجهة للعاملين - كان من الصعب إسقاطه. وفى هذه النقطة تكمن قوة المكتبة وضعفها.

منذ زمن الحريق الضخم للإسكندرية عام ٤٨ ق.م، وطبقا للأسطورة حدث انتشار طارئ من قبل جنود يوليوس قيصر يوضح أن أرصفة الميناء كانت لعرقلة أسطول بطلميوس الرابع عشر- أخو كليوباترا-حيث يقول ليفى إن المكتبة كان بها أكثر من ٤٠٠٠٠٠ مخطوطة، وبهذه الحقيقة فإننا لسنا على يقين تام من التغيرات التى حدثت بالمكتبة بعد "سترابو عالم الجغرافيا" الذى كان فى الإسكندرية بين ٢٥و٢٠ ق.م، ترك تلميحات عن المكتبة فى كتاباته، ولكن هناك ما يوحى بأن الجالية التى عرفها لم تكن

منشغلة بالدراسة المستقلة من النوع الأرشميدى، لكنها انشغلت بمشروع الترجمة والتلخيص والتنقية اللغوية التى أخفقت فى تجاوز انتداب المتحف المبكر. وقد ذكر مراقب معاصر أن المكتبة قد صاغت طريقا جديدا من الرؤية من قبل القراء، فكانت الدراسة بها تهتم بالأسلوب والأدب والأعمال الكلاسيكية ذات المقروئية العالية.

وعلى الجانب الآخر، فإنها ركزت على مهارة الصنعة الأدبية ومنحت ثقلا كبيرا لهيمنة النص؛ مما أعاق اكتشاف الجديد. وببداية المرحلة المشتركة، صارت الإسكندرية مكانا يعرف الأفكار البابلية والمصرية واليهودية واليونانية، التى جُمعت وصنفت ونظمت بدقة ومهارة.

أصبحت الإسكندرية مؤسسة الثقافة النصية للعالم الغربى. إن الحماية المنضبطة للتحصيل والتصنيف، وكذلك التأكيد على سعة الاطلاع كانا من متطلبات المهارة الأكاديمية، ولكن المكتبة أخفقت فى إبقاء السعى للمعرفة العميقة، التى ميزت فلاسفتها الأوائل، حيث إن الكلمة المكتوبة قد تضاربت مع الملاحظة التجريبية. وحياة الكتب يمكن أن تثبت التضليل وتحجب فهم العالم. وهذا كان درسا التعلم وبرهانا من قبل فلاسفة الطبيعة فى عصر النهضة اللاحق على زمن المكتبة القديمة.

يوجد مثال على هذه الحقيقة وصل إلينا من أعمال القرن الثانى الميلادى، فإن كلاودوس بطلميوس (ليس على علاقة بالعائلة الملكية) آخر فلكى عظيم من العصور القديمة، قد برع فى الوسط العلمى السكندرى، بالرغم من الخلاف مع أسلافه من المبتكرين. كتابه المكون من ١٣ جزءاً "ألمجسطى" نظم معرفة الإسكندرية لعلم الفلك وصنف ألف نجم. لكن رياضياته الرائعة لأفلاك التدوير (إبيسيكل)-النظام الذى اتخذ منه اسمه – قد وضعت لخدمة علم الكونيات الخاص بمركزية الأرض، التى اشتقت من نصوص أرسطو، بدلا من خدمة علم الفلك التجريبى. مثل مؤلفه الضخم (الجغرافيا) الذى صنف ما كان معروفا عن العالم بأثره، ظل علمه الفلكى مؤثرا فى أوروبا حتى القرن السادس عشر، فى كلتا الحالتين فإنهم قد حملوا علامة الطبعات السكندرية التى أنتجت من قبل علماء وأمناء المكتبة المكرسين لخدمتها، الذين عملوا بشكل منظم خلال التصحيح وترتيب الأسئلة التى تطلق الرجال فى اتجاه الاستكشاف والتقصى والبحث.

فى يومنا هذا، تاريخ مكتبة الإسكندرية عليه إقبال عالمى، معظمه يكمن فى التوقير الذى يكنه العلماء للبحث العلمى المستقل والأصيل. على أية حال، من الأفضل تذكُّر أنه تقريبا طوال حياته ظل الراهب على مقربة من القصر. لو أنها كانت معهدا للدراسة

المتقدمة، فإن المكتبة ما كانت أبدا برجا عاجيا، فمثقفوها كانوا مثقفين للعوام وسواد الشعب، وتحملوا ألم الخيالات المناقضة للحرب الأهلية. توقفت أنشطتها بسبب الاضطراب السياسي، ومناقشتها العلمية اشتعلت من قبل المنفيين الزائرين. لقد كانت أكاديمية ضخمة، ولكن في إطار حدود الرعاية الملكية.

تعجب العلماء المتخصصون في العصر القديم عندما اعترف أتباع مدرسة الحداثة بفضل فرانسيز بيكون في اختراع عبارة "المعرفة قوة". ربما روَّج بيكون للثورة العلمية على أنها ناقوس خطر، لكن في الإسكندرية قبل ١٨٠٠ سنة كان السعي للمعرفة العالمية مصدر استلهام لظهور مشاريع ملكية. ظهرت المبادرة مرة أخرى في عهد نيقولا الخامس وفيلوس الثاني، في إنشاء مكتبة وسط إمبراطورية الفاتيكان، وعادت للظهور مرات عديدة عبر التاريخ الغربي. محاولة التحكم في نشر المعرفة التي تعتبر مفهومًا مشتقًا من الطموح البطلمي ربما كانت إنجازًا مستحيلاً أن يتحقق في عصر الأقمار الصناعية وشبكة المعلومات "الإنترنت"، لكن كان هذا هو المشروع السكندري في قمة عظمته والأكثر إثارة للمشكلات.

ربطا بتاريخها المقترن بالأمراء والإمارات، والمعلومات والمعرفة فإن الإسكندرية تمنح نموذجا مركبا، جزء منه هو "وعاء للتفكير" والآخر مدرسة عليا، مع جزء تجريبي من الملاحظة وآخر معملي. لكن الإسكندرية المدينة كانت مكانا في مركز تجارة السلع والبشر، بالإضافة إلى الأفكار، فقد كانت موقعا دينيا وموقعًا للديانات، حيث كانت مكانا تُعبد فيه كل الآلهة، حيث ناقش اليهود والوثنيون والمسيحيون اللاهوتَ المتأثر بالزرادشتية الفارسية والبوذية والهندوسية من بلاد الهند.

يقول البعض إن الفلسفة الأفلاطونية الجديدة قد اختُرعت حقيقة في الإسكندرية، ولكن التوترات التي منحتها حياة وحيوية هددت في الوقت نفسه بقائها. ومع قدوم الفترة الرومانية، بعد غزو قيصر لمصر، فإن وضعها في ذلك الحين تشكل بانزعاج سلطة ما وراء البحار، بينما روتين العمل اليومي كان مضطربًا بسبب الصراعات بين أصحاب المذاهب العقائدية المختلفة. وأخيرا، فإن ثروات المكتبة قد ارتفعت وهوت تحت تأثير هؤلاء الذين من الإسكندرية نفسها.

ومع حلول القرن الثاني أصبحت روما أقل اعتمادا على حبوب الإسكندرية، وأقل اهتماما بالبحث العلمي في الإسكندرية؛ فقد تضاءل ازدهار المدينة، وكذلك انحطت سمعة المكتبة، حتى إن أمناء المكتبة صاروا أقل شهرة، وصار علماؤها – مع استثناءات مهمة –

أقل بروزا، أو على الأقل لم يكونوا معروفين للأجيال التالية. وفى النهاية فقد أصبحت كلمة "سكندرى" كناية عن حرفة "التحرير" لممارسة تصحيح العلوم وتنقيحها بدلا من ابتكارها، مع الشغف بتطبيق الأشكال القديمة، بدلاً من متابعة الجديد والمختلف.

إن مثيلاتها من المكتبات فى برجامون وأماكن أخرى قد ارتفعت منازلها واشتهرت ونازعتها فى قيادة الحركة الثقافية. وليس واضحا الأضرار التى لحقت بالمكتبة أو ما تبقى من المتحف، عندما طرد كاراكالا من المدينة فى القرن الثالث الميلادى، أو كمية الخسائر التى تسبب فيها الغوغاء المحرضون من قبل الإمبراطور ثيودوسيوس أو البطريرك ثيوفيلوس، الذى شجع الطغاة على محاولة استئصال الأفكار عن طريق حرق الكتب، وبشكل خاص تلك الخاصة بالسيرابيوم فى سنة ٣٩١ ميلادية.

وكان ثيون آخر المشهورين الذين ارتبطوا بالمكتبة، فهو عالم الرياضيات المعروف بأبى الشهيدة هيباشيا، التى أقنعت دراساتها المستقلة للهندسة وعلم الموسيقى مسيحيين بارزين بأنها كانت مهرطقة. فما تبقى من ازدهار الإسكندرية والمكتبة وقع فريسة للتنافسات بين البطاركة وغزو العرب فى عام ٦٤١ ميلادية. فى تلك السنة - السنة العشرين من الهجرة - احتل الأمير عمرو بن العاص المدينة، ويقال إن المكتبة التى وجدها لم تكن فى المكان نفسه الذى أنشئت فيه.

هناك أعمال قليلة بينت أن العرب واسعو الاطلاع فى البصريات وعلم الفلك، وخبراء فى الرياضيات والجغرافيا، كما اهتموا بها، أصبحت أصولها فى الأغلب الأعم كتابات ذات علاقة بآباء الكنيسة وكتابات الأدب، تلك الغاصة بالأخطاء، فأصبحت الكتابات اليونانية غريبة بشدة لقرائها. والمعروف أنه عندما سألوا الخليفة عمر عما يفعلونه بكتب المكتبة أجاب:

" إذا كان محتوى الكتب متفق مع كتاب الله، فإننا نستغنى عنها؛ لأن كتاب الله يكفى وأكثر، أما إذا كانت تحتوى على أمور مخالفة لكتاب الله فلا يوجد ثمة حاجة لحفظها. فدمروها".

إن ما وجد من الكتب قد وزع على الحمامات العامة، واستخدم فى تغذية المواقد التى تحافظ للعامة على دفئهم. ويقال إنها قد استغرقت ستة أشهر لحرق هذا القدر الكبير من الكلمات، كما يقال إن كتب أرسطو فقط هى التى نجت من الحريق. إن قصة حرق العرب للمكتبة تعتبر بمثابة أسطورة، كما أنها ربما تكون تاريخا، إذا كان هذا صحيحا فإنها ستكون بالتأكيد مأساة للتراث اليونانى، فقد قيل إن المكتبة الكبيرة

فقط هى التى احترقت فى عام ٤٨ ق.م، وأن المتحف والسرابيوم بقيا حتى مرسوم ثيودوسيوس فى عام ٣٩١ وبناء على أحد المصادر المهمة، فإن العرب لا يلامون فى تدميرها على الإطلاق. وعلى أية حال، ففى اللحظة المطولة لفقدانها، التى ربما استمرت لأربعة قرون، فإننا نحدد جزءا مهما للماضى الأوروبى. المكتبة المتوارية أنذرت بنهاية طريق للمعرفة وبداية طريق آخر. إن إعادة بناء المكتبة يعتبر حدثا تاريخيا وأدبيا، وفى الواقع فإن المكتبة المعاصرة أكسبتنا فهما أفضل لذلك الجزء من تراثنا الهيلينى والتقاليد الأخرى التى امتزجت فى الإسكندرية، كما أخبرنا العقل الأوروبى الحديث.

إن هدفَ المقالات التالية إعادةُ اكتشاف بعض هذه الحقب التاريخية المنسية وتجديد المعرفة بالإرث المنسى. فى البداية، يذكرنا دان بوتس الأثرى المتخصص بالشرق الأوسط بأن مكتبة الإسكندرية لم تكن صرحًا معزولاً عن المكتبات فى العالم القديم، ولا مثالا للتصنيف القديم. عثر على السجلات مع ظهور الكتابة فى موقع آوروك جنوبى بلاد ما بين النهرين فى العام ٣٤٠٠ق.م. إن تصنيف النصوص الاقتصادية المسمارية قد استمر فى العصر الرومانى-الفارسى، بينما بدأ التسجيل العلمى لأدبيات القانون عام ٢٥٠٠ ق.م. وكان من بين المكتبات الأكثر شهرة خلال العصر القديم فى الشرق الأدنى تلك الخاصة بآشور بانيبال فى نينوى، التى كانت تحتوى على آلاف المناضد والتى جلب العديد منها من مواقع أخرى. وتؤكد مقالة الأستاذ بوتس على الأهمية التاريخية للإسكندرية عن طريق مناقشة النقاط الأساسية التى تثبت أسبقيتها فى الشرق الأدنى القديم.

وفى المقالة الثانية يستكشف ويندى برازيل اللغوى والرحالة أن الإسكندرية تجذب العلماء ورجال الدولة من كل أنحاء العالم، واشترك فى بحث عن جاذبية المدينة وزوارها المشهورين. وفى الورقة الثالثة يصف روبرت بارنز المتخصص فى الأدب القديم ما تخبرنا به المصادر القديمة عن المكتبة، وعن كتبها وأمنائها وأعمالها العلمية، وأخيرا عن دمارها النهائى. كما يناقش كتاب لوشيانو كانفوا الأكثر رواجا "المكتبة المندثرة"، ويمعن النظر فى ادعاء المؤلف بأنها قد دمرت مثل كل المكتبات العامة فى الإسكندرية، ونحن ندين ببقاء الأدب القديم كليا لهواة جمع الكتب القديمة. ومن منظور آخر ومع الحاجة إلى رؤية عالم كبير فى تاريخ الأدب يكشف جودفرى تانر، العلامة الأرسطى البارز، عن التاريخ المعقد الذى رافق وصول أعمال أرسطو العلمية إلى الإسكندرية. ومحاولاته لحل اللغز الذى يحيط بتلك الأعمال التى حصل عليها بطلميوس، وتلك التى وصلت المكتبة حوالى ٤٠ ق.م، وذلك فى سياق بوليسى شيق. وفى المقالة السادسة يتحدى جون فالانس، أستاذ الأدب الإغريقى والرومانى، والمؤرخ الطبى، وجهات النظر

التى ترى أن الإسكندرية سيطرت على دنيا الطب، ويقترح أن هناك دليلا ضعيفًا على أن أطباء، أو فلاسفة الطب قد تمتعوا بالرعاية الملكية فى الإسكندرية، أو حتى أن الدراسات الطبية كانت جزءا من البرنامج البحثى للمتحف. مقاله قائم على دراسات الحالة ليدلل على أن وجود المكتبة جعل من الممكن دراسة الأعمال القديمة فى النظرية الطبية بالطرائق الجديدة. كما ساهمت في ازدهار واحد من أكثر فروع الطب تجريبيا وبعدا عن النظريات في الطب القديم. ويوجد اهتمام مشابه فى العلاقة بين النظرية والممارسة، وهو ما يشكل أساس مقالة ريتشارد جرين، المؤرخ المتخصص فى العصور القديمة وتاريخ المسرح، الذى استعمل معرفته التخصصية من القرن الرابع بمدينة بافوس، العاصمة البطلمية القديمة لمدينة قبرص ؛ ليظهر التراث الثقافي والمنهجى الذى تركته الإسكندرية.

إن تنقيبات جامعة سيدنى الأثرية فى مدينة بافوس، الجارية منذ ثلاثة فصول، تعتمد على تتبع منشأ قالب أو أسلوب سكندرى، يحمل تشابهات مع المسرح الرومانى الكلاسيكى. وفى الورقة التالية تم استكشاف مجموعة من التأثيرات الهيلينية التى سيطرت على الحياة الغربية من القرن الأول قبل الميلاد حتى نهاية العصر القديم، لارتباطها بالتعليم العالى الرمانى وتجارة الكتب، وكتب الورقة العلمية صموئيل ليو، المتخصص فى تاريخ الأدب القديم وتاريخ ألمانية. وقرب نهاية الكتاب تقييم باتريشيا جونسون - الأمين المساعد السابق، الوصى على متحف نيكولاس فى جامعة سيدنى مساعدة الإسكندرية - لمدارس الطقوس السرية فى منطقة المتوسط، وبشكل خاص لازدهار المدرسة الأفلاطونية الجديدة فى الفلسفة، الذى غالبا ما شاركت به الإسكندرية. وفى المقالة الختامية تتعدى رؤية العالم المتخصص فى القرون الوسطى وثقافتها جون وارد، ما وراء النيران التى التهمت مكتبة الإسكندرية. والى الأديرة التى تم الاحتفال بها من قبل إمبرتو إيكو، ويستكشف أثر اختفاء مكتبة الإسكندرية على أوروبا القرون الوسطى، وبنية التعليم القديم، فهو يدرس ما تبقى من تراث الإسكندرية الأدبى فى العهد الكارولينى، ويتساءل كيف أن مختلف أنحاء العالم من القرون الوسطى الأوروبية لم يكن لديهم مكتبات تم تدميرها، لأنه كانت هناك مكتبة واحدة فقط من القرون الوسطى اقتربت من مكتبة الإسكندرية فى الطبيعة والمجال. وتلك كانت المكتبة التى يتشكل منها موضوع إمبرتو إيكو (اسم الوردة)، ورغم ذلك فإن هذه المكتبة ما وجدت مطلقا، وتختلف بصورة أساسية عن كل مكتبات القرون الوسطى ، حيث إن لدينا الدليل على ذلك.

دكتور وارد يدفع هذا التناقض بفحص المجال ووظيفته بمكتبة العصور الوسطى، ويختتم عن طريق دراسة لماذا كان على إيكو اختيار مكتبة تتعلق بالقرون الوسطى، تتشابه إلى حد بعيد مع مكتبة الإسكندرية، أكثر من المكتبات الفعلية للفترة التى يستعرضها.

تمثل هذه المقالات مقدمة لعمل جديد يحتوى على رؤى فى الحقول المعرفية الأدبية والتاريخية، وكثيرا منها حفز عن طريق ما يمكن أن نسميه قوة الدفع السكندرى، حيث تمثل ملتقى للبحث فى علم الآثار وعلم اللغات، وتاريخ الفلسفة، وتاريخ الطب، وتاريخ الترحال، وكل هذا ضمن رؤية ترفض تقبل أن الإسكندرية يجب أن تبقى مفقودة بدون أمل فى استرجاعها، وفى نطاق الأساطير والخرافات فقط.

لعل المكتبة القديمة قد اندثرت، لكن يبقى منها روحها النقدية تحت الرماد.

الجزء الأول

الإسكندرية فى التاريخ والأسطورة

الفصل الأول

قبل الإسكندرية: المكتبات فى الشرق الأدنى القديم

دى. تى. بوتس

مقدمة

بين عامى ١٨٤٩ و ١٨٥٤ استرد كل من أوستن هنرى لايارد وهورموزد راسام ما يقرب من ٣٠٠٠٠ لوحة مسمارية وقطع منها فى موقع آشورى لنينوى شمالى العراق. معظمها فى التل الضخم لكيونجيل، ومنذ ذلك الحين فإن معظم العلماء الذين تلوا جاسترد وأوبنهايم فى تعيين شخصية الملك الآشورى الراحل أشوربانيبال (٦٦٨-٦٢٧ ق.م) على أنه قد جمع أول ما له الحق فى أن نطلق عليه مكتبة مجمعة ومنظمة فى الشرق الأدنى القديم. وفى الحقيقة إن جاسترد وأوبنهايم كانا مخطئين بكل تأكيد ليس فقط بسبب أن خليفة أشوربانيبال وهو (سينشريب) (٦٨٨-٦٨١ق.م) كان عنده مكتبة خاصة فى القصر الجنوبى الغربى، أو القصر الذى ليس له مثيل، كما كان معروفا فى نينوى، لكن أساسا بسبب تراكم الأدلة التى تشهد على وجود مكتبات فى أنحاء بلاد ما بين النهرين كافة قبل فترة طويلة من منتصف القرن السابع قبل الميلاد.

إن الهدف من هذه الورقة البحثية ليس إلا توفير رسم تخطيطى لأكثر دليل وثيق الصلة بالموضوع ، والمتاح الآن للتاريخ القديم للمكتبات فى العالم القديم.

١-أصول السلوك (النظام) الأرشيفى

سوف أتخذ نقطة بداية الأطروحة القائلة أنه من أجل أن نتحدث عن المكتبات، فإننا يجب أولا أن يكون لدينا دليل من تصنيف وتخزين النصوص، وكذلك من أجل أن نتحدث عن النصوص فيجب أن يكون لدينا بالطبع دليل الكتابة. وبالرغم من العمل الكثير في العقود الأخيرة المنصرمة في أرجاء غرب آسيا كافة تبقى الحقيقة أن ما يسمى بالنصوص القديمة، التى وجدت فى واركا - المدينة القديمة آوروك فى جنوب العراق والمعروفة منذ بداية هذا القرن - لا تزال أقدم النصوص المكتوبة التى وجدت فى أى مكان فى العالم. ولا يزال التاريخ المحدد لهذه الوثائق مجالا للجدل بسبب قلة الكربون المشع الذى يؤرخ لمنطقة آوروك وكذلك من مواقع قديمة أخرى، والتى أنتجت نماذج لما يسمى لوحات يورك الثالثة والرابعة. ولكننا لن نكون بعيدا فى تحديد نطاق زمنى من سنة ٣٤٠٠ إلى ٣٠٠٠ ق.م.

وبالرغم من الاستقصاء المكثف فى أماكن أخرى، تبدو مقولة أن الكتابة قد اخترعت حقيقية، ليس على نطاق واسع فى جنوب بلاد ما بين النهرين، ولكن بصورة دقيقة جدا فى موقع يورك، مما دفع أحد العلماء المتخصصين فى الحضارة السومرية للتحدث عن مخترع Literatus summorricos urmeky بدلا من المجموعة المهيمنة من الكتاب الأوائل المجهولين كما أكد العديد من العلماء فى السنوات الأخيرة، بحجم يقدر بما يزيد عن ٢٠٠ Ha . ومع حلول الألفية الرابعة قبل الميلاد، فاقت آوروك كل المراكز الحضرية المبكرة الأخرى، وهناك توفرت الشروط المسبقة لظهور الكتابة إلى حد كبير.

لقد خلقت الرواية التى ترى أن كل الأراضى التى تخضع للآلهة، وأن الرجال والنساء يجب أن يعملوا فى ملك الأرض من أجل مصلحة الإله، وأن بيت الإله - المعبد - يجب أن يدار من قبل خدمه (الكهنة)، والكهنوت هو الذى خلق ليس فقط تقسيما اجتماعيا ولكن أيضا خلق قطاعا زراعيا عريضا واقتصاديا معاداً توزيعه بشكل جديد. هنا، مفترق الطرق بين الإنتاج وإعادة التوزيع على شكل حصص عمال البيت، ظهرت الحاجة إلى علم الحساب وعلم الجبر، وكذلك من أجل تخزين المعلومات، واخترعت طريقة العمل Modus operandi على شكل كتابة. ابتكرت الكتابة بالمعنى الدقيق للكلمة، وببساطة حلا لمشكلة تقنية وليس لتخليد الأساطير والملاحم والتراتيل والسجلات التاريخية أو من أجل الدعاية الملكية. ظهرت فيما بعد، لكنها لم تكن فى ذاكرة مخترعى الكتابة، وكانت النصوص المعجمية هى ما صاحبت النصوص الاقتصادية الأولية على الفور فى الشكل

الأول لتطور الكتابة. قوائم الكلمات احتوت على مصطلحات تخص مجالات علم الألفاظ المتفردة، والعناوين والحرف وأسماء الأجسام المعدنية، والسفن الخزفية، والمنسوجات، والمدن، والأشجار، والنباتات، والماشية، والخنازير، والطيور، والأسماك..إلخ، جنبا إلى جنب مع التقرير الحسابي، فإن هذه القوائم المعجمية كانت بلا شك العمود الفقري للتعليم الكتابي المبكر.

ومع التكنولوجيا الجديدة، جاء تطور مرتبط بها يمكن أن نطلق عليه "نظام أرشيفي". أغلبية نصوص أوروك القديمة في عام ٤٥٠٠ متروكة في أعداد وفيرة. سياق الكلام ثنائي أو حتى ثلاثي، منقوش تحت بنايات جديدة خارج المعابد والأبنية الأخرى التي ركبت مجمع إينا-المعبد الضخم لإينانا، إلهة مدينة أوروك. ومن الواضح أنها قد نبذت لبعض الوقت، ربما لقرن أو أكثر، وذلك بعد أن كتبت. كما لاحظ فينهوف، في العادة: السجلات القديمة التي لم يكن هناك احتياج لها من قبل الإدارة ألقيت في الوقت المناسب أو كانت توضع للاستعمال الثانوي كمادة إنشائية..إلخ. النقطة المهمة هنا على أية حال هي أنه لفترة غير محدودة من الوقت - التي من المحتمل أنها قد جاوزت أجيالا عديدة - فإن النصوص في أوروك تمت معالجتها أو أرشفتها بالرغم من الحقيقة القائلة بأن النصوص الاقتصادية بينها لم تعد متداولة بالتأكيد. وهكذا، مع ميلاد الكتابة في الشرق الأدنى فإننا نلاحظ ميلاد سلوك أرشيفي قيم تجاه النصوص المكتوبة.

٢-آليات الأرشفة

لأن النصوص الأولى لمدينة أوروك قد وجدت في خزينة ثنائية وثلاثية فإنه لا يوجد لدينا فكرة عن كيفية التخزين، وتأتي معلوماتنا الأولية عن هذا النوع من منتصف الألفية الثالثة قبل الميلاد. هذه اللوحات قد اختزنت بشكل منظم في هذا الوقت وهو الأمر الظاهر بوضوح عن طريق ما يسمى "بيت اللوحات" في فارا-الشورباك القديم ancient shuruppak- وفي غرفة ٢٧٦٩ في القصر الملكي (ج) في تل مارديخ-الإيبلا القديمة ancient Ebla- في سوريا، حيث يرجع تاريخ كل منها إلى عامي ٢٦٠٠و٢٤٠٠ ق.م. أوحت مجموعة السجلات الإدارية الاقتصادية والنصوص المدرسية، ومثال على ذلك القوائم المعجمية واللوحات التعليمية (بعضها يحتوى على قطع أدبية) في

مجموعات اللوحات فى المواقع المذكورة تقريبا، والتى تعكس بصورة أكثر تقريبية الموقف الذى ساد فى أواخر الألفية الرابعة، أوحت بأن التعليم الكتابى أفضى إلى التعاون والتطور والإدارة اليومية، وبأن النشاط السابق تطلب حماية أنواع محددة من النصوص التى يمكن أن تدرس أو تنسخ من قبل النُسَّاخ. وربما كان هذا المتطلب التعليمى مثله مثل تقليد حفظ الدفاتر مسئولا عن أرشفة النصوص منذ بداية تاريخ بلاد ما بين النهرين. لكن ماديا فصل العمليتين–تخزين المعلومات والكتابة–من الممكن أن يلاحظ فى (إيبلا)، حيث تمثل الغرفة (ل) ٢٧٦٩ غرفة المحفوظات الحقيقية التى تخزن فيها النصوص وتراجع، بينما الغرفة المجاورة (ل) ٢٨٧٥ يبدو أنها كانت حجرة النُسَّاخ، حيث يجلس الكتبة على مقاعد منخفضة مصفوفة حول جدران الغرفة ويكتبون النصوص الجديدة.

من الواضح أن الغرفة الأرشيفية القديمة كانت ذات أهمية لتاريخ المكتبة بوجه عام، فالتنقيبات من قبل العرب فى تللو عثرت على مقاعد من الطوب اللبن التى يبلغ عرضها ٥٠ سم على حد سواء تجاه الجدران، وفى منتصف الحجرات فى المبنى الأرشيفى الذى فيه بحدود ستة صفوف من اللوحات فى عهود شولجى (٢٠٩٤–٢٠٤٧ ق.م) وعمارسين (٢٠٤٦–٢٠٣٨ ق.م) كانت مرتبة فيما ظهر أنه ترتيبا زمنيا.

آثار الرفوف الخشبية معروفة فى عدد من المواقع تتضمن أور فى جنوب بلاد ما بين النهرين، وإيبلا فى سوريا، وكولتيب وبوغاز كوى فى تركيا. اللوحات الضخمة فى حجرة (ل) ٢٧٦٩ فى إيبلا كانت فى صفوف على أرفف (انهارت بالطبع) ذلك أنها كان من الممكن أن تفحص بدقة وبسرعة مثل بطاقات ملف من قبل أى شخص يحتاج أن يبحث عن نص خاص. بينما فى نيبود كانت اللوحات مرصوصة مثل كتب على رف، وقد وجد قرص عسل من بيوت الحكام يتألف من ٢٥إلى٣٠ سم، وكوات مربعة تبلغ كل واحدة منها فى المتوسط من ٤٠ إلى ٥٠ سم فى العمق فى جدار غرفة المكتبة لمعبد نيبو فى خورزأباد–دور شروكين القديمة–فى آشور، ويضم لوحات لأنواع فنية معينة، بينما اتخذ ترتيبا مشابها فى حجرة رقم ٦١ من قصر سنسكريب فى نينوى للاحتفاظ بوثائق ورق البردى. وقد اكتشفت صناديق من القرميد، التى وصفت أحيانا بأنها حاويات للتخزين فى القصر الشمالى الغربى من نيمرود، وقد خدمت هذه الأدلة جنبا إلى جنب مع الصناديق الخشبية والسلال المصنوعة والحقائب الجلدية فى حفظ اللوحات التى كانت قيد الاستعمال أو فى أثناء نقلها.

وجدت القوائم الصغيرة-وظفت كعلامات-بصيغة gigipsan.dub.ba...i. (in.) gal التي تعني: صندوق أو سلة اللوحات الذي يحتوي على... والملحق باسم واحد أو أكثر من الموظفين وتاريخ. والحقيقة القائلة بأن العديد من هذه القوائم تكون مثبتة ترجح أنها كانت مثبتة إلى حاوياتها الخاصة عن طريق حبل. وفي حالات أخرى، عادة ما كانت الحافة العليا للوحة مكتوبا عليها؛ لذلك فإنه عندما كانت اللوحات واقفة مثل بطاقات الملف، يستطيع أي شخص أن يقرأ التاريخ، وأحيانا ملخصا للتعاملات المسجلة، ومن حين لآخر اسم الكاتب المسئول. وفي ماري في سوريا، تبدو اللوحات الصغيرة المميزة بتخطيط المغرة الحمراء لتمثيل نصوص اقتصادية، سجلت محتوياتها وأدخلت في نص ملخص مستعرض كبير.

يوجد وسيلة أرشيفية أخرى يجب ذكرها، فهي وسيلة جوهرية، أعني شكل اللوحة، فكما لاحظ فينهوف أن اللوحات المعروفة من مجموعة متنوعة من الأشكال تتراوح من النصوص الزراعية المستديرة لفترة أور الثالثة (٢١٠٠-٢٠٠٠ ق.م) في تيللو، إلى اللوحات الصغيرة التي استعملت في التعاملات الاقتصادية اليومية، وكذلك اللوحات الطويلة متعددة الأعمدة التي استعملت للقوائم المعجمية، وهكذا فمن الممكن أن يكون نوع اللوحة متصلا بشكلها، واللوحات التي تخص الرسوم المنفصلة من الممكن أن تصنف وتخزن بشكل منفصل.

وتكفي الملاحظات القليلة لكي نُظهر أن التنظيم الطبيعي لمجموعات اللوحات ورعايتها كان متطوراً بشكل جيد في بلاد ما بين النهرين قبل فترة طويلة من زمن أشوربانيبال. ولكن كيف تنتقل من أماكن حفظ السجلات إلى المكتبات؟

٣- سبب وجود وإنشاء مكتبة بلاد ما بين النهرين القديمة

حتى الآن، تكلمت فقط من واقع السجلات الرسمية والمعبد والقصر، هذا فضلا عما يسمى "السجلات الخاصة" التي تمثل في أغلب الأحيان تسجيل نصوص صفقات تجارية، ومشتريات وعقارات..إلخ، لشخص أو عائلته، أحيانا على مر العديد من الأجيال التي أدت إلى التجميع الطبيعي للوحات داخل المنزل.

بداية من الألفية الثانية قبل الميلاد أصبحت نماذج السجلات الخاصة متعددة جدا، لدرجة أن المقام لا يتسع لتلخيصها وعرضها ها هنا. ولكن لا هذه "السجلات

الخاصة" ولا السجلات الرسمية التى نوقشت فى وقت سابق يمكن أن يقال إنها تؤسس "مكتبات" بالمعنى الدقيق للمصطلح.

بالنسبة إلى أوبنهايم كانت السمة البارزة لمكتبة أشوربانيبال أن محتوياتها كانت ممثلة لحاصل جمع التقاليد المكتسبة لبلاد ما بين النهرين القديمة، بينما أغلب السجلات كانت مجموعة من النصوص الاقتصادية، مع مزيج من النصوص المعجمية والمذهبية اعتبرت ضرورية من قبل الكتاب الذين كتبوا اللوحات الإدارية. إن فكرة تدفق التقاليد، تلك ما يمكن أن يطلق عليها مجموعة النصوص الأدبية التى تم الإبقاء عليها نشطة بعناية التقاليد التى تخدم عن طريق الأجيال المتعاقبة من الكتبة المدربين والمتعلمين، هى أمر حيوى لفهم كل من وجهتى نظر "أوبنهايم" والقدماء.

تقليد نسخ النصوص، وفيما يتصل بذلك من إرساء التقاليد يعود لأواخر الألفية الرابعة قبل الميلاد، حيث عثر على نسخ من بعض القوائم المعجمية القديمة فى آوروك، التى وجدت فى صورة نسخ من مواقع بلاد ما بين النهرين الأخرى من ألفى عام إلى ثلاثة آلاف عام، ولهذه النزعة نفسها، الخاصة بالنسخ وإعادة النسخ والحفظ والنقل، ندين بمعرفتنا لمعظم أدب بلاد ما بين النهرين، والتراث التقليدى العلمى. ربما كان إيرنستا ويدنر الأول فى التأكيد على أن – بغض النظر عن ثلاثين ألف اللوحة والقطع المستعادة فى التنقيبات – العدد الفعلى للوحات فى مكتبة أشوربانيبال كان أكثر من ٥٠٠٠ مع العلم بأنه لم تحسب نسخ اللوحة نفسها .

وصل أوبنهايم بعد ذلك إلى تقدير أكثر اعتدالا لحوالى ١٥٠٠ مخطوطة، ولكن سيمو باربولا لفت الانتباه مؤخرا إلى ثلاثة نصوص إدارية مؤلفة من قطع من نينوى تسجل مكتسبات أو إضافات إلى مكتبات القصر من نينوى وتبلغ ٢٠٠٠ لوحة و ٣٠٠ لوح خشبى معد للكتابة. مفترضا أن هذا كان مكسباً فرديا مهما للمكتبة، العدد الكلى للمخطوطات ربما فى الحقيقة كان قريباً من العدد ٥٠٠٠ الذى قدره ويندر. وبالنسبة إلى أوبنهايم، كانت مكتبة نينوى "ممثلة" لتقاليد بلاد ما بين النهرين المكتسبة. إن *السؤال هو : ماذا حوت المكتبة؟* مثل معظم المكتبات، كانت مجموعاتها متباينة.

قام أوبنهايم بمحاولة مضنية لتصنيف محتوياتها على أساس ٢٥٢٥٧ لوحة وقطعة ، نشرت أو فى أغلب الأحوال فهرست بمحتوياتها المدونة فى ملخص من سطر واحد. وفى الخمسينيات، أدرجت بترتيب كثافة ورودها كالتالى: نصوص تكهن ٣٠٠، مجموعة تعاويذ لأغراض علاجية مسهلة بالإضافة إلى نصوص ١٠٠، حكم وأمثال

الأدب الملحمي، ومثال على ذلك نصوص ٣٥-٤٠ جلجامش، اتراهاسيس، ايرا، ايتانا، انزو، ادبا..إلخ.

بالرغم من أنه كان يحتقر بعض الشيء فعل مثل هذا، فإن أوبنهايم قدر أن عدد السطور على هذه النصــوص يفـوق عـدد سطور الريفـجـادا (حـول حـجم إليـاذة هوميروس)، والملاحم الهومرية بالإضافة إلى العهد القديم والجديد (الذى يفوق الملاحم قليـلا) فـقط بالنسـبة إلى عـدد الآيات ومن المحـتمل أنه يتجـاوز حـجم المهـابهـاراتا بأشعارها البالغة ١٩٠٠٠٠ بيت شعرى.

إذا تفحصنا - بتفصيل أكثر - القوائم الرائعة التى لفتت انتباه باربولا، فإننا عندئذ نجد عدداً لا يقل عن ٣١ من أنواع النصـوص المختلفة (التى تشتمل على كل تنويعـات نصـوص الكهنوت) ١٧ منهـا فـقط مصـدقـا عليـهـا من قـبل نموذج وحـيـد. والنصوص الأكثر شيوعا المدرجة بالأسفل (> تعنى "على الأقل"):

نصوص haruspical	> ١٣٥ لفافة كتابة
نصوص تنجيمية	> ١٠٧ ألواح كتابة، ٦ لفافات.
نصوص دنيوية	> ٧٩ لوح كتابة، ١ لفافة.
وصفات طبية	> ٦ ألواح كتابة، ٢٤ لفافة.
نصوص تفسير أحلام	> ٢٢ لوح كتابة.
نصوص teratologicat	> ١٠ ألواح كتابة، ١٠ لفافات.
وصفات طرد الأرواح	> ١٨ لوح كتابة، ١ لفافة.
ملاحم، أساطير	> ١٠ ألواح كتابة.

قدر أوبنهايم أن الأدب المحض (أدب الشعر والمسرحية والرواية) الذى اشتهرت اليوم بسببه بلاد ما بين النهرين - سواء أسطورة الفيضان أو ملحمة جلجامش - قد شكل جزءاً تافها فى العدد من الممتلكات فى مكتبة أشوربانيبال، فالدليل الجديد المقدم من قبل باربولا يؤكد هذا، فإلى هنا نجد أن الهوس بتوقع المستقبل وتقسيم اللحظة الأكثر ملاءمة لفعل معين - سواء كانت لشخص أو أمة كاملة - حاز اهتماماً كبيراً. بينمـا يكتب باربولا أن هذا فى الأغلب أدب خـبـراء فى تراث بلاد مـا بين النهـرين التقليدى: العلمي والديني. هؤلاء الخبراء العلماء كانوا بين المستويات الأعلى فى البلاط

الملكى، البعض حتى حقق نوعًا من الشهرة الخالدة مثل الحكماء مما جعلهم أشبه بأبطال الأساطير.

وكما لاحظ أوبنهايم أن الكتبة العلماء وجهوا اهتماما خاصا ولكن ليس مقصورا على شخص يكون مع التنبؤ عن طريق تفسير الإشارات المنذرة بسوء العاقبة، هم يتوقعون المستقبل للملك والبلاد والأشخاص الذين لا يتولون منصبا أو عملا عاما. هذا ما يفعلونه على أساس الكتب الدراسية المتقنة. مثل هذه الخلاصة الوافية التى عمل فيها أجيال عديدة من العلماء تشكل الجزء الرئيسى من مجموعات النصوص المنظمة القادمة من بلاد ما بين النهرين. وهكذا تكون النصوص التى كتبها الخبراء والعلماء التى وصفناها للتو هى الأغلبية الساحقة من المخطوطات التى وجدت فى مكتبة أشوربانيبال.

٤- سياسات الاقتناء فى المكتبات

بالرغم من أن تقليد النسخ كان الآلية الأساسية فى بلاد ما بين النهرين القديمة من أجل نقل المعرفة، فإن هناك سمة أخرى لمكتبة أشوربانيبال يجب ذكرها ونعنى كيفية اقتناء الكتب وجمعها. فليست كل النصوص التى وجدت فى نينوى كانت مكتوبة هناك. وكما شدد ويليام هاللو، حتى على مستوى الناسخ الفرد فربما أن طرق المدارس الناسخة قد شجعت تلاميذها على أن تشيد وتحافظ على مكتبات صغيرة تخصهم. فى الحقيقة تلك اللوحات جمعت من مصادر أخرى، مثل بعض اللوحات المقتناة فى مكتبة أشوربانيبال.

جاء اثنان من تابنى، الكاتب الخصى الرئيسى لولى العهد الآشورى، وثمانية عشر نصا تشتمل على مقالة قصيرة تدعى "حبل السماء" وستة نصوص من التراث التقليدى الدينى، وخمسة نصوص معجمية مكتسبة من أخى أشوربانيبال–أشوشور موكين بال Ashshur-mukin-pale، وكذلك وصل إلينا من كتبة وقساوسة وطاردى الأرواح الشريرة الآشوريين.

استنتاج باربولا هو أنها كانت هبات معدة من قبل المالكين أنفسهم فى أثناء حياتهم. بغض النظر عن هذه المقتنيات الفردية، نعرف أن لب مكتبة أشوربانيبال كان مجموعة لوحات الكاهن نابوزكوب كينو من نيمرود، التى يرجع تاريخها إلى أواخر القرن الثامن وأوائل القرن السابع قبل الميلاد، التى جلبها أشوربانيبال إلى نينوى. وبسبب

أن بعض النصوص فى مكتبة أشوربانيبال يرجع تاريخها- على سبيل المثال - إلى ٦٧٠ و ٦٦٥ و ٦٥٥ ق.م)، مثل اثنين من قوائم مقتنيات المكتبة الثلاث قيد المناقشة (فى حالة واحدة إلى ٢٨ يناير عام ٦٤٧ ق.م)، وآخر يرجع إلى مارس ٦٤٧ ق.م، نستطيع القول بثقة إن مكتبة مثل هذه استغرقت عقوداً لكي تجمع مقتنياتها. علاوة على ذلك، فإنه من المهم ملاحظة أن أشوربانيبال جمع لوحات على طريقة بعض الطغاة، فى وقت الحرب جمع أعمالا فنية، صب النصوص البابلية المسجلة فى دليل المقتنيات، حدث حوالى خمسة أشهر بعد سحق أشوربانيبال لأخيه المتمرد شاماش شومكين shomash-shum-ukin الذى انفصل عن أخيه وتحدى السلطة الآشورية فى بلاد بابل. وكما يلاحظ باربولا، فمن المحتمل أن أشوربانيبال استغل الموقف لزيادة مقتنيات مكتبته عن طريق مصادرة اللوحات وقتما يشاء. الحقيقة أن ألواح الكتابة العشرة المقتناة من بيت إيبا BIT-IBA تعتبر ذات دلالة خاصة لأنها كانت أسرة بابلية من الجنوب، والمشابه فى بعض النواحى إلى قبيلة تدعى أنها منحدرة من سلالة بطل eponymous أطلق اسمه على القبيلة التى كانت فى حالة حرب مع الإمبراطورية الآشورية.

توجد رسالة آشورية مجهولة تنسب إلى ويدنر وباربولا موجهة من أشوربانيبال إلى شدونو، حاكم بورسيبا، وتأمر بوضوح بمصادرة كل أنواع الأعمال الأدبية من كل من المعبد والمكتبات الخاصة لإدراجها فى مكتبات نينوى. هذه الوثيقة الفريدة تستحق الاقتباس بالكامل فيما يلى:

«كلمة من الملك إلى شدونو: إننى بخير وبحالة نفسية جيدة، فى اليوم الذى تستقبل فيه لوحتى [رسالتى]، يجب أن تأخذ معك شوما بن شومكين، وأخاه بيل إيتر، وكذلك أبلا بن اركات إيلانى، والخبير البورسيبى الذى تعرفه، ثم تحمل كل اللوحات التى فى منازلهم بالإضافة إلى تلك المودعة فى إيزيدا [المعبد الرئيسى لإله مدينة بورسيبا، نابو]. وتجمع اللوحات التى تقع عند شواطئ الأنهار الملكية أثناء أيام شهر نيسان، والتعويذة الحجرية التى بليت على النهر أثناء شهر تشرين، ولوحة المحاكمة بالتعذيب عن طريق الماء، والتعويذة الحجرية التى بليت بالنهر لتقدير اليوم، والتعاويذ الحجرية الأربع، التى نصبت فى أعلى وأسفل السرير الملكى، وسلاح إيرو الخشبى أعلى السرير الملكى، واللوحة الكاملة لتعويذة مايبا، وماردوك "تمام الحكمة". سوف تبحث عن لوحات المعركة وترسلها إلى كلما استطعت إلى ذلك سبيلا، علاوة على لوحة "دمائهم" وتلك اللوحات المتبقية والمتاحة، وأيضا لوحات "فى المعركة الحربة لن تأتى بجانب الرجل" و"لكى تستقر فى البرية (ومرة أخرى) لكى تنام فى القصر" (بالإضافة

إلى) طقوس وصلوات، ونقوش الحجر، وكل ما هو مفيد للأسرة الملكية مثل نصوص التكفير من أجل مصلحة المدن لتفادى عين الشر، وأى شىء آخر مطلوب فى القصر، كل ما هو متاح، وأيضا اللوحات النادرة التى ليس لها نسخ والموجودة بالإمبراطورية الآشورية. أنا بالفعل كتبت إلى مشرف المعبد وإلى القاضى الرئيسى أن تضع اللوحات فى منزلك المخصص للتخزين وأن لا أحد سوف يحجب عنك أية لوحة، وفى حالة أنك يجب أن ترى بعض اللوحات أو كتب الطقوس، التى لم أذكرها لك، والمناسبة للقصر، افحصها وامتلكها وأرسلها لى».

ربما كان ويدنر الأول فى تأكيد حقيقة أنه عن طريق الصلصال الذى منه صنعوا - وكذلك عن طريق قواعد إملاء الكتابة - العديد من النصوص فى مكتبة أشوربانيبال يمكن تمييزها كنصوص بابلية أصيلة وليست نسخًا من النصوص البابلية. وهذا مؤكد من قبل دليل المقتنيات. وهكذا، فمادة أى من المقتنيات تقرأ على النحو التالى:

لوحة عمود واحدة، ضد السحر، موشيزيب - نابو بن نابو شوم ايشكون، كاتب ملك بابل، بينما السجلات الأخرى من الرثاء وواحدة من كتاب الحلم، فى كل اللوحات التى تبلغ ١٢٥ لوحة، أرابو، تعويذة من نيبور. مصدر هاتين القطعتين - بابل ونيبور - تقعان بعيدا إلى الجنوب من نينوى فى قلب بابل. بالطريقة نفسها، عديد من اللوحات التى تخص السلسلة التنجيمية "اينوما آن انليل" من مجموعة لوحات نابوزكوب كينو من نيمرود الذى كان يعمل ككاتب كبير لسرجون الثانى (٧٢١-٧٠٥ ق.م) وكذلك سنكريب (٧٠٤-٦٨١ ق.م) امتدت على الأقل عبر ثلاثة وثلاثين عاما بين ٧١٦ و ٦٨٣ ق.م. تحتوى على نصوص ثانوية مماثلة لنصوصه كنسخ من النصوص الأصلية من بابل وبورسيبا و آوروك وكيش. ويتساءل البعض كيف اكتسبت النصوص الأصلية "نابو زكوب كينو"؟ كان واضحا عندما قال إنه قام بعمل نسخه فى نيمرود، وليس فى بلاد بابل، ولكننا لا نستطيع أن نقول ما إذا كانت النصوص قد وصلت هناك كغنيمة.

٥-إعادة النظر فى تفرد مكتبة أشوربانيبال

الآن يجب أن يكون واضحا أنه بالنظر لكل شىء قيل فإن مكتبة أشوربانيبال لم تكن فريدة، ولم تكن -كما ادعى أوبنهايم ذات مرة- المكتبة المجمعة المنظمة الأولى فى العالم القديم. دليل المكتسبات المنشور من قبل باربولا ينسب مئات اللوحات إلى

مانحين فرديين-٤٣٥ إلى نابو العاشر، و٣٤٢ إلى نابو أبالدين، و١٨٨ إلى نابو نادين ابلى- ولا يهم ما إذا كانت هذه اللوحات قد صودرت أو منحت، ما يهم هو أن هذه المعلومات تظهر وجود العديد من المكتبات الخاصة المجهزة جيدا فى الفترة الآشورية الجديدة، التى لم تكن ببساطة مجموعات من الإيصالات والرسائل العائلية. ولم تكن هذه حالة فريدة فى نينوى أو فى أشوربانيبال، الذى افتخر بنفسه لكونه رجلا متعلما وقال عن نفسه، الكنز المختفى، والفن التام للوحات المكتوبة التى فحصتها فى بيوت السماء والأرض، والتى سلمت لى من كل الخبراء.

لب مكتبة أشوربانيبال جمع من قبل كاهن في نيمرود في أواخر القرن الثامن وبداية القرن السابع قبل الميلاد، ولكن هناك مثالاً آشوريا آخر يسبق تاريخ أشوربانيبال بحوالى ٦٠٠ عام. اكتشف المنقبون الألمان عام ١٩٠٤م فى آشور مكتبة فى معبد آشور إله المدينة، ويظهر تركيبها بشكل حاسم أنه لم يكن هناك شيء فريد على الإطلاق حول مشروع أشوربانيبال. المجموعة يمكن أن تنسب إلى اثنين من أسلاف أشوربانيبال العظماء على عرش الإمبراطورية الآشورية: توكولتى نينورتا الأول (١٢٤٣-١٢٠٧ ق.م) وتيجلاث بيلير الأول (١١١٤-١٠٧٦ ق.م) كليهما قاد حملة ضارية ضد بلاد بابل فى أثناء حكمه.

ومع ما نعرفه عن نمو السلطة السياسية الآشورية والتقاليد المكتسبة، فإن من المفهوم أن كل ملك مثل أشوربانيبال بعد قرون عديدة كان عنده شهية شرهة لنصوص بابلية شوهدت كنماذج أكثر تطورا من الحكمة والتعلم تحققت حتى الآن فى الشرق الأدنى القديم.

اكتسبت لوحات تعود إلى عهد حمورابى البابلى (١٧٩٢-١٧٥٠ ق.م) عن طريق هذين الملكين الآشوريين الأوسطين بالرغم من أن معظم لوحاتهما البابلية المسلوبة تؤرخ لفترة هيمنة كاسيت فى بلاد بابل التى بقيت من عام ١٦٠٠ إلى عام ١١٥٥ ق.م. كما هى الحال مع مكتبة آشور، نستطيع تمييز أنواع كثيرة من النصوص فى مجموعة معبد آشور تشتمل على نصوص قانونية (ومثال على ذلك مجموعة القوانين الشهيرة لحمورابى) ونصوص دينية من كل الأنواع، ونصوص طبية ومعجمية (مثال على ذلك القائمة الثنائية لإله يسمى آن AN). ونصوص أدبية (مثال عليها ما يسمى المناقشات، مثل المناقشات بين شجرة النخيل وشجرة الطرفاء)، وخلاصة وافية من مراسيم آشورية ملكية صدرت من قبل مالا يقل عن تسعة ملوك مختلفين.

تعطينا بيانات النشر على النصوص المكتوبة بالفعل فى آشور اسم مجموعة من الكتاب، منهم ثلاثة أبناء لنينورتا–أو باليستو، الذى حمل اللقب tu pshar sharri أو كاتب الملك – الذى انشغل بشكل خاص فى نسخ نماذج للإيداع بالمكتبة. وكما أكد وايدنر، لم تكن فقط حقيقة أن الاختيار الصحيح للأعمال المشار إليها هى التى تبرر دعوة مجموعة معبد آشور بالمكتبة، بل أيضا الدليل الواضح لإجراءات الفهرسة الذى يضيف مصداقية لاستعمال المصطلح. بهذا أعنى أن نصوصا فردية بدأت تكون مخصصة للسلسلة القانونية (مثال على ذلك لوجال–إى إس آى جى، و إل إيه إم، ودى إى آر آى) ، التى كتبت أسماؤها بوصفها نصوصاً ثانوية على لوحات فردية خصصت لتلك السلسلة. فى إحدى الحالات يوجد لوحة تنتمى لسلسلة دينية معينة لها العدد ١٥ فى نص مزدوج بافتراض تمييزها كواحدة من مجموعة لوحات تنتمى إلى تلك السلسلة. علاوة على ذلك، تم تجهيز فهارس صحيحة لمجموعة معبد آشور، جمعت فى نسخ متعددة بوصفها فهارس لكل التراتيل، مرتبة بعناية بالأسطر الأولى منها، كما جرت العادة فى الإمبراطورية الآشورية وبلاد بابل فى الألفية الثانية قبل الميلاد.

وجدت فهارس متشابهة فى مكتبة أشوربانيبال، كما وجدت بطاقات تحمل أسماء سلسلة نصوص فردية مثل السلسلة التنجيمية "اينوما انو انليل" التى ربما علقت على أرفف اللوحات. وتوجد تعليقات على بعض النصوص الدينية من نينوى، مثل النصوص النذرية الثلاثة من السلسلة التى تدل بوضوح على النصوص الدينية التى صنفت. من ناحية أخرى، كان هناك حذر فى عزل النصوص غير القانونية عن هذه المخصصة للسلسلة. وهكذا، نقرأ فى إحدى الحالات: "هذا ليس نصا قانونيا، بل هو دينى وليس من السلسلة"، أو "هذا النص ليس من السلسلة، ولكن من فهم المعلم".

إذا كانت مكتبة معبد آشور تؤكد على وجود مكتبات متطورة فى الإمبراطورية الآشورية – قبل وقت أشوربانيبال المصدر البابلى للعديد من اللوحات فى كل من مكتبات نينوى وآشور– فهذا يترك يقينا فى وجود مكتبات ببلاد بابل. ولا يوجد شك فى أن أحد أعظم الاكتشافات المثيرة فى العقد الأخير فى علم الآثار فى بلاد ما بين النهرين كان مكتبة كاملة لمعبد بابلى جديد باللوحات فى موضع على الأرفف، حيث عمل فريق من علماء الآثار العراقيين من جامعة بغداد فى شهر يناير ١٩٨٦ فى الموقع المهم فى سيبار بوسط العراق.

حدثت تنقيبات فى معبد متفرع من المعبد الرئيسى لإله الشمس شاماش، والمعروف بإيبابار، أو "البيت الأبيض". بالرغم من أن ما تحقق من قبل فى أواخر القرن

التاسع عشر وأوائل القرن العشرين من قبل هورموزد، نيابة عن المتحف البريطاني، وكذلك "فينسنت شيل" من متحف اللوفر، اكتشف الفريق العراقي غرفة لم تمس من قبل، ووصفت حالتها كالتالي:

شمال شرقي الفناء (أ) توجد غرفة كبيرة (ليست في خطة راسام) مع غرفة ضيقة طويلة تجاور المنطقة الشمالية الشرقية-الجنوبية الغربية بينها وبين البيت الأبيض. المكتبة في غرفة صغيرة تستهل هذه الغرفة الطويلة في نهايتها الجنوبية الغربية. عند دخول المكتبة، التي حفظت جدرانها بحدود ١.٥ متر أو أكثر.. يجد الشخص نفسه في غرفة صغيرة بعرض ١.٥ متر وبعمق ١ متر... في الجدارين إلى يسار ويمين (المدخل) والحائط الخلفي سلسلة من الكوات بنيت إلى الخارج من الجدران المصنوعة من طوب الآجر.

الكوات التي تبلغ ١٧ سم ارتفاعا و ٣٠ سم في العرض رتبت في صفوف واحدة فوق الأخرى، وفي كل من الجدارين الجانبيين أربعة صفوف من الكوات وست كوات في الجدار الخلفي، وهناك ثلاثة مستويات من الكوات محفوظة تماما. والرابعة فوقها، من المحتمل أنها أعلى الكوات، تحطمت في الجانب الأيسر ولكن حفظت في اليمين والخلف، وهكذا، فمن المعتقد أنه كان هناك في الأصل ٥٦ كوة إجمالا.. وكل كوة بعمق ٧٠ سم، وأرفف وجدران داخلية فاصلة من طوب الآجر، لكن القصبات كسيت بالجص من الداخل كبطانة عليا. وفيها تراكمت اللوحات على جوانبها الطويلة مثل الكتب، صفان أو ثلاثة صفوف عميقة، بحدود ٦٠ لكل كوة، وإحصاء من اليسار: الكوات ١ و ٢ و ٣ من المستوى الأعلى (هنا الثالث من الأسفل) والثاني من المستوى الثاني حتى (١٨٧٠) احتوت على ١٨٢ لوحة وقطعة تشتمل على بعض من المستوى الأكثر علوا (الرابع). من المقدر أن أكثر من ٢٠٠٠ لوحة كانت مخزنة في المكتبة.

تشير حقيقة أن هناك غرفة مجاورة لها أرضية مصنوعة من الآجر مطبوعة باسم نبونيدوس (٥٥٥-٥٣٩ ق.م) آخر ملك من الأسرة البابلية الحديثة، وأن آخر نص اقتصادي وجد في المكتبة يؤرخ بالعام الأول من الإمبراطور الفارسي قمبيز (٥٢٩ ق.م)، تشير إلى أنه من المحتمل أن تكون أصول المكتبة قديمة، مع أن الشكل الذي وجدت عليه يرجع إلى أواخر القرن السادس قبل الميلاد.

اللوحـات التى جـاءت من آجـادا وبـابل ونيـبـود–كل المواقع فى بلاد بابل – كـانت موجـودة مع النسخ الأصلية من سيبار، أحد أقدم النصوص عبارة عن قائمة بملكية معبد فى منطقة نيبود ترجع إلى العام السـابع من أداد – أبلا – إيدينا، ١٠٦١ ق.م. وبالمقارنة بالمكتبات الآشورية التى نوقشت مسبقا، تبدو مجموعة سيبار حائزة على نسبـة عـاليـة فريدة من نصـوص أدبيـة وتاريخـيـة، ولكن هذا قـد يكون دليـلا على أن المكتبات الفردية اختلفت فى تركيبها.

أخيرا، يجب أن يكون واضحا أن المكتبات الأصلية لم تكن قاصرة تماما على بلاد مـا بين النهرين، فـأربـعون فـهرس لوحـات (تتـضـمن قطعـا) مـثل تلك التى فى مكتـبـات آشور ونينوى التى نوقشت فى وقت سابق، وجدت من نصوص حيثية فى بوغازكوى العاصمة الحيثية فى تركيا شاهدة على وجود مجموعة كاملة من النصوص. أيضا كشفت التنقيبات فى سلطانتب–الهوزيدان القديم–بجانب هران فى جنوب شرق تركيا عن مكتبة من القرن الثامن قبل الميلاد تخص توردى نيرجال.

الاستنتاج

بالرغم من الأثر الذى لا يمكن إنكاره لاكتـشـاف مكتـبـة أشـوربانيـبـال فى القـرن الماضى، فقد دفعتنا اكتشافات الـ١٤٠ عامـا التـالية على اكتشـاف المكتبة إلى إعـادة التفكير فى المكتبات وأصولها فى الشرق الأدنى القديم. فبينما أشوربانيبال كان من بين أكثر جامعى المخطوطات شراهة فى العالم حتى وقتنا هـذا، فإن اهتمامه بالترتيب المكتـبى لمخطوطاته تـعدى وسـائل تخـزين الوثائق فى بلاد مـا بين النـهـرين، وسـوريا، وأناطوليا، بل مـعظم بلاد الشرق الأدنى فى عصره. هذا السلوك التنظيمى للوثائق جاء متسقا مع ظهور الكتابة فى الألفية الرابعة قبل الميلاد، وهو الأمر الذى لا يوجد حوله أدنى شك. لذلك فلدينا ألفان وخمسمائة عام أو ثلاثة آلاف عـام من التوثيق والتسجيل للمخطوطات التى كانت موجودة باعتبـارهـا مـعرفة متـراكمـة فى وادى نهر الفرات فى اللحظة التى نعتبرهـا لحظة تراكم معرفى كبرى، وهى فتـرة وجود مكتبة أشوربانيبال. وفى ظل هذه الخلفيـة لتجميع المخطوطات وفـهرستها يجب علينا أن ندرك التطور التالى على هـذه الفـتـرة فى مـجـال المكتبـات، وهذه الخلفـيـة هى التى انبـثـقت عنهـا الحـالة السكندرية التى تعتبر الأشهر بين مكتبات ذلك العالم المندثر.

الفصل الثانى

الإسكندرية قلب العالم القديم

ويندى برازيل

توجد الآن جزيرة فى بحر شديد العواصف، أمام نهر إيجيبتوس Aegeptos وتسمى فاروس Pharos وتبعد تلك الجزيرة بقدر ما تبحر سفينة يوما بأكمله فى حالة حدوث رياح شديدة تعصف بتلك السفينة من الخلف، وهناك ميناء له مرساة ذات إمكانيات جيدة يمكن من خلالها أن تبحر السفن متوازية الأحمال وتدخل البحر الفسيح بدون المرور فى المياه الضحلة .

وفى هذا المكان تم سجن مينيلوس Menelaus ملك إسبرطة sparta لمدة عشرين يوما لأنه لم يقم بأداء الحقوق الواجبة تجاه الآلهة، وهو المكان نفسه الذى وضعه هوميروس Homer فى كتابه الرابع من الأوديسا Odyssey منذ ما لا يقل عن ٢٨٠٠ عام .

إنه المكان الذى لم يجل أبدا بخاطرى ولم يدر بخلد الكثير من الناس الذين جاءوا من بحيرة ماريوط Mareotis الداخلية شديدة العمق . إلى هنا فقط من أجل الإرساء والمياه العذبة، وهو المكان الذى توقف أمامه الغازى (المحتل) واعتبره موقعا متميزا لمدينة عظيمة ، ذلك المكان الذى ظلت سلالة الملوك تحكمه لمدة ٣٠٠ عام بداية من عام ٣٢٣ حتى عام ٣١ قبل الميلاد .

إنه المكان الذى احتشد فيه العلماء وجاءوا من جميع أنحاء العالم ليعلِّموا ويتعلَّموا ويتناظروا و ليقوموا بإنشاء أعظم مكتبة فى العالم القديم . وهو المكان الذى نزح إليه الكثير من السلاطين والحكام للحصول على الأموال من الملوك الكرماء ذوى العطاء

الكثير للتعزيز من قوتهم، أو هم أولئك الذين أصبحوا ضعفاء فجاءوا للحصول على ملجأ وملاذ، وهو أيضا المكان نفسه الذى جاء إليه بعض الملوك للحرب والتدمير .

ومن ثم فإن هذا المكان هو الذى جعلنى أقوم برحلة بحرية استكشافية ممتعة، ولم يكن لدى فكرة عن مكان تلك الرحلة ولا عمن سيجذبنى هناك ولا عمن سأقابل هناك ولا عما سأجد هناك . ولقد كنت مصاحبا للورنس داريل Lawrence Darrel خلال رحلته إلى الإسكندرية، وجوستين Justine بلثازار Balthazar مونتوليف Mountolive وكليا Clea، ولقد كنت أيضا، مع سترابو Strabo العالم الجغرافى والرحّالة الذى عاصر أيام ما قبل الميلاد وما بعد الميلاد أيضا وكنت مع كل كاتب قديم كان يستغرق الزمان والمكان فى كتاباته لتصوير ورسم كل جزء من المدينة. ومن خلال علم الجغرافيا الذى قام به سترابو (وبلمحة خاطفة لمستقبل تلك المدينة كما عرفها ديوريل) فإنى أذهب الآن إلى الإسكندرية وإنى ملزم بأن أذهب إليها من أى مكان فى العالم المعروف من القرن الأول من العهد الحديث فربما آتى من إليريا Illyria ومقدونيا Macedonia، وترايس Thrace وسيراكيوس Syracuse فى سيسيليا Sicily، وماسيليا (مارسيليا) Massilia (Marseilles) وبويوتشا (Boeotia) ، وثيسالى Thessaly، وكريت Crete أو مالطا Malta (Melita) ويستغرق ذلك أسبوعين أو أكثر للوصول إلى هناك، ومعظم السفن الذاهبة إلى الإسكندرية سفن شحن لها محطات تقوم فيها بالتفريغ ثم تنتظر لتقوم بالشحن مرة أخرى، وربما أكون مضطرا إلى تغيير السفينة أكثر من مرة فى طريق العودة . ولما عرفت جيدا أفضل السفن الملائمة والسريعة والطرق الآمنة إلى الإسكندرية فإنى أتوجه أولا إلى ميناء كبير لأجد سفينة تبحر مباشرة نحو الإسكندرية. ولقد استقليت السفينة من بيروس Piraeus الميناء الذى يقع جنوب أثينا، وكان الجو صيفا والرياح الموسمية تهب بشدة من الشمال، ووصلت إلى بيلوزيوم Pelusium من الجانب الشرقى لنهر النيل فى ستة أيام .

وتبحر السفينة التى أستقلها من الجانب الغربى من هناك وتقوم بالسير بمحاذاة مخارج نهر النيل العظيم حتى تصل إلى مصب كانوبى، وتبلغ المسافة من هناك إلى جزيرة فاروس حوالى ٣٠ كم .

وجزيرة فاروس هذه قائمة على شكل مستطيل ومتاخمة للبر الرئيسى، وتشكل ميناء مناسبا له فى الإسكندرية، ولهذا الميناء مدخلان وذلك كما وصفه هوميروس فى ملحمته الشعرية منذ ٨٠٠ عام .

وفى عهد الملك الإسكندر الأكبر كان شكل البر الرئيسى لمدينة الإسكندرية شبيها برأس الثور الذى له قرنان مستقيمان كما لو أنهما جزيرتان لهما نتوء فى البحر الفسيح خلف طرفى الجزيرة .

ويعتبر الطرف الشرقى لجزيرة فاروس قريبا للبر الرئيسى ولقمة الجبل المعاكس له التى تسمى لوكايس . ويتسبب قرب كلا الطرفين من الآخر فى أن يجعل البوابة الشرقية للميناء ضيقة جدا، وعلى طرف هذه الجزيرة توجد صخرة وهى بمثابة مصد لمياه البحر . وبما أننى أدخل مدينة الإسكندرية من الشرق فإن أول شىء يتراءى للعين وأنت على متن السفينة ذلك البرج الأبيض المصنوع من الرخام، الذى تم بناؤه على هذه الصخرة، وترى أيضا عددا من البيوت؛ وهذا لأنك ترى الضوء الساطع الذى يأتى من ذلك البرج الذى يمكنك أن تراه على مسافة بعيدة المدى ؛ بالأميال ١٠ أميال أو ٣٠,٠٠٠ خطوة (مسافة الخطوة عند الرومان) أو ٣٥ ميلا أو ٦٠ كم .

ويخبرنى سترابو بأن هذا البرج، قام ببنائه سوستراتوس ملك نيداس كهدية، وكان صديقا لأول ملكين على الإسكندرية يدعى كل منهم باسم بطلميوس وهذا البناء يحمل إهداء مكتوبا فيه :

من سوستراتوس ملك نيداس بن ديكسيفاينز بالنيابة عن القائمين على الملاحة البحرية إلى الآلهة المخلصة . وهؤلاء إما أن يكونا الملك بطلميوس الأول والملكة بيرينيس أو المقصود بهما التوأمان الأسطوريان القائمان على حراسة البحر، وديسكورى، وكاستور وبولكى، وأنا أتفق مع الكثيرين منها وأفضل القول إن المقصود بهم من تم ذكرهم أخيرا من هؤلاء . وقد ذكر بلينى الأكبر فى كتابه الموسوعى الذى يتحدث عن المعلومات غير ذات الأهمية عن العالم الطبيعى أن هذا البرج قد شارك فى بنائه ٨٠٠ من الموهوبين، وأن برج المراقبة يستخدم لإظهار الضوء باعتباره منارة ولتحديد الاتجاهات للسفن ليلا حتى يتسنى لها دخول الميناء، وتتحاشى الحواجز الرملية أو الصخور النائتة قرب سطح الماء، ويصف غابوس يوليوس قيصر هذه المنارة فى مذكراته عن الحرب المدنية بأنها برج ذو ارتفاع عظيم وهو عمل تشييدى بارع .

وقد ذكرنا آنفا موقع المنارة القديمة التى مازالت آثارها المتبقية موجودة وتسد سطح المياه فى البحيرة التى بجوارها، وقد تذكرت أن توبى مانارينج Toby Mannering أراد ذات مرة أن يبدأ مشروع التجارة فى الأشياء القديمة القيمة وذلك ببيع الأجزاء

المتبقية من المنارة لتستخدم مثقلة توضع على الأوراق منعا لتطايرها . وكان مانارينج قد أوعز إلى سكوبى (Scobie) أن يكسر تلك الأجزاء بالمطرقة ثم بعد ذلك يقوم هو بتوزيعها على بائعى التجزئة فى جميع أنحاء العالم . ولا أذكر لماذا باء هذا المشروع بالفشل .

وعندما أطللت بسلام على البر كنت سأقوم بعرض بناء هذا المبنى السياحى لبوسيدون (Posidon) وديسكورى (Discuri) بالنيابة عن كل من ارتأى تأسيسه؛ لأن الكثير من الصخور تتجمع فى هذه المياه وحولها، ونحن فى حاجة إلى وضع علامة للحدود تكون عالية ودقيقة؛ حتى تمكن ربان السفينة من سلوك الاتجاه الصحيح الآمن عند المدخل الضيق للميناء .

وعلى الرغم من أننى قدمت من الغرب – حيث إن الفجوة بين جزيرة فاروس (Pharos) والبر الرئيسى واسعة – فإن الإبحار خلال هذا المدخل إلى الميناء سيكون صعبا؛ لأن هناك أيضا رمالا تحت سطح المياه خطيرة ومن الصعب التغلب عليها؛ ولعل هذا هو سبب تسمية الميناء فى ذلك المكان بـ يونوستوس Eunotus ميناء العودة الآمنة، ولكنى اليوم قادم من الشرق إلى الميناء العظيم، وبينما يتوجه ربان السفينة ويشق طريقه بأمان من خلال المدخل الضيق للميناء فإن لدى الوقت لأتأمل فى مؤسس تلك المدينة التى سميت باسمه، إنه الإسكندر الفاتح الذى جال فى معظم البلاد التى لم تكن معروفة قبل ذلك، وقد جاء إلى مصر عام ٣٣٢ قبل الميلاد، وذهب إلى ممفيس ثم اتجه نحو بحر كانيبوس (Canebus) وأبحر فى بحيرة ماريوط Mareatis ثم وصل إلى الشاطئ الممتد بين البحيرة والبحر ثم بهره جمال الموقع فقرر إقامة مدينة هناك، ازدهرت فيما بعد. وقد أكد بوسانياس Pausanias أنه تم بعد هذا مباشرة تأسيس مدينة صغيرة باسم راكوتيس Rhakotis ازدهرت بجانب الطرف الغربى للمدينة الجديدة .

وكان الملك الأعظم يتوقف فى حياته كثيرا عند بعض الأماكن ويقرر أن تلك الأماكن تعتبر مواقع ممتازة لتأسيس المدن، إلا أن مدينة الإسكندرية فى مصر تم اعتبارها أعظم مدينة بين هذه المدن .

ولقد دون كل من بلوتارخ (Plutarch) وآريان (Arrian) حماس الملك بالنسبة إلى هذا الموقع تحديداً، وشغفه لرسم خطة للمدينة ولم يوجد هناك طباشير أو كان يوجد ولكنه غير كاف لرسم وتخطيط الحدود التمهيدية للبناء، إلا أن أحد البنائين قد فكر فى أن يجمع الدقيق من الجنود ويعين الحدود والخطوط به كما يحددها الإسكندر . وقد

رسم الإسكندر الأكبر الشوارع بعناية ومهارة فائقتين باختيار الزاوية المناسبة للشوارع، التى تمتد من ميناء البحر حتى البحيرة لتتوافق بالضبط مع اتجاه الرياح الموسمية التى تهب عبر امتداد البحر العظيم وذلك يجعل الرياح تمر بين مبانى المدينة المزمع إنشاؤها، وتمد سكانها بالهواء البارد فى أثناء الصيف والطقس المعتدل والصحة الجيدة .

والرياح الموسمية نفسها التى أتت بنا إلى مصر تهب من البحر على مدينة الإسكندرية وتلطف الجو هنا فى الصيف تماما كما تنبأ الإسكندر عندما صمم الزوايا والجوانب الصحيحة لشبكة الطرق لهذه المدينة بعناية فائقة .

وفى نقطة التحول بين ما قبل الميلاد وما بعد الميلاد فإن الإسكندرية تعتبر أفضل مدينة تبعث على السرور، وهى مدينة صحية أيضا . وتجد المياه تغمر المدينة من كل الجوانب، من الشمال خلال البحر الأبيض المتوسط .

ولكن هنا فى الإسكندرية على الأقل فإن الهواء الذى يأتى من البحر يحمى الكثير من الناس من الحرارة الشديدة فى ذلك الوقت من الصيف ويتخلل هذا الهواء أيضا السفن، ويجعل المظلات المزركشة التى توضع على أبواب المقاهى المنتشرة على طول الكورنيش ترفرف .

ومن الجنوب عبر بحيرة ماريوط (Mareotis) المليئة بالكثير من القنوات الآتية من نهر النيل التى تمدنا ليس فقط بالمياه العذبة، ولكن أيضا يتم تصدير أنواع الطعام والبضائع من خلالها من النواحى الأخرى من مصر، وفى بداية فصل الصيف خاصة فإن مياه النيل تملأ البحيرة حتى حوافها حتى لا يستطيع أحد المرور بها كى لا يفسد الهواء .

ويتغير لون مياه بحيرة ماريوط (Mareotis) بين اللون الليمونى والموف، وترى الجوانب الموحلة للبحيرة مليئة بصفحات أو أسطح من الحيوانات البحرية المسماة بشقيق البحر كثيرة الألوان مثل الزهور، وهى تكبر فى الوحل الذى يتجمع بسرعة على الشاطئ .

وفى الوقت الذى كان الإسكندر مشغولا فيه بتعيين الحدود لمدينة الإسكندرية يخبرنا بلوتارخ (Plutarch) بأن أعدادا مهولة من الطيور العظيمة مختلفة الأشكال خرجت كالسحابة السوداء من النهر والبحيرة، والتهمت كل الدقيق الذى كان مستخدما لتحديد الخطوط والحدود .

والبلاد القديمة عندما كانت على حالتها فيما قبل التاريخ كانت البحيرات – مثلا – مازالت على حالتها ولم تمسها أية قدم بشرية حيث كانت سلالات من الطيور مثل البجع وأبومنجل ومالك الحزين كانت كل تلك الأنواع تتكاثر في عزلة تامة .. والأماكن الطبيعية التى كانت خالية من الطيور المغردة أصبحت الآن مليئة بأنواع أخرى مثل البومة، والهدهد، وطائر الرفراف الذى يعيش على الأسماك، وتتجمع هذه الطيور على ضفتى النهر حيث المجرى المائى .

ولم يكن الملك متفائلا بذلك فى البداية إلا أن المنجمين أكدوا له أن هذا علامة على أن مدينته الجديدة سوف تكون مزدهرة ومنتعشة فى كل شيء لاسيما فى زراعة الفواكه، وسوف يكون ذلك عاملا لتزويد الكثير من الأمم بالطعام؛ ومن ثم أعطى الإسكندر الأوامر للبنائين ببدء العمل .

لكن سفينتنا ترسو الآن فى الجانب الأيمن للشاطئ ؛ لأن الميناء عميق جدا وهو لا يسمح للسفينة الكبيرة بأن ترسو بجانب الجسر الذى يقع على حافة المياه . ولما كانت الشاحنة الخاصة بنا تحمل على متنها رزمًا من الكتب فسوف يسمح لنا بأن نرسو فى ميناء الملك الذى تم حفره بالأيدى العاملة، وحيث إننا نبحر بطول حافة رأس الجبل المسمى لوكايس (Lachais) فإن بإمكانى رؤية القصر الملكى والبساتين وعدد كبير جدا من المنازل المطلية بأنواع مختلفة من الألوان الجميلة .

ويوجد على الجانب الأيمن جزيرة ملكية صغيرة خاصة بملوك مصر وتسمى تلك الجزيرة أنتيرودس (Antirchodas) لأنها كانت تعتبر ندا وتحديا لجزيرة رودس (Rhodes) ، ويوجد فى هذه الجزيرة منزل ملكى آخر وميناء صغير للاستخدام الخاص بالأسرة الملكية فقط .

ولقد خطوت خطوات على الشاطئ وصعدت حتى النهاية الجنوبية لقمة الجبل المسمى لوكايس (Lochais) وأدخل عبر بوابة القمر (Gate of Moon) وأمشى بموازاة أحد الطريقين الواسعين جدا اللذين يشكلان المحورين الرئيسيين لشبكة طرق المدينة، وكل الشوارع هنا واسعة لتمكن المشى للخيل والمركبات التى تجرها، ولكنى الآن على حافة بحر بوليفارد أريجوس (Boulevard Argeus) ويبلغ عرضه ٣٠٠ متر على الأقل .

ولو مشيت قليلا فسوف أجد نفسى فى الشارع الذى يتقاطع مع (Meson Pedion) وأمامى مباشرة بوابة الشمس وهى مدخل للمدينة من ميناء البحيرة فى الطرف الأعلى لبحيرة ماريوط (Marrotis) وبالنظر إلى اليسار يمكننى رؤية البوابة الكانوبية (Canabic Gate) وعلى اليمين من الطرف الأقصى لبحر بوليفارد (Boulevard) العظيم أستطيع أن ألمح

البوابة الغربية. وعندما أقف عند ملتقى الطرق هذا فإننى أحلق على خوف على المبانى الضخمة حولى .. مبنى فوق مبنى كما يقول هومير (Homer)، وبالفعل كما قال فكل المبانى متصلة واحد بالآخر، أو واحد تلو الآخر حتى على حافة المياه فإن تلك المبانى تبدو كأنها مرتفعة ومبنية فى الميناء . وإذا أردت التحول إلى اليسار والمرور بالبوابة الكانوبية (Canobic) فسوف أجدنى فى مضمار الخيل، وراء ذلك مرورا بمدينة نيكوبوليس (Nicopalis) الجديدة التى أسسها أوكتافيان (Octavian) لانتصاره على مارك أنطونيوس (Mark Antony) . وكل هذا يحتاج إلى يوم آخر لأننى اخترت أن أتحول إلى اليمين وأمشى نزولا إلى (MesonPedion) تجاه الغرب .

ولقد جئت بسرعة عن شمالى إلى (Paneium) وهو حرم بان (المقدس) pan . وتعتبر (Paneium) هذه تلا صناعيا على هيئة خشب التنوب مخروطى الشكل، وهى تمثل تلا صخريا طبيعيا وبها طريق لولبى الشكل .

ولقد مشيت خلف جوستين Justine كالعادة خلال الشوارع الكثيرة المكتظة بالسكان التى تتوج حصن كوم الدك (Kom ELDIK) محاولا - مع أنى أميل بعض الشيء إلى ذلك -أن أتصور كيف كان شكل هذا الحصن عندما كان متنزها خاصا بـ (Pan) (إله الغابات والمراعى والرعاة عند الإغريق). ذلك المتنزه الذى كانت به تلك الرابية الصغيرة بنية اللون والتى كانت منحنية مثل شجر الصنوبر .

ولقد سلكت هذا الطريق اللولبى الشكل صاعدا حتى القمة، ومن هنا يمكننى أن أرى المدينة بأكملها ومن كل اتجاه .. ويخبرنى سترابو Starbo بأن حدود المدينة مثل المعطف الذى كنت أصنعه وأثبته من حولى على السفينة لمزيد من الدفء فى هذا البحر الفسيح . وتصيب المياه جانبى المعطف كل من مياه البحر وبحيرة ماريوط Mareotis أما جانبا المعطف القصيران فيعتبران طرفى الأرض الضيقة المحاطة من ناحية بالبحر ومن ناحية أخرى بالبحيرة، وربما يكون لدى الآخرين تخيل أقوى من تخيلى لكن لدى صعوبة فى تمييز شكل هذا المعطف الذى شهد به بلوتارخ (Plutarch) عندما تعرض لسيرة الإسكندر الذاتية، ولقد استخدم الإسكندر قطعة من الأرض كبيرة على شكل نصف دائرى وهذا هو الذى أعطاها شكل المعطف (chlamys).

ويخبرنا (Philo Judaeus) الفيلسوف اليونانى اليهودى الذى ولد فى الإسكندرية عام ١٥ قبل الميلاد بأن المدينة كانت مقسمة إلى خمسة أقسام كانت مسماة بـ : ألفا، بيتا، جاما، دلتا، إبيسلون (Alpha Beta Gama Deltaand Epsilon) أما بالنسبة إلى

قسم بيتا Beta فقد كانت المنطقة الشمالية التى ضمت القصور والمتحف و sema، أما الدلتا Delta فقد كانت تجاه الشرق وعرفت بالمقر اليهودى أو الربع اليهودى، لكن حدود ألفا Alphe، جاما Gama وإيبسلون Epsilon غير معروفة بالتحديد .

إن الإسكندرية مدينة الطوائف والفرق، وإن أقل سؤال قد كشف له وجود مجموعات أخرى مماثلة لتلك التى هى معنية بفلسفة النواسك التى تناولها بالثازار: Balthazar شيينراتيز steinerites والعلماء المسيحيون الذين ينتمون إلى مذهب المجيئية أو السبتية؛ القائل بأن مجىء المسيح ثانية ونهاية العالم قد باتا أمرين قريبين .

وبفضل موقع قمة البانيوم Paneiun فبإمكانى رؤية المدينة بجملتها من حولى، كما تظهر على الخريطة فى بداية هذا الكتاب على غير هيئة قنديل البحر الممتد العظيم الذى هو مدينة الإسكندرية .

وتعج المدينة بالمبانى العامة والمعابد والمواقع المقدسة، وبعضها لم يلق اهتماما منذ ما يربو على ثلاثمائة عام، ولكنى عندما صعدت إلى بانوم Paneium وظللت كذلك حتى ميزون بديون Meson Pedion وجدتنى قريبا من المبنى المفضل لسترابو Starbo فى الإسكندرية وهذا هو معقل التعليم الفيزيائى والفكرى الخاص بتاريخ الإغريق لاسيما الشباب الذين يتعلمون هذا التاريخ، والجمنازيوم وهو مبنى له مدخل مذهل يصل طوله إلى مائتى متر .

ومن هنا يمكننى أن أعبر Meson Pedion الذى يبلغ عرضه ثلاثين مترا لأصل إلى الموسليوم Mausoleum أو السيما Sema وهو مكان يحتوى على مقابر أو مدافن الملوك الثلاثة العشر الذين كانوا يسمون بطالمة Ptolemy الإسكندرية والإسكندر نفسه . ولقد أخبرنى البعض أن حارس هذا المكان Mausoleum سوف يمتعنى بالحكايات المختلفة عن نقل وتجميع أجزاء جسد الملك الإسكندر الأكبر، فتحكى إحدى القصص أن Perdiccas أول خليفة للإسكندر كان مرافقا لرفات الإسكندر من بابليون حتى مصر أملا ورغبة فى السيطرة على هذا القطر أيضا، لكن (Ptolemy soter بطلميوس الأول) انتزع منه جسد الإسكندر وبعد ذلك عندما احتجز بطلميوس Ptolemy برديكاس -Perdicass فى جزيرة صحراوية قرب ممفيس قتله جنوده حيث طعنوه برماحهم الطويلة الماسيدنية .

وهناك قصة أخرى أن فيليب أريديوس Philip Arrhideus أخا الإسكندر غير الشقيق قضى عامين فى عمل استعدادات مفصلة لإزالة رفات الإسكندر، لكن بطلميوس سوتر Ptolemy Soter سافر إلى سوريا لمقابلة أريديوس Arrhidaeus ومن هناك أتى بجثة الملك إلى مصر لدفنها. ومنذ عام ٣٢٣ قبل الميلاد كان أريديوس Arrhidaeus الملك

المقدونى بالاشتراك مع Alexander Aegos (الإسكندر الرابع) لكنه فى عام ٣١٧ قتل هو وزوجته بأمر أوليمبياس Olympias أم الإسكندر الأكبر والتى كانت لا تزال على قيد الحياة ولها نفوذ قوى بسبب ابنها الملك ونفوذه .

وهناك قصة أخرى تحكى أن جثمان الملك قام بدفنه بطلميوس سوتر Ptolemy Soter فى ممفيس ولكن بطلميوس الثانى Ptolemy Philadelphus هو الذى نقله إلى مكانه الحالى فى الإسكندرية .

وأيا كان فقد أحضر بطلميوس جثمان الإسكندر إلى الإسكندرية وتم وضعه أخيراً فى منطقة مقدسة ذات مساحة وبناء يليقان بالإسكندر وعظمته ومازال هذا الجثمان هنا يمكن رؤيته، ولكن لم يعد فى التابوت الذهبى الأصلى لأن الذهب قام بطلميوس Ptolemy بسرقته، الذى سمى بعد ذلك بـ Covoss بمعنى أنه كان فاسقا داعرا وسمى أيضا بـ Pareisactus أى المغتصب وأكثر الظن أنه بطلميوسPtolemy الحادى عشر . ويقول ستاربو Starbo إن تلك السرقة لم تكن أبدا فى صالحه، ويبدو أن الآلهة أنفسهم أمروا بأن الإسكندر يجب أن يظل ممجدا فى وسط مدينته المشهورة .

وقد تم صنع التابوت الحالى من مادة شفافة من المرمر أو الزجاج، والجثمان مازال موضوعا هناك بأنف مكسور لأنه عندما كان Octavian أوكتافيان إمبراطور روما طلب رؤية الجثمان فى زيارته للإسكندرية، وعندما جاءوا به إليه لم يره فقط، ولكنه لمسه فكسر جزءاً من الأنف .

وبينما نتحدث فإننى أفكر فى مؤسسى المدينة وفى الجندى الذى فى شكل إله فى تابوته الزجاجى، ذلك الجثمان المرصع بالفضة الذى يقود جواده جانب النهر تجاه قبره .

وعندما أظل مستمرا ناحية الغرب فإننى أجد المبنى الذى أتمنى ويتمنى كل من يأتى من العلماء إلى الإسكندرية أن يراه .

وهذا هو المتحف الذى يشتمل على المكتبة العظيمة ويوجد هنا Exedra حيث سوف آتى غدا لرؤية الفلاسفة والبلغاء والعلماء الآخرين عندما يأخذ كل منهم مقعده للمشاركة فى المناظرات العقلية والفكرية .

إنه رأى المتحف بما يحتوى عليه من الفنانين عابسى الوجوه، الذين أخذوا منحا ومعونات مالية كبيرة ويعملون طبقا للتصميم الذى صممه مؤسسو هذا المتحف، ثم من بين هؤلاء المعتزلين والحكماء رأى الفيلسوف الذى يتمنى أن يكون العالم كله دولة

خاصة به فقط لا يستفيد بها أحد غيره، وفى كل مرحلة من مراحل التطور على كل إنسان أن يبدأ العمل من جديد فى هذا الكون ليجعله موافقا لطبيعته، بينما يستطيع كل مفكر وكل فكر أن يضيف شيئا جديدا فى هذا الكون يجعله منتجا مثمرا.

ويحتوى المتحف على ممشى عام، ومنتزه وحديقة حيوان ويوجد مبنى كبير أرى فيه أحد العلماء الموصوف بالبطء وهو يختفى ليذهب إلى حجرة الطعام ليتناول وجبته؛ لأن العلماء دائما ما يتركون أشياءهم الخاصة بهم مشاعًا للجميع، ولهؤلاء العلماء كاهن خاص بهم مسئول عن المتحف . وهذا الكاهن يقوم اليوم إمبراطور روما بتعيينه . لكن كان يقوم الملك بتعيينه فى الماضى .

والآن أسلك أحد الشوارع الجانبية، الذى يؤدى إلى الميناء العظيم وأنا أمشى خلال الساحة العامة وعلى شمالى Caesarium ولقد كان Philo مغرما جدا بـ Cassairum بداية من كليوباترا شرفا لمارك أنطونيوس ونهاية بـ Octavian شرفا لنفسه :

لأنه لا يوجد هنا مكان مثل هذا المعبد الكائن فى مكان مرتفع مواجه للموانئ المشهورة بأماكن إرسائها الممتازة، وهو ضخم ورائع ومصمم على زاوية غير متوازية بها إهداءات، ومحاط بمجموعة من الصور والتماثيل المصنوعة من الذهب والفضة، وهو بذلك يعد مكانا له مداخل جميلة ومزخرفة واسعة جدا وبه مكتبات، وقاعات وبساتين وبوابات كبيرة وممشى واسع ومحاكم وكل شىء به يكسوه الجمال وهذا المكان تم الإنفاق عليه بسخاء ليخرج بتلك الصورة الجميلة .

ويوجد عن يمينى مسرح يصل الإنسان إليه من خلال شرفة مغطاة، تمتد بين الحديقة التى تطل على المياه وتعرف بـ Maeander الساحة المعدة لرياضة المصارعة، ويوجد أمامى الإله بوسيدون Posedium وهو على شكل ذراع موجود فى مقدمة الشاطئ . وهنا سأبحث عن مدخل لمعبد الإله بوسيدون Posedion؛ لأقوم بالانحناء اعترافا بفضل وصولنا آمنين؛ ولأقدم الصلوات للمرور بسلامة من العواصف ومشاكل القرصنة البحرية .

ولقد أضاف مارك أنطونيوس لهذه الذراع مرفأ يصل حتى الميناء العظيم، وبعد هزيمته فى معركة أكتيوم Actium وهجرة كل أصدقائه كان له معتزل ملكى متطرف بعيدا سماه تيمونيوم Timonium وفى ذلك المكان هنا خطط مارك أنطونيوس أن يحيا حياة تيمون Timon فى أثينا المشهور برفضه للبشر والذى كان يكره ويبغض كل الرجال؛ لأنه كان يعتقد أنه ظلم وعومل معاملة فيها نكران للجميل، ويوجد على قبر تيمون Timon نقش عليه كتابة قمت بترجمتها

من اليونانية: أنا مدفون هنا تتفطر نفسى حزنا وكمدا، ووضعتنى أيدى القدر تحت الأرض بدون اختيار فلا تبحثوا عن اسمى فربما يلعنكم الإله وتلقون نهاية حزينة .

لابد من أنه Timonium فعندما رجع أنطونيوس قافلا من هزيمة Actium حيث قد كانت كليوباترا فى سفينتها خوفا وهلعا وحزنت على تلك المعركة الخاسرة تاركة إياه تحت رحمة Octavianus ، فعندما رجع بعد تلك الخسارة وهذا الغضب الناتج عن ذلك ـ حيث لم يكن هناك سوى الانتظار للموت المحقق الذى سوف يأتى عقب وصول Octavian نجد أنطونيوس قد بنى بنفسه صومعة على جزيرة صغيرة، وقد سميت بعد عزلة وبغض للبشر ـ ربما سميت الفيلسوف؟ سميت باسم Timon ولابد أنه كان يقضى وقت فراغه هنا ويفكر مرة تلو الأخرى فى الأمر نفسه ويدرسه فى عقله .

ولقد كانت تلك المرأة ذات السحر الفاتن قادرة على الانتصار .

ولقد دمرت حياته كلها وبعد موت الرب وكل شىء ذى قيمة يجعله ذلك يودعها إلى الإسكندرية، ذلك العالم الجميل .

ولكن حان الآن وقت الرجوع إلى ناحية الغرب؛ لأن لدى عملا كثيرا أود القيام به إذا ما كنت سأمشى وراء عاطفتى نحو تجارة الكتب، وأنا فى حاجة لأحدد مخازن البضاعة فى إمبوريوم Emporium فى كل أنحاء مراسى السفن . ومن ناحية اليمين على حافة الميناء يوجد Neoria وهى أماكن تبنى فيها السفن أو ترمم تمتد حتى هيبتاستاديوم Heptasadium وهو ممر مرتفع ضيق ملىء بالركام حتى قاع البحر ويوجد أيضا كوبرى أرضى أقيم طوله ١٤٠٠ متر، واسمه Heptastadium ويقسم الميناء الطبيعى إلى ميناءين منفصلين، الميناء العظيم، وميناء Eunostos ، وهو يسهل عملية المرور إلى جزيرة فاروس Pharos بالبر الرئيسى . ومازال بإمكان السفن المرور من أحد الميناءين إلى الآخر عبر (من خلال) انقطاعين فى طرفى كوبرىHeptasadium اللذين تغطيهما الكبارى حتى يتسنى للعربات والمشاة العبور نحو الجزيرة التى أجدها قرية كبيرة تقريبا فى حجم المدينة، ولكن حذرنى البعض أنه من الأفضل أن أبقى أو أظل فى البر الرئيسى، حتى إن السفن تكون حذرة من أن تتجنب الجزيرة لأن سكان جزيرة فاروس Pharos – وهم فى ذلك مثل المنتحلين ـ لديهم عادة نهب المركبات التى تسلك طريقها المباشرة بلا مبالاة أو فى أثناء الطقس السيئ . ولما أتى القيصر إلى الإسكندرية كان محتاطا فجعل القوات على الجزيرة ليتأكد من سلامة وصول الإمدادات والتعزيزات العسكرية .

وإنى أمر بشاطئ ميناء Eunotus على عجل بطول أقرب حافة للميناء الصناعى الآخر الذى يسمى سيبوتوس وهذا الميناء مربوط بقناة بحرية حتى بحيرة ماريوط Mareatis ويوجد حول ميناء سيبوتوس Cibotus مراس كثيرة للسفن تسمى نيوريا Neor-ia وهى فى حاجة إلى أن أدرسها وأفحصها على الرغم من أن الكثير من الشاحنات تأتى إلى الإسكندرية من الشمال وتفرغ حمولتها فى الميناء العظيم قرب المتحف .

يمكنك ولو للحظة أن تلقى نظرة إلى أحد أركان الميناء، وبه قبب مبنية مزركشة . ويوجد أيضا سفن شراعية صغيرة وسفن ثلاثية الشكل وسفن لتحميل الخمر ومراكب شراعية ذات صاريين أو أكثر على أشكال وأحجام متنوعة من ناحية الشرم، ويوجد الكثير من الصوارى فى بحر إيجى Aegean.

وهذه الصوارى والسفن الشراعية موجودة هناك عاكسة ضوء الشمس عليها فى المياه العميقة .

وقد حان الوقت لأن أدير ظهرى نحو الموانئ البحرية وأمشى تجاه الجنوب عبر الضفة الشرقية للقناة خلال ضاحية راكوتيس Rhakotis التى بنيت فى المدينة الأصلية والتى كانت لا تزال هنا عندما أتى الإسكندر لتأسيس مدينته الجديدة .. وهنا هو المكان الذى يعيش فيه أهل البلد الأصليون ليس اليونانيين المنتسبين إلى الإسكندر .

ولقد كان هو وميليسا Melissa يمشيان بدون هدف حقيقى عبر المياه الضحلة (المياه القليلة غير العميقة) ببحيرة ماريوط Mareotis كل يتأبط ذراع الآخر وذلك تجاه مجموعة من الأكواخ الطينية حيث كانت توجد بحيرة راكوتيس ذات يوم .

ولقد عبرت ذات مرة بحر MesonPedion وأنا ذاهب الآن نحو سيرابيوم Serapium، على الجانب الآخر للقناة يوجد جزء صغير من المدينة ووراء ذلك توجد مدينة نيكروبليس Nicroplis وهى مدينة الموتى بحدائقها وبساتينها، وبها cotagogae وهى محطات على جانب الطرق وهى مبنية لتحنيط الجثث .

ولقد هجر الجميع تلك المقابر بالكلية .. فنرى كابوديسترا Capodistra لم يدخر وسعا فى الإنفاق حتى يجعل قبره فخما جليلا، وقام بعمل تصميمات وديكورات مبتذلة لا فائدة منها، ولم تكن يقبلها عقل الإنسان . وهذه هى أماكن الملوك وصحفهم وبها الكثير من أكاليل الزهور، وهناك لوح أو شريحة مكتوب عليها جملة تهكمية تقول : ليس تائها ولكن رحل قبل ذلك .

ولقد ضحك بالثازار Bailthazar بعمق عندما وضع الزهور على القبر وقال عيد ميلاد سعيد له .

ولقد وصلت الآن إلى منطقة سيرابيس Serapis وهو إله قام بحملة جمعية ثم تحول إلى إله حارس لهذه المدينة اليونانية فى أرض أجنبية، ويوجد فى سيرابيوم Serapium الكثير من المكتبة العظيمة، وهذه المكتبة الإضافية سوف تصبح مركزا نشطا للتعليم فى مكانها الخاص بها؛ لأن الحكام الرومان يحكمون المدينة .

ويوجد قرب سيرابيوم Serapium موقع للبناء فى المستقبل لا يستطيع ستاربو starbo أن يذكره؛ لأنه من المحتمل أن يكون قد تم بناؤه فى القرن الثالث قبل الميلاد اعترافا بفضل ديوكليشان Diocletiom ولكن اسمها الشائع هو بومبيزبيلار Pompey'spillar.

ولقد تقابل الجميع فى هذا الوقت فيما يشبه الكوخ الخشبى غير المستخدم الخاص بالقيِّم أو أمين المتحف، وقاموا ببناء جدران السد تجاه الأرض ذات التربة الحمراء وهى قريبة جدا من بومبيزبيلار Pompey'spillars.

ويوجد بجانب منطقة المعبد ستاد مخصص للإله المخترع، ولكن ظلام الليل بدأ وحان الوقت لإيجاد مسكن أملا فى مقابلة المسافرين الآخرين لقضاء وقت طويل لتجاذب أطراف الحديث .

إنى هنا فى قلب العالم وكل ما أستكشفه هو سر أو أحد مغريات مدينة الإسكندرية الجذابة . ولقد أردت على سبيل الفضول معرفة كل من ذهب إليها ولماذا، وما الذى فعلوه عندما ذهبوا إليها ؟!

إننا نعلم أن بطلميوس سوتر Ptolemysoter بن لاجوس Logus ذهب إلى تلك المنطقة؛ ليؤسس المدينة التى عرفت باسم مؤسسها الإسكندر وليكون حاكما على تلك المنطقة: التى عرفت فيما بعد بمصر، وخلال فترة وجيزة أصبحت تلك المدينة محط أنظار العلماء واللاجئين اليونانيين واليهود، وفى أثناء النصف الثانى من القرن الثانى قبل الميلاد بدأ الرومان يشدهون بروعة تلك المدينة المشهورة: الإسكندرية .

ولقد قطن التجار الرومان تلك المدينة . وقام السيناتورز الرومان وأعضاء مجلس الشيوخ الرومان بعمل جولات معاينة على نهر النيل وأخذوا يشاهدون المناظر الطبيعية للإسكندرية فى طريقهم .

ولقد ذهب السادة الرومان البارزون إلى الإسكندرية فى القرن الأول قبل الميلاد لأسباب عديدة؛ من أهمها الحرب، فقد أتوا إلى الإسكندرية ليستزيدوا من الأموال لاستخدامها فى الحروب المتلاحقة، وأتوا إليها أيضا لاجئين عندما يهزمون فى المعارك، وأتوا إليها أيضا مطاردة للعدو الغازى .

وفى عام ٨٣ قبل الميلاد قام Cornelius Lucius ذو السلطة والنفوذ بإرسال الجنرال الرومانى Lucius Licinius Lucius الذى يقوم بخدمته إلى ليبيا ومصر لتدبير عملية شحن السفن .. وفى الطريق إلى مصر تعرض للقرصنة التى أتعبته لأنها كثيرة ومنتشرة فى البحر الأبيض المتوسط ، وقد أزالها فيما بعد بطلميوس الأعظم فى غضون مدة قصيرة لا تتجاوز ثلاثة أشهر . ولقد هرب الجنرال Lucullus وزوجته بسفينته بمهارة بالغة، ولكنه كان قادرا على الدخول إلى مدينة الإسكندرية، ولكن الأسطول الخاص بمدينة الإسكندرية بأكمله واجهه بأعداد كبيرة، لكن بطلميوس الصغير عامله بلطف وعطف، وتم إعطاؤه مسكنا من المحتمل أن يكون أحد المساكن الملونة التى رأيتها عندما كنت أمر بقمة جبل لوكايس Lochais وأعطى أيضا حقوقه الخاصة به فى المأكل والمشرب فى القصر، وهذا شرف لم ينله حاكم أجنبى قط من قبل فهو لم يرغب فى شىء من الملك سوى حاجاته الملحة الخاصة بالسفن وملاحيها .

ولقد كان سولا Sulla فى حاجة ماسة للوكولاس Lucullus فلم يكن لديه وقت للمشاهدة إلا أنه يأمل فى وقت على الأقل لمشاهدة المكتبة العظيمة والسيرابيوم Serapium. فعندما تقاعد فى روما لقيت مكتبته شهرة كبيرة؛ لأنها كانت تحوى مخطوطات كثيرة ذات أهمية بالغة فقد كان يفتحها دائما، وكانت الحجرات الخاصة بالاطلاع متاحة مجانا لكل اليونانيين الذين كانت سعادتهم – كما يقول بلوتارخ Plutarch – فى أن يتركوا كل أشغالهم ويذهبوا إلى تلك المكتبة كما لو كانت مساكن موسى، ويمشوا إلى هناك ويتبادلوا الذهاب إليها واحدا تلو الآخر، ولقد أصبح منزله اليونانى محطا للضيافة الفكرية والتسلية لكل زائرى روما Prytaneum.

وعندما حان الوقت ليغادر Lucullus الإسكندرية بعث معه بطلميوس موكبا حتى قبرص، وقام بعمل مراسم واحتفالات لمغادرته وأعطاه هدايا من الزمرد المتوجة بالذهب وهى غاية فى الفخامة . وحاول Lucullus فى بادئ الأمر أن يرفض تلك الهدية القيمة ولكن لما وجد أن صورة الملك منقوشة على تلك الهدية قبلها؛ خوفا من أن يغضب أنصار الملك؛ خوفا من أن يعرض طريقه فى السفر للأخطار التى قد أعدت وجهزت له .

ولقد تعاهد عدد كبير من الرومان في أثناء الخمسينيات قبل الميلاد على أن يساعدوا بطلميوس أوليتيس Ptolemy Auletes حتى يستعيد ملكه بعد الإطاحة بالقيصر . وفى عام ٥٩ قبل الميلاد أعطى بطلميوس هذا الوعود أو قام فعلا بإرسال ٦ آلاف من الموهوبين والفنانين إلى بومبى Pompy ويوليوس قيصر فى مقابل اعتراف روما بحقوقه تجاه سيادته لمصر، وفى السنة التالية قام أهالى الإسكندرية بخلعه من منصبه وذهب بنفسه إلى روما طلبا للمساعدة حتى يسترد سلطته، وبالتحديد طلب من بومبى Pompy قيادة كل القوات المطلوبة لتحقيق مراده .

ولكن لم يكن بيد بومبى Pompy على الإطلاق أن طلبه هذا لم يتحقق، فلقد رفض مجلس شيوخ روما الاقتراح؛ لأنه سوف يمنح بومبى Pompy سلطة وقوة لم يسبق لهما مثيل؛ ولأن المجلس يرى أن اثنين من الديكتاتوريين مازال لديهم القوة اللامحدودة وهما ماريوس Marius وسولا Sulla ، وبعد مفاوضات استغرقت وقتا طويلا قام المجلس بجعل أحد أصدقاء MarcusTulliusCicero المفوه البارع الرومانى قائدا لهذا العمل، ومن المؤكد أن يكون Publius Lentulas Spinther الذى كان على مقربة من أن يكون قنصلا لـ Cilicia يتم زيادة مدة ولايته قبل انقضائها . ولكن البعثة لم تتم عندما اخترق ضوء لامع تمثال جوبيتور Jupitor فى روما .

وبمحض الصدفة عثر القائمون على الكتب المقدسة التى يرجع إليها فى الأزمات الشديدة على كتاب كهنوتى يمنع ويحرم عودة أى حاكم أو ملك مصرى بعدد أو حشد وهو ما ترجم إلى قوات مسلحة، ومن ثم تم رفض طلب بطلميوس المقدم إلى مجلس الشيوخ .

وفى النهاية استطاع بطلميوس أن يستعيد سلطته بمساعدة رومانى آخر وهو Aulus Gabinius حاكم سوريا، الذى دفع إليه مقابل ذلك عشرة آلاف من الموهوبين والفنانين.

وفى عام ٥٥ ق . م. أحضر Gabinius قواته إلى الإسكندرية وانتصروا فى المعركة وأعادوا لبطلميوس سلطته وقوته، وقد كان بطلميوس معترفا بهذا الجميل فى الوقت الذى لم تكن فيه روما كذلك، ولقد قام مجلس الشيوخ فى روما بنفى Gabinius لأنه غزا مصر بدون علم سلطتها ولأنه قام بحرب قد حرمتها كتب Sibylline المقدسة .

ولقد ترك بطلميوس الحادى عشر وصية طلب فيها مساعدة روما فى أن تؤيدها وهى تنص على أن يقسم الحكم فى مصر بين ابنته الكبرى كليوباترا السابعة وبين ابنه

الأكبر بطلميوس الثانى عشر، وعندما مات بطلميوس الحادى عشر عام ٥١ ق . م. قام بطليموس الثانى عشر بالسيطرة على الحكم، وهذا الاغتصاب أجازته روما لكنها لم تعترف به رسميا .

وفى الوقت الذى توجه فيه بومبى Pompey إلى الإسكندرية كان لاجئا وقائدا مهزوما وعرف بأنه لم يكن مخلصا أو مواليا لبطلميوس الحادى عشر، فعندما انتهت المعركة بهزيمته فى Pharasalus فى التاسع من أغسطس عام ٤٨ ق . م. فر بومبى Pompey هاربا مع أربعة من أصدقائه على جيادهم راجعين إلى لارسا Larissa ومنها هرب إلى البحر حيث استقل مركبا صغيرا وبمحض الصدفة وجد سفينة عابرة ركبها حتى وصل إلى Mitylene حيث التقى بزوجته كورنيليا cornelia واستقلوا أربع سفن ثلاثية المجاديف قد جاءت إليه من رودس Rhodes وتير Tyre. ولقد فكر مليا فى وضع العديد من الخطط الممكنة وناقشها مع أصدقائه . وفى النهاية وافقوا جميعا على الذهاب إلى مصر؛ حيث كانت قريبة منهم ومازالت مملكة عظيمة فيها رفاهية وقوية بسفنها وبها الكثير من أساليب الإعاشة والأموال .

ومن ثم عقد بومبى Pompey النية على الذهاب إلى مصر فأبحر إليها . وفى تلك الأثناء قام بطلميوس بتجريد أخته كليوباترا من ملكيتها وحقوقها، وقامت بإعداد وحشد جيش فى سوريا . وقد عسكر بومبى Pompey بجيشه قرب بلوزيوم Pelusium منتظرا غزو كليوباترا ثم استمر Pompey مبحرا إلى Pelusium ثم توقف عندما رأى الجموع الحاشدة من الجنود على الشاطئ .

ويعث برسالة إلى الملك يخبره بوصوله ويذكره بالصداقة التى كانت بينه وبين أبيه .

وفى تلك اللحظات قام بطلميوس الذى لم يتجاوز الثالثة عشرة من عمره باستشارة وزرائه ومستشاريه الكبار ومنهم Achillas قائد الجيش و Pothinus الخصى وكان مسئولا عن بيت المال و Theodotus المدرس البليغ والمعلم الخصوصى لبطلميوس . فأشار Theodotus المعلم إلى أن يصنعوا لبومبى Pompey فخا ثم يقتلوه، وذلك ليتملقوا القيصر الرومانى كسبا لرضاه والذى كان يوافقه وينبع بو بى Pompey فى قوله :

الرجال الموتى لا يتوجعون. ومن ثم وافق الجميع على هذا الاقتراح .

وتم إرسال مركب شراعى صغير بجنوده ليطارد بومبى Pompey حتى ينأى به ويخرجه نحو الشاطئ؛ وكان سبب كون الزورق صغيرا أن البحر كان فى هذا الجانب ضحلا أى غير

عميق، وقد جاء فى ذلك المركب الصغير أحد مرافقى الملك أو خدامه وهو رومانى الأصل كان تحت قيادة Pompey قبل ذلك وكان اسمه Sempronius طبقا للمؤرخ الرومانى Appian أو Sephimius طبقا للآخرين .

وفي الوقت نفسه كان الجيش بأكمله مصطفا بطول الشاطئ كما لو كان سيقوم بتشريفة لبومبى Pompey وكان الملك بارزا في وسط ذلك الجيش مرتديا ثيابه ذات اللون الأرجوانى .

وفى ذلك الوقت كان بومبى مرتابا لهذا الأمر فهناك جيش بأكمله مصطف على الشاطئ وجاءه مركب صغير يحيط به ليس به الملك ولا أحد كباره فلم يكن ذلك هو الاستقبال الذى تخيله . ولقد صافح الجندى الرومانى مادا يديه إلى بومبىPompey باسم الملك وأخبره بأن يأتى على المركب الصغير لمقابلة العاهل الصغير بصداقة ومودة على الشاطئ، وأنا أفكر فى كورنيليا Cornlia زوجة بومبى Pompey التى ظلت على متن المركب ذى المجاديف الثلاثة ويغمرها هلع وخوف شديدان على زوجها، وكانت لحظتها تلك تراه عندما كان يستعد ليركب ذلك القارب الصغير الذى جاء لإحضاره للملك ولقد سمعت زوجها يردد بعض كلام سوفوكليس Sophocles عندما كان يرتقى القارب قائلا : من كان له معاملات مع الحاكم فهو عبد حتى ولو كان يذهب إليه كرجل حر . ولقد شاهدت أيضا القارب عندما كان يتحرك ناحية الشاطئ ولم تسمع أحدا يتكلم داخل القارب وكان الصمت الذى ساد الموقف مخيفا وغريبا، فلابد أن الأمر جد مقلق . ولقد أحست كورنيليا Cornelia أن زوجها يزداد غضبا وعصبية ولما كان الصمت سائدا ولم يكن هناك صوت إنسان على القارب فقد سمعت زوجها يقول للجندى الرومانى الذى كان واقفا بمفرده فى القارب : ألا أعرفك يا صاح؟ ولقد رأت الجندى الرومانى يومئ برأسه فقط بدون كلام . ثم إنها رأت بومبى Pompey زوجها وهو يعرض عنهم والرجل الرومانى يتحرك من ورائه وطعنه الطعنة الأولى ثم توالى من كان معه على القارب عليه بالطعنات .

وفى تلك اللحظة صرخت كورنيليا Cornelia هى وصويحباتها فى نفس واحد صرخة شديدة رافعات أياديهن إلى السماء داعيات الآلهة أن ينتقموا لهن بسبب هذا الهجوم الغادر، ولكنهن غذذن السير مبحرات حتى ينجين بأنفسهن من ذلك الخطر الداهم الذى بسببه ما استطعن أن ينقذن بومبى Pompey.

ولم يبق إلا رأس بومبى Pompey فى الإسكندرية أما بقية الجسد فقد جردوه من الملابس وزجوا به فى الشاطئ . وتم أخذ الرأس إلى الإسكندرية تذكاراً لقيصر روما حتى

يحصلوا على مكافأة عظيمة. وقد تم دفن باقى الجسد على الشاطئ قرب بلوزيوم Pelusium.

وبعد مرور أربعة أيام وصل يوليوس قيصر إلى الإسكندرية، وبمجرد أن علم أن بومبى Pompey كان متجها إلى مصر بعد معركة Pharsalus فاتجه القيصر مبحرا أولا إلى Rhodes وكان جيشه يتبعه فى أثناء ذلك، إلا أن القيصر لم يكن يريد الانتظار كثيرا فركب سفينته هو وقواته حيث كانت توجد قوارب ثلاثية المجاديف خاصة بـ Cassius وبعض أهل Rhodes فلقد كان على عجلة لأن يلحق ببومبى Pompey ليس بالضرورة لأن يقتله ولكن ليمنعه من غزو واحتلال مصر ومن عمل ثروات كبيرة ليستعيد قواه .

وأمر بألا يعرف أحد بموت بومبى Pompey ومازال مبحرا حتى المساء وأمر القبطان الآخرين أن يقودوا سفنهم اهتداء بضوء سفينة القيصر فى الليل وبالإشارة فى النهار وبعد أن قطعوا شوطا كبيرا بعيدا عن تلك البلاد أمر قائد سفينته أن يتجه إلى الإسكندرية .

ثم إنه وصل إلى الإسكندرية بعد موت Pompey بأربعة أيام . وتختلف الروايات فى ذلك لكنه فى الغالب المحتمل لم ينزل إلى الشاطئ حتى رأى رأس Pompey وخاتمه المنقوش . وكل هذا سبب له حزنا حقيقيا أو أنه كان متظاهراً بذلك لأنه قيل: إنه لم يتحمل النظر إلى الرأس وأمر بأن يدفن فى مكان قريب من المدينة كان مخصصا لـ Nemesis.

أو كما يقول البعض إنه بكى بحرقة عندما رأى الرأس وخاصة لأنه كان أخا وصديقا وصهرا، وتذكر الأيام الخوالى السعيدة التى قضاها معه، ولقد لام القتلة وعنفهم وأمر بأن يزين الرأس ويجهز جيدا ثم يدفن بعد ذلك .

ويرى المؤرخ الرومانى ديو كاسيوس DioCassius له تفسيره الخاص بمعتقدات القيصر وأفعاله فى ذلك الوقت، يقول : إن قيصر كان من البداية شغوفا بالسيادة ولقد كان دائما ما يكره بومبى Pompey على أنه عدوه وخصمه ولم يقم بالحرب ضده إلا ليضمن دمار خصمه هذا ويضمن سيادته ونفوذه، ولم يهرع إلى مصر إلا ليطيح ببومبى Pompeyكلية فى حالة ما إذا كان حيا، ولذلك فقد تظاهر بحزنه لموته وأنه مستاء لقتله .

وعندما نزل القيصر إلى الإسكندرية فقد لقى غضبا شديدا من حارس القصر الملكى عندما رأى حراسه يمشون أمامه حاملين الخريمة وهى مجموعة من القضبان

محزومة على فأس (من شعارات السلطة عند الرومان) التى كانت عبارة عن إهانة عظيمة لكرامة الملك . ومع ذلك فقد قام القيصر بتهدئة الموقف ثم دخل القيصر إلى القصر ولقد كانت هناك مشاغبات لعدة أيام متتالية فى الأماكن المزدحمة وقتل فيها الكثير من الجنود . ولقد صودرت أسلحة بعض جنود القيصر وبعضهم تم حجزه عند البحر حتى تصل بقية السفن الخاصة بالملك والجيش إلى الميناء .

وفى تلك الأثناء تظاهر القيصر بأنه فى إجازة . فقد استقبل الكثير من الزوار وعاملهم باحترام ولطف وأخلاق عالية . وخرج فى رحلة لرؤية المناظر الطبيعية للمدينة، وأخذه جمالها واستمع إلى بعض المحاضرات فى Exedra ووقف فى الزحام، وقد كان يستحوذ تدريجيا على تقدير أهل الإسكندرية وإعجابهم به على اعتبار أنه رجل ليست له نوايا عسكرية أو حربية ضدهم .

وبمجرد أن وصل جيشه إلى البحر قام القيصر بإعدام Pothihus ,Chillis بسبب قتلهم بومبى Pompey وهرب Thedotusولكن صلبه أحد المغامرين ضد قيصر وهو Gaius Cassius Longinus الذى وجد المدرس البليغ الهارب يتجول فى آسيا .

ولقد تمرد السكندريون وثاروا ضد القيصر لقيامه بتلك الأعمال غير الشرعية ضد ذويهم، ومن ثم بدأت حرب السكندريين. ولقد كان قيصر لديه أماكن صغيرة للهروب كان يستخدمها فى أثناء الحرب الدائرة ضده فى مدينة عدائية ضد المدنيين الذين كانوا يدافعون عن ملكهم .. وفى تلك الحرب نسمع عن السباحة المشهورة التى قام بها القيصر عندما فقد ملابسه التى كانت تدفعه لأسفل فى الماء ولكنه أنقذ أوراقه الخاصة به فى يده اليسرى عندما كان يعوم، وأخذ أهل الإسكندرية ملابسه وعلقوها كنصب تذكارى للاحتفال بذكر هذه الهزيمة المنكرة للقيصر.

وكان هناك أيضا حريق مشهور نتج عنه دمار أرصفة تحميل السفن وأماكن تخزين الحبوب وبعض المبانى الأخرى.

ويقول DioCasius إن المكتبة قد نالها الحريق أيضا، ولكن القيصر نفسه يقول فى حديثه عن الحرب الأهلية إنه أحرق كل السفن التى كانت فى الميناء والتى جاءت لمساعدة بومبى Pompey بالإضافة إلى حرق ٢٢ سفينة حربية كانت معدة لحراسة مدينة الإسكندرية، وقال إنه فعل ذلك لأنه لم يستطع أن يحمى تلك المساحة الواسعة – وهى الميناء – بواسطة قواته قليلة العدد .

ولقد امتد الحريق حتى نال مستودع البضائع والشاحنات وأرصفة تحميل السفن التى كان بها العديد والعديد من الكتب. ويقول أوليوس جيليوس Auius Gellius إن كل الكتب التى كتبت أو نسخت باسم الملوك الذين كانوا يسمون بطلميوس (التى تصل تقريبا إلى ٧٠٠,٠٠٠ كتاب) قد أحرقت فى أثناء حرب الرومان الأولى ضد الإسكندرية عام ٤٨ ق.م. ولم يكن ذلك عن عمد أو بأمر أى أحد، ولكن قام بذلك مصادفة الجنود الإضافيون، ولكن يعتقد البعض عموما أن جزءا من أرض المكتبة قد أحرق فى ذلك الوقت ثم إن تلك الخسارات قام بإصلاحها جزئيا مارك أنطونيو MarcusAntonius عام ٤١ ق . م .

وعلى الرغم من الفارق بين القوتين فقد كسب القيصر حرب الإسكندرية لصالحه بعد مرور تسعة أشهر من اندلاع الحرب عام ٤٧ ق.م. ولقد قام بالحرب ضد الملك الصغير وهى الحرب الأخيرة معه على ضفاف النيل انتصر فيها انتصارا ساحقا .

وفى الوقت نفسه قابل القيصر كليوباترا أخت الملك . فبينما كانت فى المنفى أرسلت إليه وطلبت منه أن يقبل دعواها فى أن تسترد استقلالها وحريتها الشخصية، فقام بمنحها ما طلبت ودخلت المدينة ليلا بدون علم أخيها وذهبت إلى مقر القيصر فى القصر . ولقد تناول بلوتارخ Plutarch قصة وصولها فى فراشها اللطيف . يقول إنها جاءت إلى الإسكندرية فى قارب صغير مع مرافق واحد وهو Apollodarus من سيسليا ورست بسفينتها قرب القصر عند حلول الظلام، ولقد كانت متحيرة فى كيفية دخول القصر بدون أن يلحظها أحد حتى فكرت أن ترقد داخل لفافة الفراش . وقام Apoiiodarus بربط هذه اللفافة وحملها على ظهره خلال البوابات التى تؤدى إلى مسكن القيصر .

ويقول ديو كاسيوس DioCasius إنها كانت امرأة بارعة الجمال وفى ذلك الوقت كانت فى ريعان شبابها، وكان لها صوت جميل ولها قدرة بالغة على استخدام أنوثتها الفاتنة لتسحر أى أحد تقابله، وهذا ما استخدمته مع القيصر، فلقد أخذته مهارتها ومفاتنها الساحرة مما جعله يرسل لبطلميوس قبيل الفجر وحاول أن يصلح بينه وبين أخته، ولكن ما إن رأى بطلميوس أخته فى القصر حتى استشاط غضبا. ولقد انتهت كل محاولات القيصر فى الوصول إلى حل دستورى لهذا النزاع إلى حرب أودت بحياة بطلميوس .

وفى نهاية الحرب قلد القيصر كليوباترا وأخاها الآخر منصب الملوك على مصر، ولقد أحس أنه حتى يستتب الأمن فى الوقت الحاضر كان لابد أن تظل من مصر مملكة عن أن يحولها إلى مقاطعة رومانية، وسوف يكون من السهولة بمكان أن يتقلد الملوك المستقلون الحكم؛ لأنهم مدينون بالفضل للقيصر عن الحكام العائدين الذين من الممكن أن يستخدموا ثروات مصر للقيام بثورات ضد سلطة روما .

وعلى الرغم من ذلك فقد كان القيصر رافضا لأن تكون كليوباترا هى الحاكم الوحيد ؛ لسببين : أحدهما أنه كان خائفا من أهل الإسكندرية فربما يقومون بعمليات ثورية مرة أخرى تحت سلطة امرأة بمفردها كحاكم مستقل . وثانيهما أنه كان أيضا يخاف من غضب الرومان لتنصيبه امرأة وجعلها حاكمة وحيدة لمصر، لاسيما أنه كان يعشقها لشهور عديدة؛ ولذلك أمرها أن تتزوج أخاها وأسند إليهما كليهما حكم مصر، ولكن فى الحقيقة كانت كليوباترا هى الحاكم الفعلى لأن زوجها أخاها كان مازال صغيرا وكانت مشاركة الحكم من قبل أخيها أو زوجها أمرا شكليا ولذلك حكمت كليوباترا مصر بمفردها وقضت وقتها بصحبة القيصر .

ولم يعد القيصر متعجلا فى مغادرة الإسكندرية فهناك الكثير الذى يستمتع به فيها، فالحرب قد انتهت وهناك كليوباترا المحبوبة، فقد قاما معا برحلة لارتياد المشاهد الطبيعية فى النيل بمصاحبة ٤٠٠ سفينة قبل مغادرة القيصر إلى روما التى كانت موطن وفاته. ونرى فى مسرحية قيصر وكليوباترا لمؤلفها جورج برنارد شو أن القيصر يهدئ الملكة ساعة رحيله ويخبرها بأنه سوف يرسل لها رجلا رومانيا خالصا من أصول عريقة يكون رشيقا نشيطا قويا شابا عنده أمل فى إشراق يوم جديد، فارس بالنهار، ويمرح ويسهر بالليل .

ثم إن الأيام كرت وجاء مارك أنطونيو إلى الإسكندرية للمرة الثانية . فلقد جاءها عندما كان قائد الفرسان تحت حكم Gabinius فى أثناء استعادة والد كليوباترا للحكم. فيقول أبيان Appian إن أنطونيو كان سريع التأثر بالنساء ووقع فى حب كليوباترا من أول نظرة عندما كانت مازالت طفلة صغيرة جدا .

ولقد تقابلا مرة أخرى فى سيليشا Cilicia. وقد قام أنطونيو وأوكتافيان Antony and Octavion فى النهاية بهزيمة قتلة القيصر فى معركة فيليبى Philipie عام ٤٢ ق . م. ثم عاد أوكتافيان Octavion إلى إيطاليا بينما واصل أنطونيو جولته حول المقاطعات الشرقية، وجاءت كليوباترا لمقابلته فى سيليشا Cilicia ولقد استقبلها استقبالا عاديا فى

البداية وألقى عليها باللوم لعدم مساعدته هو وأوكتافيان Octavion فى الانتقام من قتلة القيصر لكنها لم تقصر مثله فى ذلك، وذكرت له مجموعة من الأشياء التى قامت بها، التى لم تقم بها لمساعدتهم فى مهمتهم . وفى نهاية المقابلة أعجب أنطونيو بذكائها وجمالها أيضا. ويقول أبيان Appian إنه أصبح عاشقا لها كما لو كان شابا صغيرا بينما كان فى الرابعة والأربعين من عمره .

وعندما اقترب فصل الشتاء قام أنطونيو بتوزيع جيشه فى أماكن الشتاء فى المقاطعات الشرقية وذهب إلى الإسكندرية ملبيا دعوة الملكة . وعند وصوله استقبلته كليوباترا استقبالا حافلا، وقضى فصل الشتاء فى سعادة ولعب وحياة مختلفة تماما عن الحياة التى يعيشها فى رومانيا. وقام بخلع اللباس الرومانى وشارة السلطة وقام بارتداء اللباس اليونانى على شكل تقطيعات رباعية بدلا من التوجا وهى ثوب رومانى فضفاض، والتحق بالفرقة اليونانية ذات الحذاء الأبيض الخاصة بالأثينيين والكهنة السكندريين حتى أنه كان لنظامه الخاص بالحذاء اسم يونانى وهو فايكاس thePhaikas أو فايكاش Phaikasion . هل فعل ذلك لأنه يعيش فى دولة ذات سلطة أجنبية، أم لأنه كان فى مدينة يحكمها حاكم مستقل، أم لأنه اعتبر قضاء فصل الشتاء فى الإسكندرية مناسبة مهرجانية أو لها مهرجان خاص؟ وأيا ما كان دافعه وراء ذلك فلقد ابتعد أنطونيو عن كل أشكال التظاهر فى المشاركة فى الشئون العامة . فلم يكن يخرج إلا لزيارة المعابد والمدارس ومحاضرات مناقشات العلماء، وكان يقضى وقتًا مع اليونانيين ومع كليوباترا .

وتمشى عاهرة فى شارع مظلم بالليل تلتقط بعض الكلمات من بعض الأغانى، هل فى كل هذا سمع أنطونيو الألحان الموسيقية الجميلة التى تثير شجون القلب والتى أقنعته بأن يستسلم للمدينة التى أحبها ؟!

وفى نهاية فصل الشتاء غادر أنطونيو الإسكندرية – ولكن ليعود مرة أخرى – وغزا مدينة أرمينية عام ٣٤ ق . م. وقام بأسر الملك أرتافاسديس Artavasdes وأرسله وزوجته وأولاده ومجموعة كبيرة من الغنائم إلى الإسكندرية فى موكب انتصار كبير، وقدم إلى المدينة بنفسه فى مركبة حربية ومثل أمام كليوباترا التى كانت حالّة وسط حاشيتها على كرسى مطلى بالذهب بجانب رصيف مزخرف بالفضة، وأهداها كل الغنائم والعائلة الملكية المهزومة التى كان قد أسرها وغلها فى قيود من ذهب وبدأت الأعياد والمهرجانات مرة أخرى، وجلس أنطونيو فى حاشية كليوباترا مع أولادها . وقد أوصى فى خطابه الذى ألقاه أمام أهل الإسكندرية أن تلقب كليوباترا بـ: ملكة الملوك .

ولقد أطلق على قصره اسم باسيليون basileon، وقام بوضع خنجر شرقي على حزامه وجعل عامة الناس ينظرون إليه وهو جالس على كرسي مرصع بالذهب ووقف هو وكليوباترا من أجل أن يقوم الفنانون والرسامون برسمهما وعمل تمثالين لهما .

ولقد قدم لمدينة الإسكندرية شيئا يدوم نفعه، فقد سرق مكتبة برجاموم Pergamum التى تحتوى على مائتى ألف مجلد وقدمها هدية لكليوباترا؛ وذلك لاستعادة الكتب التى أحرقت فى أثناء الحرب التى قام بها القيصر فى الإسكندرية .

وفى الوقت نفسه فى روما أصبح الرومانيون فى قلق شديد لما يحدث بين أنطونيو وكليوباترا . وقد كادوا يجن جنونهم بسبب الفكر الرومانى الذى يعتقد اعتقادا حازما فى مصطلحى (rex) ويعنى الملك ودور العاهل .

فلقد قتلوا القيصر لأنه تلاعب بفكرة تغيير تلك الكلمة rex إلى ديكتاتورى dictator فهم قلقون الآن من أن يقوم أنطونيو بمنح مدينتهم وإهدائها لكليوباترا وينقل مكان السلطة إلى الإسكندرية. وأنا وشكسبير الذى أسبقه بألف وستمائة عام نقسم بثقة هذا القسم أو يجب أن تتوالى هذه الأحداث كالليل والنهار، ولكن الرومان كانوا خائفين ومرعوبين عندما علموا أن كليوباترا كانت قد أقسمت تأكيدا بهذه الكلمات : إننى سوف أحل العدل فى البرلمان الرومانى .

وقد كانت معركة أكتيوم Actium حتمية ولقد تركها أنطونيو لأوكتافيان Octavion وتبع كليوباترا إلى الإسكندرية حيث مات بين ذراعيها، ولقد فكرت على الفور فى أنطونيو الذى ذكره كافافى Cavafy فى قصيدته والتى لم يقرأها أبدا ولن يقرأها أبدا، ولقد توالت صافرات الإنذار من الميناء معلنة ذلك الخبر السيئ . ولقد سمعت مرة أخرى هذا الشيء يغنى بصوت خافت بغناء chargin و bonheur ولكم هى مختلفة عن الأغنية التى تصدع القلب سمعها أنطونيو والتى قام بها مجموعة من المنشدين، إنها الأصوات والأوتار المثيرة الحادة التى انتشرت فى الشوارع المظلمة . إنها آخر وصية للإسكندرية لهؤلاء الذين كانوا يمثلونها . كل يغنى على ليلاه .

وأتى أوكتافيان Octavian إلى الإسكندرية لمطاردة أنطونيو، فلقد مات أنطونيو بطريقة غير سليمة، قتل نفسه بيده، ولقد تم أخذ الاحتياطات اللازمة للتأكد من أن كليوباترا لابد من أن تكون على قيد الحياة حتى يكون ذلك علامة على الانتصار العظيم

الذى حققه أوكتافيان Octavian عند عودته إلى روما . ولكن كليوباترا لم ترض أن تكون أَمَةً أو خانعة لأى أحد، فعندما تموت تكون ميتة بشرفها وهى التى تتولى موتها بيديها إما ملدوغة من أفعى أو بتعاطى بعض السم القاتل .

ولقد فعل أوكتافيان كل ما بوسعه ليرجعها إلى الحياة مستخدما كل العقاقير بمساعدة قبيلة سيلى Psylli وهى قبيلة غير عادية وبها رجال تكاثروا وتناسلوا من أنفسهم وليس من خارج قبيلتهم وعندهم القدرة على امتصاص السم من الزواحف ويمنعون موت الضحية إذا طلب منهم أن يستخدموا قواهم قبل أن تموت الضحية ولكنهم أتوا متأخرين جدا فلقد ماتت كليوباترا بالفعل .

وقام أوكتافيان بدفن الحبيبين فى مكان يليق بهما، وقام بتحنيط الجثتين ودفنهما فى قبر واحد وهو مقبرة ضخمة ، ابتدأ أنطونيو وكليوباترا ببنائها، وأمر أوكتافيان بإتمام بنائها .

وكان هذا هو نهاية ثلاثمائة عام من حكم الملوك الذين هم من نسل بطلميوس سوتر soter بن لاجوس Lagus، ولم يقم أوكتافيان باحتلال المدينة ولم يمس أحدا من الناس بسوء، ثم نقل إلى روما كل ما يمكن نقله من النفائس التى كانت كليوباترا قد جمعتها ووضعتها فى القصر. وزعم البعض أنه لم يستأثر لنفسه أو لاستخدامه الشخصى بشىء ماعدا أحد كئوس الزهرة المصنوع من الزجاج الـ (murrhine).

ولقد استحوذ الرومان على أموال كثيرة وأخذوها معهم من الإسكندرية ولكن بدون استخدام قوة . ولقد فرضت الغرامات الكثيرة على كل رجل من أهل الإسكندرية كان عليه جنح أو عقوبات أما بقية الشعب فقد دفعوا ضريبة تقدر بثلثى ملكياتهم، وإضافة إلى هذا فإن القوات الخاصة أو الخاضعة لقيادة أوكتافيان حصلت على الأموال والرواتب المتأخرة التى كانت تستحقها، أما هؤلاء الجنود الذين كانوا مرافقين لأوكتافيان فى الإسكندرية فقد حصلوا على ألف عملة ورقية رومانية على شرط عدم نهب المدينة وسرقتها.

وقبل مغادرته المدينة أمر أوكتافيان جنوده بتطهير القنوات التى كان نهر النيل يعج بها وقد أصبحت مليئة بالوحل لسنوات من الإهمال، وقام أيضا بتأسيس مدينة قريبة من الإسكندرية ليحتفل بانتصاره على أنطونيو سماها نيكوبوليس Nicopolis.

وفى نهاية جولتى بالمدينة ذهبت إلى سيرابيوم Serapium وإلى الإستاد القريب، وهذه الأماكن قد ذكرها ستاربو وعلق عليها لأنه قال إنه هجر معظمها بسبب إنشاء المبانى الجديدة فى نيكوبوليس Nicopolis حيث كان يوجد هناك فى زمانه مبنى ضخم بدون سقف وفيه كثير من المقاعد، وكان يوجد أيضا إستاد أو ملعب مدرج تقام فيه الرياضة كل خمس سنوات وهذا لم يكن يحدث فى الإسكندرية .

مدينة الإسكندرية المحبوبة يا لها من مدينة هى ملكنا، ما الذى تنطوى عليه كلمة (الإسكندرية) وترى عينا عقلى ضوءا يتبين من خلاله آلافا من الشوارع المغبرة ويملؤها الذباب والشحاذون ويوجد بها أيضا من يستمتع بوجوده ومعيشته فيها .

ولقد أتى أوكتافيان إلى الإسكندرية ورأى مركز التعليم فى العالم وغزا أنطونيو وكليوباترا وغادرها إلى روما وكان متعمدا أن يختار بعناية اللقب لقوته وسلطته الفائقتين واختار اسم Augustus وتبنى لقبا وهو Prihceps وهى تسمية جمهورية مقبولة، ولكنه احتفظ بالإمبراطورية كونه حيا ولأحقيته فى أن يلقب بالإمبراطور ولذلك أصبح أول إمبراطور لروما وللعالم الرومانى بما فيه مدينة الإسكندرية .

ثم إن الحكام الرومان جاءوا ليحكموا المدينة خلفا لسلالة الملوك الحكام وسوف يأتى بعض الرومان الآخرين ذوى الشهرة الفائقة إلى تلك المدينة ومنهم القيصر الأعظم نيرو كلاوديوس جيرمانيكوس Nero Claudius Germanicus فى وقت المجاعة الشديدة، وتيتوس لافيوس أوبينوس فيسبسيان Titus Flaviussobinus Vespasianus وهو الإمبراطور فى المستقبل فيسبسيان Vespasian الذى سوف يعالج المرضى هنا، ولكن الشعب سوف يبغضه. وسوف يأتى الكثير إليها ولكن لن يكتشف أحد ثانية قوة هذه المدينة وسحرها حتى يكون هناك شاعر أو روائى مثل Cavafy و Durrell.

ومع هذا الشاعر سوف أتوجه إلى الشباك المفتوح وأنظر إلى أسفل حتى أسعد بالشراب وأستعيد بهجتى من وسط هذا الحشد الغامض وأقول وداعا .. وداعا لمدينة الإسكندرية لأنى سأغادرك ولأنى مشيت خلال شوارع الإسكندرية مع ستاربو Starbo فقد قمت بإحراق القوارب الخاصة بالقيصر وبعت كتبى ووقعت فى حب المدينة التى لم أر مثلها، ولقد كنت أكثر من التردد على المكتبة العظيمة وذلك لوجود بعض المدونات

القليلة، ولقد نحت وحزنت على الخسارة التى ستلحق بالعالم فى حالة فقدان مثل هذه الكتب القيمة؛ لأنه يوجد فى تلك المكتبة العظيمة كتابات المؤلفين العظماء اليونانيين والرومانيين واليهود وكلهم كتب عن أهميتها، ولقد انتهيت أنا أيضا من لفافة الورق التى معى .

ها إنه كتاب صغير واف، ولقد خرجت سالما من محنة تلك الحرب حتى نهاية السيادة والسلطة فى تلك المدينة التى هى قلب العالم .

الفصل الثالث

مكتبة الإسكندرية القديمة

روبرت بارنز

مقدمة

لقد تم تجميع الكتب منذ اختراع الكتابة في الشرق الأوسط منذ خمسة آلاف عام، ولقد قام الكهنة فى المعابد المصرية القديمة بالاحتفاظ بكل من المجموعات الصغيرة للنصوص - التى لها علاقة بالواجبات المقدسة - والمجموعات الكبيرة فى حجرات خاصة أو مبان معروفة باسم بيوت الحياة، التى ربما استخدمت مدارس لتعليم الكهنة والمسئولين بعد ذلك. ففى ميسوبوتاميا Mesopotamia تم اكتشاف بقايا العديد من المكتبات الملكية من ضمنها المكتبة المشهورة الخاصة بـ أشوربانيبال Ashurbanipal ملك الآشوريين Assyria فى القرن السابع قبل الميلاد، ولقد تم نقل معظم هذه المكتبة إلى المتحف البريطانى فى القرن التاسع الميلادى، وهذا التجمع للكتب كان محاولة لجمع الأدب البابلى والآشورى القديم الذى كان موجودا فى عهد أشور بانيبال Ashurbanipal الذى سوف يرتقى ليكون أول مكتبة قومية معروفة إن لم يكن أول مكتبة عالمية، وفى أثناء العهد اليونانى كانت أول المكتبات موجودة فى القرن السادس قبل الميلاد فى عهد الطاغيتين بسيستراتوس Pisistrtus ملك أثينا، وبوليكراتيسPolycrates ملك ساموس Samos، ويذكر أثينوس Athenaeus أحد علماء المكتبة المصرية اليونانية عام ٢٠٠ ميلادية أن من بين تلك المكتبات القديمة المشهورة كانت مكتبةPolycrates ملك ساموس Samos و Pisistrtus طاغية أثينا وإقليدس Eucleides الأثينى ونيكوكراتس Nicocrates حاكم قبرص وملوك بيرجاموم Pergamam ويوربيديس الشاعر، وأرسطو

الفيلسوف، وثيوفراستاس Theophrastus ونيليوس Neleus الذى احتفظ بكتب هذين الأخيرين. ويدعى ستاربو Starbo المؤرخ والجغرافى فى عصر المسيحية أن أرسطو أول من عرف أنه كان يقوم بتجميع الكتب، وأنه أول من علم ملوك مصر كيف يقومون بتنظيم المكتبات .

التأسيس

بعد موت الإسكندر الأكبر عام ٣٢٣ ق . م. تناحر جنرالات الملك فيما بينهم وكانوا يعرفون باسم diadochoi أو أنهم خلفاؤه، قاموا بالحرب فيما بينهم من أجل السيطرة على بعض المقاطعات فى الإمبراطورية . وكان أحد الناجحين فى هؤلاء الخلفاء هو بطلميوس المقدونى ابن لاجوس Lagus، الذى أعلن أنه ملك مصر بطلميوس سوترSoter الأول وذلك عام ٣٠٤ ق . م، ومن ثم قام بتأسيس مملكة بطلميوس ومقر عاصمتها فى الإسكندرية، ولقد استمرت حتى موت كليوباترا عام ٣٠ ق . م. وفى أثناء تلك الفترة أصبحت مصر مقاطعة رومانية .

ولقد كان لبطلميوس سوتر الأول اهتمامات فكرية جيدة، ولقد كتب بنفسه عن حياة الإسكندر الأكبر وتلك الكتابات بقيت من خلال استخدامها فى أعمال أخرى، وحاول أن يستقطب المفكرين اليونان إلى مصر ومنهم المفكر المشهور ديميتريوس Demetrius الفاليرى Phalerom وهو فيلسوف متأثر بفكر أرسطو وأيضا رجل سياسى من أثينا ، ومنهم أيضا الشاعر فيليتاس Philitras ومنهم عالم النحو واللغوى زينودوتس -Zenodo tusof Epheus وستاربو Starbo أحد الفلاسفة الذى أصبح المعلم الخاص لابن بطلميوس ولبطلميوس الثانى العاهل، وفى أثناء حكم بطلميوس الثانى وخلفائه جاء الكثير من العلماء والشعراء إلى الإسكندرية .

ولقد كتب ديوجينس لاريتوس Diogenes Laeritus عن حياة مجموعة من الفلاسفة اليونانيين قائلا : إن هيرميباس Hermippus يقول إن بعد موت كاساندار Cassander أتى ديميتريوس Demetrius إلى مصر بطلميوس سوتر خوفا من أنيتجونوس . وهناك قضى وقتا مناسبا ونصح الملك بطلميوس والكثير من الملوك الآخرين بأن يظل الحكم فى أبنائه بواسطة يوريديس Eurydice ولم يوافق بطلميوس على هذا ولكنه توج ابنه عن طريق بيرينيس Berenice وهو بطلميوس فيلاديلفوس

Ptolemy Philadlphus الذى قـرر بعـد مـوت بطلمـيـوس أن يظل ديمـتـريوس Demetrius سجينا فى أقصى البلاد حتى يتم الفصل فى أمره، وهناك عاش حياة اليأس ولدغته حية فى يده ثم مات. ولقد لعب ديميتريوس Demetrius دورا فعالا فى خلق أو على الأقل فى المشاركة بأفكار بالنسبة إلى متحف الإسكندرية المشهور، ولقد تضمنت هذه المؤسسة مفهوم المدرسة المشتركة ومعهد البحوث التى ابتكرها أرسطو عندما ابتكر أو أسس قاعة المحاضرات والمناقشات الخاصة به فى أثينا، وليس لدينا معرفة كافية عن المنظمة الفعلية للمتحف ولكن لنا أن نتصور أنه تم إعدادها ماليا على الأقل فى أول أيامها، وهكذا سميت لأنها تضمنت ضريحا لـ ربات العلم والفنون Muses والذين كانوا يؤلهون هذا الضريح .

ولقد كان قريبا من القصر الملكى فى البروكيون The Brucheion فى الإسكندرية ونسمع عن الندوات وموائد العشاء - التى كان يحضرها الملك نفسه - التى كان يطرح فيها مشاكل علمية وفلسفية وأدبية للمناقشة، وعلى الرغم من أننا لا نعرف الكثير عن أنشطة المتحف فمما لاشك فيه أنه ساهم كثيرا فى البحث العلمى والأدبى، الأمر الذى جعل مدينة الإسكندرية مشهورة بذلك، وذلك تسبب فى تعليقات حانقة من خارج الإسكندرية، فهذا تيمون Timon of Phlius الفيلسوف القائل بمذهب الشكوكية والشاعر الهجائى فى زمانه يقول : كان يوجد العديد من الحشرات التى تأكل الكتب يتم تغذيتها فى سجن Muses.

ويقول سترابو Strabo فى مدوناته مستندا إلى معلوماته الشخصية: إن المتحف هو جزء من القصور الملكية، وهذا المتحف يحتوى على ممشى مغطى وصالة بها مقاعد للمناقشة وبيت كبير كانت توجد به حجرة عامة للطعام خاصة بالعلماء الذين يشاركون فى تأسيس المتحف . وهذه المؤسسة كانت ملكيتها شائعة وبها أيضا الكاهن المسئول عن المتحف، الذى كان يعين من قبل الملوك فى العصور السابقة أما الآن فيعين من قبل القيصر، ولقد كان التعيين الملكى خطيرا بالنسبة إلى المتحف، فلقد كان البطالمة القدماء الذين كانوا علماء ومفكرين يحتفظون بالرصيد والتمويل المالى للمتحف ولكن فى القرن الثانى قبل الميلاد نجد السلالة الحاكمة تواجه معارضة من المصريين أهل البلد الأصليين وليس اليونانيين، بالإضافة إلى التهديدات التى تأتى من الخارج مع ما يساندها فى الداخل حتى اضمحل البحث العلمى .

ولقد قام بطلميوس الأول أيضا بتأسيس طائفة دينية تابعة لسيرابيس Serapius وهو إله مصطنع، وهو فى الأصل مجموعة من الآلهة المصرية القديمة (أوزيريس وأبيس)

لتقوم بدور مهم فى الدعاية لملكة بطلميوس . وقام هو أو ابنه فيلاديلفوس Philadel-phus بالبدء في تأسيس المعبد أو الحرم الخاص بالإله سيرابيس Serapius فى راكوتيس Rhakotis من الجنوب الغربى لمدينة الإسكندرية على الرغم من أن ـ كما سيتم الإشارة إليه لاحقا ـ هذا كان فى الأساس من اختراع ابن فيلاديلفوس فقد كان مزمعا على أن يكون موقع المكتبة الثانية فى الإسكندرية التى كانت توصف بأنها المكتبة الخارجية أو مكتبة الابنة والتى بقيت أكثر من المكتبة الأساسية .

ولقد كان المتحف يحتوى على كتب منذ البداية ولكننا بدافع الفضول لا نعرف يقينا ما إذا كان بطلميوس الأول أو الثانى هو الذى قرر أن يقوم بتوسيع هاتين المكتبتين إلى مكتبة عالمية، وتقول معظم المصادر إن بطلميوس الثانى فيلاديلفوس هو الذى قرر ذلك. وتوجد قصة وراء خطاب أرستياس Aresteas وهى كتابة يهودية من المحتمل أن يرجع أصلها إلى عام ١٠٠ ق . م. وتلك القصة كما يلى :

عندما كان ديمتريوس Demetrius of Phleron مسئولا عن مكتبة الملك كانت لديه إمكانيات مالية عالية لجمع كل الكتب التى فى العالم ما أمكنه ذلك، و بعد عمل تلك الصفقة والقيام بعمل النسخ قام بتنفيذ مراد الملك قدر الإمكان .

وعندما سأله الملك ـ فى حضورى ـ ما العدد الحقيقى لتلك الآلاف المؤلفة من الكتب قال : أكثر من مائتى ألف كتاب يا سيدى الملك، وسأحاول جاهدا فى مدة وجيزة أن أصل بهذا العدد إلى خمسمائة ألف كتاب . وقال الملك لقد علمت أن شرائع اليهود تستحق النسخ وأن تكون جزءا من مكتبتكم فما الذى يمنعك من القيام بهذا؟ قال ديمتريوس Demetrius إن كل شىء ضرورى يكون طوع أمرك يا مولاى فنحن فى حاجة إلى ترجمة، لذلك فاليهود يستخدمون فى مدينتهم الشخصيات الخاصة بهم تماما كما يستخدم المصريون الترتيب الخاص بهم للحروف، ولهم لغتهم الخاصة بهم، فمن المحتمل أنهم يستخدمون اللغة السريانية ولكن ربما يستخدمون طريقة خاصة للكتابة. وعندما تعلم ديمتريوس Demetrius هذه التفاصيل أمر الملك بكتابة رسالة إلى الكاهن الأعظم لليهود حتى يتم استكمال وتنفيذ الخطط التى سبق ذكرها . وهذه الرسالة، التى كان الغرض الأساسى منها أن توضح أصل ترجمة التوراة السبعونية اليونانية للكتب اليهودية والإبقاء على صحتها، تعطى ما يجب أن يسمى بالنسخة المشوهة للأحداث، وتزعم هذه الرسالة أن الملك المعنى كان بطلميوس فيلاديلفوس الثانى، ولكن كما نعلم أن أول عمل لهذا الملك الذى خلف أباه كان قد قام بالإطاحة بديمتريوس Demetrius؛ ومن

ثم لم يكن من الممكن أن يكون ديمتريوس هو أول مختص للمكتبة تحت حكم بطلميوس الثانى، ومع ذلك فربما مازال لهذه الرسالة قيمتها فى الإخبار بأن ديمتريوس كان له دور فى تأسيس المتحف فى عهد بطلميوس سوتر Soter الأول وفى إظهار مجالات المكتبة كما تصورها خليفة بطلميوس سوتر الأول وهو ابنه بطلميوس فيلاديلفوس .

ما العدد الحقيقى للكتب ومن أين جاء بها؟

إن معظم المعلومات التى لدينا عن المكتبة عرفناها عن طريق العالم البيزنطى John Tzetzes فى القرن الثانى عشر الميلادى فى مقدمته فى التعليق على ثلاث مسرحيات لأريستوفان Aristophane، ونحن لا نعلم يقينا من أين حصل Tzetzes على تلك المعلومات ولكن ربما حصل عليها من التعليقات والشروح التى قام بها علماء الإسكندرية على مسرحيات أريستوفان Aristophane أو بعض المؤلفين الكلاسيكيين الآخرين ويخبرنا Tzetzes بما يلى :

إن الملك بطلميوس الثانى (فيلاديلفوس) الذى أتكلم عنه كان فى الحقيقة لديه روح فلسفية ودينية، وكان يحب كل شىء رفيع المنزلة بالرؤية والعمل والكلمة. ومن خلال ديمتريوس Demetrius – وهذا لابد أنه خطأ كما فى خطاب (أريستياس) – وبعض المستشارين الآخرين للملك قام الملك بجمع الكتب من كل مكان على نفقته وقام بوضعها فى مكتبتين . وكانت تضم المكتبة الخارجية ٤٢٨٠٠ كتاب بينما كانت تضم المكتبة الداخلية ودار القضاء والقصر ٤٠٠٠٠٠ كتاب مختلف و ٩٠٠٠٠ كتاب منفرد كما يقول كاليماخوس Callimochus أحد الشباب القائمين على دار القضاء، وبعد مراجعة الكتب قام بتصنيفها .

ولقد كانت هنالك مناقشات كثيرة حول التفريق الذى ذكره Tzetzes بين الكتب المختلطة والكتب المنفردة فى المكتبة، ولكن من المحتمل أن يكون معنى الكتب المختلطة أن هذه اللفافات من الورق تحتوى على أكثر من موضوع أو عمل، وأن الكتب المنفردة تعنى اللفافات التى تحتوى على عمل أو موضوع واحد أو أجزاء من الأعمال المنفردة. وبالمناسبة خلال هذا المقال يجب أن نفهم معنى كلمة كتاب على أنه لفافة، ولقد كانت المخطوطات تطلق على الكتب فى العهد المسيحى .

ولقد تم مناقشة الأرقام التى ذكرها Tzetzon بالنسبة إلى حجم المكتبتين ولا نعرف المصادر التى استقى منها معلوماته، وعلى كل حال فإن الأرقام الموجودة فى المخطوطات اليونانية معروف عنها أنها فاسدة غير صحيحة، ومع ذلك فهناك إثبات على

أن الأرقام التى ذكرها Tzetzon ربما تكون صحيحة فى حجمها بالنسبة إلى مكتبة بيرجامون Pergmon التى قدمها مارك أنطونيو هدية لكليوباترا وقيل إنها كانت تحتوى على مائتى ألف كتاب . ومن الممكن أن تكون مكتبة الإسكندرية الأساسية قد وصل عدد محتوياتها من الكتب إلى ٧٠٠٠٠٠ كتاب وذلك فى القرن الأول قبل الميلاد . وهذا هو المقدار على الأقل الذى ذكره الأديب العالم أولوس جيلياس Aulus Gellius فى القرن الثانى الميلادى فى معرض الحديث عن حريق المكتبة الذى حدث فى الفترة ما بين ٤٨ و ٧ ق . م.

والذى مازال غامضا علينا هو : ما أعداد العناوين التى فى تقديرنا تبينها هذه الأرقام التى تبين أن المكتبة لابد أنها كانت تحتوى على نسخ مطابقة للأصل لبعض المؤلفين اليونان؟ ومن المحتمل أن يكون بعض هذه النسخ قد كوّن عددا من اللفافات، ولقد اعتقد البعض أن العدد الإجمالى لأسماء أو عناوين الكتب فى المكتبة فى الوقت الذى يشير إليه Tzetzon ربما يصل إلى ٧٠٠٠٠ ، بحد أقصى ١٠٠٠٠٠ اسم أو عنوان تم التوصل إليها فى القرن الأول قبل الميلاد، وليس لدينا أية وسيلة لمعرفة كمية الأدب اليونانى التى تمثلها هذه الأعداد فى تلك الأثناء، ولكن بمعرفة أن الذين كانوا يعرفون القراءة والكتابة كانوا قلة قليلة من المجتمعات القديمة، وندرة الكتب وتكلفتها العالية تدلان على أن تلك الأرقام والأعداد مثيرة .

ويضيف الدكتور جالين Galen – وهو طبيب يونانى مشهور فى القرن الثانى الميلادى– العديد من القصص عن المكتبة وعن كتاباته، وعند شرحه كيف وصلت نسخة الإبيدمكس Epidemics وهو عمل يضم مجموعة من الكتابات الطبية الأبوقراطية التى كانت تخص شخصاً يدعى منيمون ذات يوم ثم وصلت إلى المكتبة، يزعم أن بطلميوس الثالث يوريجيتس Eurogetes أمر بتفتيش كل السفن القادمة إلى الميناء؛ بحثا عن الكتب، ومن ثم يتم أخذ الكتب ونسخها ثم يتم إعادة تلك النسخ إلى أصحابها وتوضع الكتب الأصلية من المكتبة باسم : من السفن. الأمر الثانى هو أن بطلميوس الثالث نفسه قام باستعارة النسخ الرسمية للكتاب الثلاثة المختصين فى الكتابة المأسوية من أثينا وهم: إسخيلوس Aeschylus وسوفوكليس sophocles ويوربيدس Euripides بعد القيام بإرسال خمسة عشر موهوبا وفنانا رهائن مقابل ذلك.

وبعد ذلك احتفظ بالكتب الأصلية ثم أعاد الكتب المنسوخة فقط ومن ثم خسر رهائنه، الأمر الثالث : يشير جالين Galen إلى المنافسة بين الملكين: ملك بيرجامون Per gamon وملك الإسكندرية، فى عمل المزاد ورفع أسعار الكتب القديمة، الذى رفع

الأسعار وضخمها وأدى إلى حدوث التزييف والغش، وأخيرا يزعم جالين Galen أن أهل الإسكندرية لم يقوموا بوضع كل الكتب التى حصلوا عليها فى المكتبة مباشرة ولكنهم وضعوها أولا فى المستودعات وأماكن البضاعة التى تراكمت فوق بعضها .

وأولى هذه القصص الثلاث تطرح سؤالا حول كيفية توضيح الكتب وتعريفها عندما تم الحصول عليها .. وطبقا لجالين Galen ودليل آخر يبدو أن مثل هذه التعريفات ربما كانت قد أوضحت من أين وكيف تم الحصول على النسخ وحتى اسم صاحبها السابق .. وعندما وصلت الكتب إلى المكتبة تم إضافة معلومات جديدة، لاسيما كل ما حدث من تحرير ومراجعة للنصوص .. ويمكن معرفة ذلك بالرجوع إلى الحواشي والتعليقات، وهى الملحوظات على النصوص التى يرجع أصلها إلى المخطوطات فى العصور الوسطى التى ألفها وشرحها العديد من المؤلفين الكلاسيكيين، إن التعليقات والشروح التى قام بها كل من هومير Homer وأريستوفان Aristophanes على سبيل المثال تشير إلى الطبعات التى قام بها القائمون على مكتبة الإسكندرية، والتى قام بها هومير Homer تشير إلى المخطوطات من جميع أنحاء العالم اليونانى المختلفة مثل كيوس Chios، وأرجوس Argos وسينوب Sinope فى البحر الأسود، ومثل هذه المراجع تعود بنا إلى اللافتات الخاصة بالنسخ التى فى مكتبة الإسكندرية، ولنا أن نتصور أن أعمال الطبع والنسخ التى قام بها أهل الإسكندرية ليست فقط لعمل معيار للنصوص ولكن لضبط حجم الكتب وقطعها وجعلها منطقية على النصوص الكلاسيكية خلال العالم اليونانى .

وهناك سؤال كثر حوله الخلاف وهو: هل حصلت المكتبة على جزء من مجموعة محاضرات أرسطو؟ وتلك المعلومات لا تتفق مع المصادر .. ويواصل أثينوس Athenaeus كلامه السابق قائلا : ولقد أحضر ملكنا بطلميوس الملقب بفيلاديلفوس كل هذه الكتب من نيليوس Neleus ؛ أى كتب أرسطو وثيوفراستوس theophrastus، ونقلها مع الكتب التى استولى عليها فى أثينا ورودس Rhodes إلى المدينة الجميلة ، إلى الإسكندرية. وعلى الرغم من ذلك يروى ستاربو Starbo حكاية مختلفة، يميل العلماء المحدثون إلى التوافق معها، والقصة جديرة بأن تنقل بأكملها حيث توضح الأخطار التى كانت تهدد المكتبات الخاصة فى العالم القديم .

لقد أتى الفلاسفة التابعون لمدرسة سقراط الفلسفية من سيبسيس Scepsis وهم: إيراستوس Erastur وكوريسكوس Coriscus، وورث مكتبة ثيوفراستوس Theophrasus التى كانت تضم مكتبة أرسطو، ولقد أوصى أرسطو بمكتبته لثيوفراستوس Theophrasus

مهما تكن الظروف وهو أول رجل على ما أعرف قام بجمع الكتب وأول من قام بتعليم ملوك مصر كيفية تنظيم المكتبات. ولقد أوصى ثيوفراستوس بتلك المكتبة إلى نيلياس Neleas وأحضرها نيلياس Neleas إلى سيبسيس Scepsis وأوصى بها إلى ورثته وهم عامة الناس الذين تركوا تلك الكتب ولم يستخدموها ولم يولوها عناية فى تخزينها، وعندما اكتشفوا حنق ملوك أتاليد Attaiid الذين كانوا يحكمون المدينة حين قاموا بالبحث عن الكتب ليؤسسوا مكتبتهم فى بيرجامون Pergamon وقاموا بإخفاء الكتب تحت الأرض تحت حفرة، وبعد مرور وقت كبير تلفت الكتب بسبب الرطوبة والعفونة وقام أبناء هؤلاء ببيع تلك الكتب لأبيلكون من تيوس Apellicon of Teos مقابل أموال كثيرة بما فيها كتب أرسطو وثيوفراستوس .

ولقد كان أبيليكون هذا محبا للكتب قبل أن يكون فيلسوفا ومن ثم حاول أن يستعيد الأجزاء التى تآكلت من الكتب، فقام بعمل نسخ جديدة للنصوص وملأ الفراغات الموجودة بأشياء غير صحيحة وقام بنشر الكتب وهى مليئة بالأخطاء .

وبعد موته مباشرة قام سولا Sulla – الذى كان يحكم أثينا – بنقل مكتبة أبيليكون Apellicon إلى روما، وقد قام تيرانيو Tyrannio العالم النحوى واللغوى، الذى كان يحب أرسطو، بالحصول على المكتبة بتشجيع أمين المكتبة كما فعل بائعو الكتب الذين كانوا يوظفون الناسخين الفقراء الذين لم يكونوا يقارنون أو يوازنون بين النصوص .

ويبدو من هذه القصة أن مكتبة أرسطو لم تدرك فى الحقيقة زمن البطالمة ولا وقت ملوك أتاليد Attalid ملوك بيرجامون Pergamon . ليس هناك دليل على أن العمل الخاص بالطبع والتحرير للنصوص التى كتبها أرسطو قد تمت فى الإسكندرية، والمعايير العلمية فى الإسكندرية أرقى من تلك التى فى روما التى يطبقها بائعو الكتب الرومان كما ذكر ستاربو Starbo.

الكتب الأجنبية

كانت المكتبة تزخر أساسا بكتب الأدب اليونانى، ولكن هناك دليلاً على أنها تضمنت أيضا ترجمات يونانية لبعض الكتب إلى اللغات الأخرى، وكانت رسالة أريستياس Aristeas تزعم أن الكتب اليهودية (أو على الأقل أسفار موسى الخمسة) ترجمت إلى اليونانية كجزء من هذا البرنامج .

وقد قام مانيتون Manetho الكاهن المصرى فى هليوبوليس بإهداء تاريخ مصر إلى بطلميوس فيلاديلفوس باللغة اليونانية، ولكنه تم استقاؤه من السجلات المصرية التى ربما كانت أيضا جزءا من هذا البرنامج، ويبقى هذا العمل فى شكل اقتباسات لجوزيف Josephus المؤرخ اليهودى وللكتاب المسيحيين، ويقول بلينى Pliny الأكبر- الرجل الموسوعى الرومانى فى القرن الأول الميلادى - إن هيرميباس Hermippus تلميذ كاليماخوس Cailimachus كتب تعليقا على آيات زراد شت النبى (Zoroaster) وهذه القصة تبين أن هذه الآيات تم ترجمتها من الهندية إلى اليونانية وكانت متاحة فى الإسكندرية .

ولقد ظهرت مؤخرا ادعاءات ومزاعم أكثر بالنسبة إلى هذه التراجم .. يذكر جورج سينسيلاس George SynceLLus (وهو راهب يونانى توفى عام ٨١٠م) فى تاريخه أنه عندما توفى بطلميوس لاجوس بسبب صاعقة خلفه ولده بطلميوس فيلاديلفوس وورث الملك فى مصر. ولقد كان رجلا حكيما وله نشاط فى كل مجال، وقام بجمع كتب جميع اليونانيين بالإضافة إلى كتب كالدانيز chaldaeans والكتب المصرية والرومانية، وقام بترجمة اللغات الأجنبية إلى اليونانية، ويزعم كذلك تسيتزيس Tzetzes أنه عندما تم جمع كل الكتب اليونانية وكل الكتب الأجنبية بالإضافة إلى الكتب اليهودية (العبرانية) فإن هذا الملك الكريم بطلميوس فيلاديلفوس الذى كان كالنهر المغمور بالذهب ويصبه فى مصبات سبعة أسند إلى المترجمين ترجمة الكتب الأجنبية فترجمت إلى اليونانية لغة وكتابة قام بها علماء يتكلمون اللغتين، ويتكلمون اليونانية بطلاقة . فعلى سبيل المثال قام اثنان وسبعون مترجما يهوديا كانوا يتقنون اللغتين بترجمة الكتب العبرانية اليهودية .

ومع ذلك فبالرغم من هذه الادعاءات والمزاعم فإننا نشك فى أن الأعمال التى ترجمت من اللغات الأخرى والموجودة فى المكتبة كانت قليلة بعض الشىء، إن منظمة الأدب اليونانى اللاتينى القديم بأكمله تشتمل فقط على تراجم صغيرة الحجم فى حجم اليد من لغة واحدة إلى لغة أخرى، أما التراجم من لغات أخرى فربما كانت نادرة .

ترتيب الكتب وفهرستها

عندما لا يكون لدينا معرفة أكيدة بموقع المكتبة فإن الترتيب الطبيعى لها من الصعوبة بمكان إعادة ترتيبه، وتشير المواقع المتشابهة التى تم إنشاؤها فى زمن

الإغريق في بيرجامون Pergamon إلى أن المكتبة كانت أساسا مخزنا للكتب التي كان يتم قراءتها في الأماكن القريبة من تلك المخازن أو الصفوف القريبة منها، وربما كان الرومان هم الذين اخترعوا حجرات الاطلاع والقراءة كسمة غالبة للمكتبات ثم بعد ذلك تم إرجاعه إلى العهد اليوناني، كما في مكتبة سيلسوس Celsus في إيفسوس Euphwsus ومما لاشك فيه أن ستاربو Starbo في وصفه لمباني المتحف لم يذكر مبنى المكتبة منفصلا (أو أنه لم يذكر بالفعل المكتبة في هذه المضمار على الإطلاق) .

وقد ذكر سيرابيوم Seropium استنتاجا مماثلا بالنسبة إلى المكتبة الوليدة، فإن أعمال الحفر التي تمت في هذا الموقع وقام بها آلان رو (Alan Rowe) وآخرون في الأربعينيات من القرن العشرين تبين أن المكتبة قام بإنشائها أساسا بطلميوس الثالث يوريجيت ابن فلاديلفوس Philadelphus، وفي الطرف الشرقي للموقع يوجد رواقان طويلان ينفتحان على حجر صغيرة خاصة على صف يتكون من ١٩ حجرة ذات حجم وشكل واحد كل حجرة اتساعها ٣×٤ أمتار ولقد ذكر الذين شاركوا في أعمال الحفر أن هذه الحجرات كانت تستخدم رفوفًا لوضع لفافات الورق عليها وذلك بالنسبة لمكتبة سيرابيوم Serapium وكانت هذه اللفافات تتم مراجعتها في الأروقة، ومع ذلك فإن موقع مكتبة سيرابيوم Serapium تم تغييره في العصر الروماني وربما انتقلت المكتبة في تلك المرحلة إلى المباني الرئيسية للمعابد .

إن موضوع تقسيم الكتب بين المكتبة الرئيسية والمكاتب الفرعية ليس لدينا عنه معلومات كافية، فنرى تسيتزس Tzetzes كما أوضح يشير إلى مكتبة سيرابيوم Serapi-um على أنها المكتبة الخارجية، وهذا يبين أن المكتبة الداخلية في بروكيون Brucheion لم تكن متاحة لأي أحد ما عدا علماء المتحف.

ويقول إبيفانيس من سلاميس hanius of Salamsi Epip –كاتب مسيحي في القرن الرابع الميلادي– إن الترجمة اليونانية للكتاب المقدس تم وضعها في المكتبة الأولى في بروكيون Brucheion ويضيف قائلا : وبعد ذلك بقليل تم إنشاء مكتبة أخرى في سيرابيوم Seropioum أصغر من الأولى، أطلق عليها اسم "ابنة الأولى ..." وكلمة بعد ذلك بقليل من المحتمل أنها تشير إلى حقيقة أن هذه المكتبة مثل المباني الرئيسية كلها في سيرابيوم قام بإنشائها بطلميوس الثالث ابن بطلميوس فيلاديلفوس، ويذكر عالم الخطابة والبلاغة أفتونيوس Aphtonius من أنتيوخ Antioch – الذي لابد أنه زار

سيرابيوم فى أيامها الأخيرة فى القرن الرابع الميلادى - أن مخازن الكتب تم ضمها إلى صفوف الأعمدة، ويزعم - مبالغا فى ذلك -أن الكتب كانت متاحة لكل راغبى الدراسة وطالبى العلم؛ وهذا مما جعل أهل المدينة كلهم حكماء .

وليس لدينا أيضا معلومات دقيقة كافية عن ترتيب الكتب وفهرستها، ويزعم تسيتزس Tzetzes أنه تحت رعاية بطلميوس فيلاديلفوس قام الإسكندر ملك أتوليا Alexander of Atolia بمراجعة كتب الأعمال التراجيدية (المأسوية)، كما قام ليكوفرون lychophron من كالسيس Chalcis بمراجعة الأعمال الكوميدية، كما قام أيضا زينودوتوس من إيفيسوس Ephesus بمراجعة كتب الشاعر هوميروس Homer وبعض الشعراء الآخرين، والمراجعة هنا ربما شملت نوعا من التجميع أو الفهرسة لأعمال المؤلفين المذكورين وربما امتدت لتشمل صنوفا أخرى من الأدب .

وهناك سؤال مرتبط بما سبق وهو: ما الدور الذى لعبه كاليماخوس Chailimachus الشاعر السكندرى فى المكتبة؟ على الرغم من أن هناك مزاعم مختلفة فلا يوجد فى الحقيقة دليل يستبعد أنه كان قائما على الكتب والمخطوطات البردية Oxyrhynchus Papyrus ، وعلى الرغم من ذلك فإن كاليماخوس Challimschus كان فعلا أول من ألف وقام بوضع ثبت المراجع الشاملة للأدب اليونانى التى تسمى Pinakes وهذا العمل أضاف بالفعل شيئا إلى عملية تجميع الكتب التى تم عملها للمكتبة بعد ذلك، وهذا العمل المسمى بـ Pi-nakes كان له عنوان كامل يقول : هؤلاء الذين كانوا بارزين فى كل مناحى العلم وكل ما قاموا بكتابته وذلك فى ١٢٠ مجلدا، وربما شمل هذا العمل الأعمال التى لم تكن موجودة فى المكتبة التى عرفها كاليماخوس Chalimachus من المصادر الأخرى.

إن المعلومات المتفرقة التى لدينا عن هذا العمل تبين أنه شمل الأنواع الأساسية للقصيدة الشعرية للأدب اليونانى وعلى الأقل خمسة أنواع من النثر وهى : التاريخ، والبلاغة، والفلسفة، والطب، والقانون، وقسم آخر متنوع، وفى هذه العلوم المختلفة قام المؤلفون بإدراج السير الذاتية بالترتيب الهجائى بالنسبة إلى المؤلفين وبيان مؤلفات كل كاتب وقاموا أيضا بكتابة الكلمات الافتتاحية لكل عمل على الترتيب الهجائى وتوضح طول العمل وقصره. ومع ذلك، حتى لو كنا غير واثقين بكيفية ترتيب كاليماخوس CHal-limachus لثبت المراجع فإننا مازلنا أيضا غير متأكدين من أن هذا قد انعكس على ترتيب وفهرسة الكتب الموجودة بمكتبة الإسكندرية، ولا نعرف أيضا حجم هذا الترتيب أو الفهرسة ولا كيفية إدراج الكتب المزدوجة أو المتنوعة، أو الإجابة عن الأسئلة التى

تطرحها نظم المكتبات الحديثة، وتعتبر قوائم الكتب المبعثرة التى يرجع أصلها إلى العالم القديم مذكرة بالقائمة المرتبة هجائيا عن أسماء المؤلفين ومقالاتهم إلا أنها ليست شاملة لكل هذه الأمور .

القائمون على المكتبات

على الرغم من أن كاليماخوس CHallimachus لم يكن فعلا قيما على مكتبة الإسكندرية، فإن لدينا بعض المعرفة عمن كانوا قائمين على تلك المكتبة، فأحد المصادر المهمة عن هؤلاء هى إحدى أوراق البردى، رغم أننا لسنا واثقين من صحتها، وتحتوى على ما كان يحدث من تدريبات مدرسية فى القرن الثامن الميلادى وتم نشرها عام ١٩١٤، والجزء المقروء من نص هذه الورقة يبين ما يلى : إن أبولونيوس Apollonius ابن سيليوس Sillius وكان يدعى روديوس Rhodios صديق كاليماخوس CHallimachus وكان أيضا مدرسا للملك الأول (لكن فى الحقيقة كان مدرسا للملك الثالث) ثم خلفه إيراتوسين Eratosthene وجاء بعده أريستوفانيس Aeistophanes بن أبيليس Apelles البيزنطى وأريستارخوس Aristarchus ثم بعد ذلك أبولونيوس السكندرى Apillonius ويطلق عليه أيدوجراف Idograph وجاء بعده أريستارخوس Aristerchus بن Aristarchus السكندرى وأصله من ساموثراس Samothrace وكان أيضا مدرسا لأبناء فيلوباتور Philopator واسمه الحقيقى فيلوميتر Philometer وجاء بعده سيداس Cydas حامل الرماح .. وفى أثناء فترة حكم الملوك التسعة سطع نجم كل من أمونيوس Ammonius زينودوتسZenodotus، وديوكلاس Diocles وأبولودوراس Apollodarus الذين كانوا علماء نحويين(علماء لغة). ومن خلال بعض المصادر الأخرى فإننا على يقين من أن هذه هى قائمة الذين كانوا أمناء المكتبة من الإسكندرية، وتتضمن هذه المصادر مصطلحات عديدة لكلمة Librarian؛ أى: القيم على المكتبة، وليس من الواضح ما الشروط التى تضمنتها لتعيين القائمين على المكتبة، ولقد قيل إن بعض القائمين على المكتبة فى أول الأمر – كما تقول ورقة البردى – معلمون خصوصيون لأبناء الملوك بالإضافة إلى منصب أمانة المكتبة .

ولا يتسع المجال هنا لذكر الدليل على هذه القائمة أو التسلسل الدقيق والتاريخ لتعيينهم، ولكن هناك قائمة قديمة لأول من تم تعيينهم – سوف نراها – وهى تختلف عن القائمة المذكورة فى ورقة البردى وهى كما يلى: زينودوتوس Zenodotus وأبولونيوس

Aristophanes of وإيراتوسين Eratosthenes وأريستوفان البيزنطى Apolloniso of Rhodes Byzantium وأبولونيوس آيدوجراف Apollonius the Idograph – والمعنى الحقيقى للعنوان غير واضح وربما تم إدراج أبولونيوس Apollonius of Rhodes فى القائمة مرتين – وأريستارخوس Aristarchus ، ومعظم هؤلاء كانوا أدباء بارزين وكان لهم دور فعال فى علم نصوص العديد من الأعمال الكلاسيكية للمؤلفين اليونان، ومعظم هذه الأعمال تم إدراجها فى القائمة بتفصيل أكثر رغم أنها ليست بنفس الترتيب السابق فى الموسوعة البيزنطية التى تسمى سودا Suda ويرجع أصلها إلى القرن العاشر الميلادى، وآخر الذين ذكروا فى القائمة أريستارخوس قد نفى عندما جلس بطلميوس الثامن على العرش وهو يورجيتيس الثانى عام ١٤٥ ق . م. ولكن الذين جاءوا بعد ذلك لأمانة المكتبة لم يكونوا متميزين أو بارزين .. فالمصادر التى فى ورقة البردى التى تشير إلى تعيين سيداس Cydas قيما على المكتبة توضح أن البطالمة بعد ذلك لم يعد لديهم اهتمام بالسمعة العلمية للمكتبة، بل ربما كانوا يبغضون ذلك، فقد كانوا يغلقون مواردها ومن ناحية أخرى يقومون بالاهتمام الكبير بالمتحف ككل .

متى تم تدمير المكتبة ؟

إن أحد الأسئلة التى كثر الخلاف حولها بالنسبة للمكتبة هو: ما مقدار الخسارة الذى حدثت فى تدميرها أثناء الحرب التى اندلعت بين يولويس قيصر وكليوباترا من ناحية وبينه وبين بطلميوس الثانى عشر من ناحية أخرى حول السيطرة على مدينة الإسكندرية فى ٤٨ – ٤٧ ق . م ؟ ومن الجدير بالذكر أن نعرض للمصادر القديمة بشىء من التفصيل والتعليق عليها .

إن الفيلسوف الاستيكى سينيسا الصغير Seneca the younger – عاش فى القرن الأول الميلادى – يدين كل المكتبات العظيمة جميعا قائلا: " ما معنى العدد الذى لا حصر له من الكتب والمكتبات التى كان صاحبها يقوم بقراءة العناوين فقط طوال حياته، إن تلك الأعداد المهولة لا تفيد أحدا يريد أن يتعلم، فمن الأفضل لك أن تثق بالقليل من المؤلفين عن أن تجول مع الكثير منهم".

لقد تم إحراق ما يقرب من ٤٠٠٠٠ كتاب فى الإسكندرية، ومع ذلك فإننا نشيد بهذا المعْلم الذى قام الملوك بإنشائه على نفقتهم كما أشاد بذلك ليفى Livy ويقول إنه

من أبرز الإنجازات التى قام بها الملوك مع الرعاية الجيدة والذوق الرفيع، وهذه المعلومات استقيناها من كتاب ليفى" تاريخ روما" وهذا الكتاب يخلو من الجزء الذى له صلة بموضوعنا، وقد قيل إن العدد الذى ذكره سينيسا يجب أن يغير إلى ٤٠٠٠٠ كتاب فقط لمطابقته بالعدد الذى ذكره أوروسيوس Orosius وهو - كما سنرى بعد ذلك - عدد غير أكيد .

أما رواية بلوتارخ Plutarch للقصة فهى كما يلى :

عندما حوصر القيصر أجبر على القضاء على ذلك الخطر بترك النار وإضرامها فى الأسطول؛ فانتشرت حول أرصفة السفن ومن ثم دمرت المكتبة العظيمة. وتبدو هذه الرواية مقنعة ولكنها تظل تصورا قام به بلوتارخ Plutarch حتى يتبين ما الذى تم إحراقه بالضبط .. وقد كتب ديوكاسيوس DioCassius أحد مؤرخى القرن الثالث الميلادى قائلا: "إنه بعد حدوث تلك المعارك بينهم (أى بين قوات القيصر وكليوباترا وبطلميوس الثانى عشر) والتى كانت تظل ليل نهار والكثير من الأماكن اندلعت فيه النار لدرجة أن من بين الأماكن الأخرى التى أحرقت كانت أرصفة السفن وأماكن تخزين البضائع والحبوب والكتب التى - كما يقولون - كثيرة العدد وكانت مهمة". وسوف نذكر أن المؤرخ ديوكاسيوس لم يذكر أعداد الكتب ولا الأماكن التى كانت فيها تلك الكتب التى تم إحراقها .. ومن الجدير بالأهمية هنا أن نذكر قصة جالين Galen التى ذكرت آنفا أن أهل الإسكندرية لم يقوموا بوضع الكتب الجديدة مباشرة فى المكتبات ولكنهم وضعوها أولا فى مستودعات ومخازن البضاعة، وربما كان ديو Dio يعنى أن الكتب التى كانت فى مخازن البضاعة من عام ٤٨ حتى عام ٧ ق . م. هى التى أحرقت .

ويقول أميانوس مارسيلينوس Ammianus Marcellinus من مؤرخى القرن الرابع الميلادى :

بالإضافة إلى ما سبق، يوجد فى الإسكندرية معابد ذات أسقف عالية، ومن أبرزها معبد سيرابيوم Serapium وعلى الرغم من أنه لا يمكن إعطاء وصف دقيق لهذا المعبد فإننا نقول إن به أروقة (صالات) ذات أعمدة ومجموعة تماثيل تبدو كأنها شخوص حية، وبه الكثير من الأعمال الأخرى التى- بغض النظر عن تمثال أو معبد كوبيتوليوم Capitolium - بفضلها تزعم روما العظمى أنه سيخلد اسمها، حتى إنه ليس هناك شىء يمكن رؤيته أو الاستمتاع به خلاف هذه المدنية فى العالم، وتوجد فى هذا

المعبد مكتبات لا حصر لها وهناك مصادر موثوق بها من قديم الزمان تؤكد على أن الـ ٧٠٠٠٠٠ كتاب التى أحضرها الملوك البطالمة الذين كانوا غاية فى العناية واليقظة، قد أحرقت فى الحرب التى اندلعت فى الإسكندرية، وذلك عندما قام الطاغية القيصر بنهب المدينة .

وهنا يخلط أميانوس Ammisnus بين مكتبة سيرابيوم Serapium وبين المكتبة الرئيسية التى فى منطقة بروكيون Brucheion وهذا يجعل قصته بأكملها مشكوكا فى صحتها، وربما تصور أن المكتبة بأكملها قد أحرقت أو العدد الذى ذكره يتفق مع العدد الذى ذكره أولوس جيليوس Aulus Gellius وقد ذكرنا ذلك آنفا .

وأخيرا فإن أورزيوس Orosius المؤرخ الإخبارى أو التاريخى فى القرن الخامس الميلادى يروى قصة أخرى قائلا : فى أثناء المعركة صدر الأمر للأسطول الملكى الذى سحب إلى الشاطئ أن يضرم النيران التى انتشرت فى جزء من المدينة وقد أحرقت ٤٠٠٠٠٠ كتاب كان قد تم تخزينها فى مبنى قريب، وهذا العدد المهول من الكتب يعتبر شاهدا على جهود أسلافنا المضنية الذين قاموا بجمع مثل هذا العدد الهائل من أعمال عباقرة البشر. وهذه القصة ربما لا تكون صحيحة؛فإن العدد المذكور فيها بالنسبة للكتب التى أحرقت ليس أكيدا رغم أن إحدى المخطوطات تذكر أنه كان ٤٠٠٠٠ كتاب وهذا يتفق مع قصة سينيكا Seneca كما تم الإشارة إليه آنفا، والأهم من ذلك أن مما يثير الشك فى رواية أورزيوس orosius كون هذا المبنى كان مستودعا لتخزين الكتب التى دمرت .

ومن الصعوبة بمكان الحكم على هذه القصص؛ لأننا لا نعرف المكان الحقيقى للمتحف الذى توجد فيه المكتبة .. فلو كانت المكتبة قد دمرت فإن منطقة القصر كانت سوف تتأثر، ومع ذلك فإن القيصر نفسه يذكر أنه فى زمن حدوث الحريق كان قد قام باحتلال أحد القصور، ويقول راوى هذه القصة ولعله هيرتيوس Hiritius إن القيصر كان قادرا على أن يوسع من احتلاله للمدينة ويذكر بصراحة أن مدينة الإسكندرية كانت آمنة تقريبا من النيران؛ لأن المبانى لم يستخدم فى بنائها أى نوع من أنواع الخشب إضافة إلى أنه لو كان قد تم تدمير المكتبة فإننا سوف نتوقع أن أعداء القيصر أمثال سيسرو Cicero كانوا سوف يذكرون الحقيقة عن ذلك، وأخيرا نرى المؤرخ سترابوStrabo – كما ذكرنا منذ قليل – يذكر قصة واضحة بوصفه شاهد عيان للمتحف الذى لم يذكر أنه تم تدميره برغم أنه لو كان قد حدث تدمير فلابد أنه كان قبل مجيئه إلى زيارة الإسكندرية بعشرين عاما أو أكثر، وليس بإمكاننا اتخاذ أى قرار أو حكم نهائى بناء على تلك

المعلومات المتضاربة، ويبدو أن هذا المبنى كان – من المتحمل – مخزنا للكتب أو جزءا من المكتبة التى أحرقت ، و هذه القصة مبنية على الرواية التى تقول إن المكتبة بجملتها قد دمرت .

وهناك رواية مشكوك فى صحتها أيضا تقول : إن مارك أنطونيو Mark Antony قد أهدى كليوباترا مكتبة بيرجامون Pergamon ليعوضها عن الخسارة التى حدثت، ومصدرنا الأساسي لتلك الرواية هو بلوتارخ Plotarch الذى يقول : إن كالفيسيوس calvisius الذى كان أحد أصحاب قيصر قام بتوجيه اتهامات له بسبب ما قام به القيصر ضد كليوباترا ومن ثم قدم لها المكتبات التى كانت فى بيرجامون Pergamon التى كانت تحتوى على ٢٠٠٠٠٠ كتاب. ويستمر بلوتارخ Plutarch قائلا : إن كالفيسيوس Calvisius اختلق معظم هذه الاتهامات الفاضحة، وكلمة اليونان Greek فى القطعة (النص) الأولى غامضة وربما تعنى إما "عرض" أو "منح" وفى كلتا الحالتين لم يذكر بلوتارخ Plotarch أبدا أن الكتب تم إرسالها إلى الإسكندرية، ويبدو أنه يشك فى القصة بأكملها ويجب أن نكون فى ذلك مثله .

ولقد عرفنا القليل جدا عن المكتبة أو أى شيء من بقاياها فى عهد الإمبراطورية الرومانية، ولقد سجل سترابو Strabo فى تاريخه– كما تم ذكره آنفا– أنه فى وقته(فى عصر أوجوستاس Augustus) قام الإمبراطور بتعيين الكاهن مسئولا عن متحف الإسكندرية كما فعل البطالمة قبله .. وهذا يدل على اهتمام وتشجيع الأباطرة للمكتبة .. ويذكر سيوتونيوس Suetonius أحد كُتَّاب السير أو المترجمين فى القرن الثانى الميلادى أنه فى بداية حكمه أهمل الإمبراطور الدراسات والفنون العقلية رغم أنه قام بعمليات الترتيب لبناء المكتبات فى بورتيكاس أوكتافياى "Porticusoctaviae" فى روما التى أحرقت وأمر بأن تستبدل مهما كلف ذلك، باحثا فى كل مكان من العالم عن الكتب وقام بإرسال العلماء إلى الإسكندرية لنسخ وتصحيح تلك الكتب، وهذا التقرير يدل – حتى لو لم يكن هناك فعلا مساندة إمبراطورية لمكتبة الإسكندرية – على الأقل على أن المكتبة كانت ومازالت تحتوى على نسخ صحيحة للأدب اليونانى .

وربما يكون التدمير النهائى لمكتبة المتحف قد حدث فى عام ٢٧٢م. ويقول أميانوس مارسيلفياس Ammianus Marcellinus": لكن مدينة الإسكندرية تم توسيعها – ليس تدريجيا – كالمدن الأخرى منذ بداية تأسيسها إلى أبعاد عظيمة وكبيرة، ومنذ وقت بعيد وهى مليئة بالنزاعات الداخلية حتى تصاعدت المشاجرات. بعد سنوات عديدة

عندما كان أوريليان Aureelian هو الإمبراطور ـ حتى بلغت حد النزاع المميت، ومن ثم فإن جدران مباني الإسكندرية قد تساقطت وفقدت المدينة المنطقة العظيمة التي كانت تدعى بروكيوم Brucheion التي كانت لفترة كبيرة مسكنا لمعظم رجالها البارزين .

ولابد من أن تدمير مكتبة سيرابيوم SeraPium تبع ذلك في عام ٣٩١م. رغم أن المصادر (ومعظمها مصادر تاريخية مسيحية لهذه الفترة) لا تؤكد ذلك مباشرة، فقط إن المكتبة الرئيسية تم تدميرها في بروكيون Brucheion وفي عام ٣٩١م. أراد بطريرك الإسكندرية المسيحي ثيوفيلاس TheoPhilas أن يقوم بتحويل أحد معابد المدينة إلى كنيسة، وبعد معارضة من الجانب الوثني أدت إلى قتال جرى في شوارع المدينة نتج عنه تدمير كبير حصل هذا البطريرك على موافقة من الإمبراطور تيودوسيوس Theodosius الأول بإغلاق كل المعابد بما فيها معبد سيرابيوم Serapium ؛ ولذلك أجبر عدداً من العلماء والفلاسفة الوثنيين على مغادرة المدينة .

ويواصل أوروزيوس Orosius مقالته التي تم الاستشهاد بها سابقا مع الملاحظات التي يعتريها الاختلاف والتنازع، وقد قام بكتابة ذلك عام ٤١٦م. بعد زيارة للإسكندرية، قائلا : ولذلك، على الرغم من أنه مازال يوجد حتى اليوم صناديق الكتب في المعبد والتي رأيناها وتذكرنا سرقتها بأنه تم تفريغ هذه الصناديق على أيدى معاصرينا " وهذا شيء مؤكد" إنه جدير بنا أن نؤمن بأن الكتب الأخرى قد تم الحصول عليها للمنافسة على الاهتمام بالدراسة في العصور القديمة أكثر من الإيمان بأنه كانت يوجد مكتبة أخرى منفصلة عن مجموعة الكتب التي يبلغ عددها ٤٠٠٠٠٠ كتاب، التي فوتت على المكتبة الأولى أهميتها بهذه الطريقة .

وهذا الذي ذكرناه يشير في الغالب إلى تدمير مكتبة سيرابيوم في عام ٣٩١م، ومع ذلك فإن تلك الفقرة يجب قراءتها مع اعتقاد أوروزيوس Orosius (الذي ربما يكون غير صحيح كما تم الإشارة إليه آنفا) بأن مكتبة الإسكندرية الرئيسية التي تحتوي على ٤٠٠٠٠٠ كتاب قد دمرت في الفترة ما بين ٤٨ و ٧ ق . م . فهو يزعم أن الجهود قد بذلت حديثا لبناء مكتبات المعبد في الإسكندرية، ولكنه يعتقد أنه لم تكن هناك مكتبة أخرى متزامنة مع المكتبة الرئيسية أو كانت موجودة، بعبارة أخرى إنه لم يعلم التاريخ القديم لمكتبة سيرابيوم SeraPium القديم، وفي كل الأحوال إنه يوضح بجلاء أنه لم تكن هناك مكتبة عظيمة في الإسكندرية في أيامه .

هل قام العرب بإحراق الكتب؟

يبدو أن مكتبتى الإسكندرية قد دمرتا فى نهاية القرن الرابع الميلادى، وعلى الرغم من ذلك فإنه مازال هناك اعتقاد سائد فى العصور الحديثة (وهذا الاعتقاد قد أثبت إدوارد جيبون Edward Gibbon عدم صحته) بأن العرب هم الذين قاموا بتدمير المكتبة عندما احتلوا المدينة عام ٦٤م، وقد تناول ألفريد بالتر Aifred Bulter المصادر العربية وغيرها بالنسبة إلى هذا الاعتقاد بشيء من التفصيل فى كتاباته عام ١٩٠٢م. وليس هناك معلومات كافية للتدليل على كتابات بالتر Bulter.

ولقد ذكر تلك القصة بداية أبوالفرج (مؤرخ عربى فى القرن الثالث عشر الميلادى) حتى إن كاهنا مسيحيا مخلوعا من سلطته يدعى چون العالم النحوى John the Grammarian ذهب إلى الفاتح العربى الذى فتح الإسكندرية واسمه عمرو وطلب منه كتب الحكمة الموجودة فى خزانات بيت المال الإمبريالية التى ربما لا يحتاجها العرب، وقد كتب عمرو بن العاص إلى الخليفة عمر بن الخطاب الذى أجاب قائلا : إن هذه الكتب التى ذكرت إذا كان ما تنطوى عليه يتفق مع كتاب الله فإنه لا حاجة لهم بطلبها، وإذا لم تكن تتفق مع كتاب الله فإننا لا نرغب فيها فاعدمها. لذلك أمر عمرو بأن ترسل تلك الكتب وتستخدم وقوداً فى حمامات الإسكندرية، واستغرق استخدامها كذلك حوالى ستة أشهر .

وقد أوضح بالتر Ruther أن هناك اعتراضات كثيرة على هذه القصة، فالقصة ظهرت لأول مرة بعد مرور أكثر من خمسمائة عام على فتح العرب لمدينة الإسكندرية ثم إن چون John عالم النحو يظهر على أنه الفيلسوف السكندرى چون فيلوبوناس John Philoponus الذى لابد أنه مات فى زمن الفتح، ويبدو– كما سبق بيانه – أن كلا من مكتبتى الإسكندرية تم تدميرهما بنهاية القرن الرابع الميلادى، ولم يكن هناك ذكر لوجود أية مكتبة فى الإسكندرية فى الأدب المسيحى فى القرون التى تلت ذلك التاريخ. ومن الأمر المشكوك فيه أن الخليفة عمر يقال عنه أنه فعل كما ذكر بالكتب التى وجدها العرب الشيء نفسه فى أثناء فتح إيران، وباختصار فإن القصة على أحسن تقدير هى شهادة على وجود الكثير من الأساطير عن المكتبة لفترة طويلة بعد تدميرها .

وفى النهاية من الضرورى أن نذكر كتاب لوشيانو كانفورا Liocian Canfora المشهور عن مكتبة الإسكندرية واسمه: المكتبة المختفية، وهذه القصة تبدو كأنها رواية بوليسية بها أجزاء من وحى الخيال، وعلى الرغم من ذلك فإنها تطرح أسئلة عن المكتبة وتقترح محاولات شيقة - وغالبا مقنعة - للإجابة عن تلك الأسئلة .

أولا : يذكر كانفورا Canfora معابد مصر القديمة بشىء من التفصيل وهى التى اشتملت على المكتبات لاسيما المعابد التى كانت في عهد رمسيس أو معبد رمسيس الثانى الخاص بمستودع الجثث الموجود فى طيبة، وهذا المبنى معروف من خلال وصف هيكاتيوس من أبديرا HeCotaeus of Abdrea تقريبا فى عام ٣٠٠ ق . م. وهذا الوصف يعزوه إلى أوزيماندياس Ozymandias كما ذكر ذلك المؤرخ ديودوراس سيكولاس Dioborus Siculus (تاريخ التراجم ١-٤-٩-٨) ومعروف أيضا من خلال الكشف عن الآثار، ويختم كانفورا Canfova حديثه بأن هذا المعبد لم يكن يحتوى على مبنى منفصل للمكتبة، ولكن الكتب الخاصة بالمكتبة كانت مخزنة فى أرفف الأعمدة أو فى الممرات ـ ومن المحتمل أن مكتبة الإسكندرية تبعت المبدأ نفسه .

ويتناول كانفورا Canfora أيضا بشىء من التفصيل التدمير المفترض للمكتبة الرئيسية فى الفترة من ٤٨ إلى ٧ ق . م. ويستنتج أن مخزنا صغيرا قرب ميناء الإسكندرية يحتوى على ٤٠٠٠٠ كتاب كان قد أحرق ولكن المكتبة الأساسية فى البروكيون لم يمسها الحريق . وهذا يعنى أنه موافق للعدد الذى ذكره سينيكا ويفترض أن المؤرخين الذين ذكروا أعداداً أكبر يعتقدون خطأ أن المكتبة الرئيسية قد أحرقت ويذكرون أى عدد يظنونه تحتويه المكتبة . ويعتقد كانفورا Canfora أيضا أن هذه المكتبة الرئيسية كانت قد دمرت عام ٢٧٢ م. بالإضافة إلى باقى منطقة بروكيون Brocheion.

وأخيرا يسجل كانفورا Canfora التدمير التام لكل المكتبات العظيمة فى العالم القديم ويختم كتابه قائلا : إن مجموعات الكتب الهائلة التى وجدت عادة فى مراكز القوى كانت ضحايا هذه الانفجارات والهجمات المدمرة والحرائق المهلكة، ولم تثبت مكتبات بيزنطة أى استثناء لهذه القاعدة، ونتيجة لذلك فإن ما جاء إلينا ليس من المراكز الكبرى ولكن من الجهات غير الرئيسية مثل الأديرة ومن النسخ الخاصة المتفرقة .

وهذا الاعتقاد له وجاهته ولابد أنه يهتم بالحكمة من وراء تجميع كل هذه الأعداد من الكتب فى العصور القديمة أو الحديثة . وربما أدرك كانفورا Canfora أن مكتبة الإسكندرية – ومثيلاتها– كان لها دور بارز فى الحفاظ على الأدب القديم من خلال تشجيعها للبحث العلمى على النصوص . وربما تكون الجهود البشرية لجمع فروع الأدب قد فشلت، ولكن مما لا شك فيه أن المكتبات الكبرى قد ساهمت كثيرا فى التقدم العلمى فى حالة وجودها واستمرار نشاطها .

وفى القرن العشرين لم يصل أحد بأية وسيلة من الوسائل إلى حلول للمشاكل المتعلقة بالمكتبات الكبرى، وقد كان هناك ظن سابق لأوانه بأن التسجيل الرقمى للنصوص سوف يحل كل المشاكل المتعلقة بجمعها وتخزينها وسوف يجعلها متاحة فى كل وقت لمن يريدها وفى أى مكان فى العالم، وفى الواقع لم يبدأ بعد ترقيم تلك النصوص المطبوعة و من خلال التكنولوجيا الحديثة فإن تكاليف هذا المشروع سوف تجعل هذه النصوص فى صورة كتيبات صغيرة الحجم شائعة الاستخدام. وعلى الرغم من أن معظم الكتب هذه الأيام يجب أن يتم طبعها فى شكل رقمى فإن اقتصاديات الطبع لا تشجع على اقتناء مثل هذه الكتب .

وفوق كل هذا فإننا لا نستطيع القول بأنه هل ستقوم التكنولوجيا الحديثة بالمحافظة على المخطوطات والمطبوعات بكفاءة كما قامت المكتبات بهذا من قبل أم لا ؟ فإن مكتبة الإسكندرية قد حافظت على الكتب التى كانت بها بدون خسارة كبيرة لمدة لا تقل عن ٦٠٠ عام . ولا ينبغى أن نكون بتلك الثقة بأننا سوف نحافظ على أدبنا مثل تلك الفترة الطويلة .

خاتمة : الأسطورة والتراث

لقد أصبحت مكتبة الإسكندرية أسطورة فى زمانها وظلت كذلك حتى وقتنا الحاضر، و باستثناء مكتبة قصر أشوربانيبال Ashurbanipal فهى تعتبر بالنسبة إلينا أول محاولة لجمع شامل لتراث أدبى واحد (ولعله الأدب اليونانى) وللأدب الأجنبى

أيضا ولكن بشكل مختصر وسوف تظل مصدر إلهام لمن سيأتى بعد لتأسيس المكتبات العالمية أو ربما سوف تخدعهم .

ومن الجدير بالذكر أن أثينا الديمقراطية (وهى الجمهورية الرومانية) لم تقم أبدا بتأسيس مكتبة ، ولكنه كان فقط تظاهرًا ثقافيا كان يظهره الطواغيت الحكام ، والملوك والأباطرة، ربما يخدع الجميع بعمل مكتبات عالمية مليئة بالكتب، فنرى أن البطالمة قد قصروا المكتبات على بعض علماء المتحف الذين كانوا مدرجين فى جدول الرواتب الملكية (وربما كان تأسيس مكتبتى سيرابيوم Serapium والمكتبة الخارجية متأخرا ولم يكن لهما نشاط واسع أبدا مثل المكتبة الرئيسية). ومن ثم جاءت المخاطر الناتجة عن تلك المناصرات : فنجد البطالمة قد قل اهتمامهم بالمجالات العلمية والأدبية (أو على الأقل كانوا يقضون معظم أوقاتهم فى الدفاع عن أنفسهم ضد أعدائهم فى الداخل والخارج) ومن ثم قلّت – إن لم تكن انعدمت– الأموال المخصصة للمكتبة وتم الاستغناء عن معظم العلماء .

وحتى فى المجتمعات الديمقراطية الحديثة – حيث نجد كل إنسان يتكلم كثيرا، بلا فعل، عن الحاجة إلى المعلومات – نجد أن مشكلة كيفية إمداد المكتبات ماليا ونوعية المكتبات التى تزود بالمال ما زالت قائمة . حتى فى المجتمعات الغنية جدا نجد المكتبات غير قادرة على التغلب على الصعوبات المتزايدة المتعلقة بالمعلومات الإلكترونية أو المطبوعة (حيث إنها تحتاج إلى الأموال) .

والنتيجة مازالت غير واضحة وهذه المجموعات المختارة (من الكتب) مازالت تهدد الاتصال العلمى فى العالم بأسره فى حين أن الاتصالات الإلكترونية لا يجب من حيث التطبيق أن تجعل لهذا الاتصال تأثيراأو جهودا .

وتعتبر مكتبة الإسكندرية ذات أهمية لنا ليس على الأقل لأنها طرحت تلك الأسئلة من قبل . وربما تبدو مكتبات البحث العلمى بالنسبة إلى الغرباء – كما كانت مكتبة الإسكندرية بالنسبةإلى تيمون Timon – مفيدة فقط بالنسبة للكتب الموجودة فى الأماكن المنعزلة ومكانها فى ميوزيس Muses ولكن الحضارة البشرية لا يمكنها أن تنهض بدون تلك الكتب أو المكتبات .

الفصل الرابع

أعمال أرسطو: الأصول المحتملة للمجموعة السكندرية

آر. جى . تانر

مقدمة

إن بعضا من أكثر الموضوعات التى تحيط بمكتبة الإسكندرية غموضًا ومصدر وفحوى ما احتوته المكتبة من أعمال أرسطو. تاريخ هذه الأعمال يحمل فى طياته علاقة قوية وغامضة بتاريخ المكتبة. تتحدث هذه الورقة البحثية عن مصدرين لنقل أعمال أرسطو من العالم القديم للحديث؛ الأول: ما نطلق عليه اليوم الرؤية التقليدية – هو أن المجموعة الكاملة لأرسطو ورثت بأكملها من جانب ثيوفراستوس، وبالتالى تم دفنها، أو بيعها، وتحريرها فى روما. من ثم، فى زمن الرومان، تم صنع نسخ منها وصلت إلى المكتبة. المصدر الثانى: يعتبر أكثر إثارة للجدل، لكنه أكثر إثارة للاهتمام أيضا، ويقول بأن هناك مجموعة من أعمال أرسطو اشتقت من الأعمال التى تم تحضيرها فى ميزا بغرض تعليم الإسكندر الأكبر، وأنها إما تم منحها من جانب الأخير للإسكندرية، أو تمت سرقتها حتى توضع فى المكتبة من جانب بطلميوس سوتر.

هاتان الرؤيتان المتوازيتان تقدمان لنا فكر أرسطو عبر مرحلتين مختلفتين من التطور التاريخى فى فكره. فى مرحلة يمكن أن نصفها بأنها "المرحلة التعليمية"، التى تتضمن أعمالا كان يريد بها تعليم الإسكندر، ومنها أربعة أعمال أطلق عليها أرسطو "أعمال غير علمية": عن الشعر والأخلاق والسياسة والخطابة. والمرحلة الأخرى يمكن أن توصف بأنها مجموعة أرسطو الفلسفية الكاملة.

نحن نعلم أن الفيلسوف العظيم كان مرتبطًا بأبى الإسكندر الأكبر فيليب الثانى ملك مقدونيا، كلفه الأب بتعليم ابنه تعليمًا يونانيا فى نيمفيوم بميزا. لعل الاختيار تأثر بحقيقة أن نيكوماكوس - أبا أرسطو - كان طبيب الملك الخاص فيما سبق، وكذلك بسبب دور أرسطو البارز كعالم ومعلم تدرب فى أكاديمية أفلاطون حتى سنة ٣٤٧ ق.م. بالتأكيد كان يوجد معلمون بارزون آخرون مرشحون للوظيفة، وقد مثل أيزوقراطس، الخطيب المفوه والمفكر السياسى الأثينى البارز، الذى كتب عدة خطابات ناصحة لفيليب، اختيارًا محتملاً لشغل الوظيفة.

لكن تلقى أرسطو الدعوة وبدأ فى تعليم الإسكندر سنة ٣٤٣ ق.م، عندما بلغ الأمير سن الثالثة عشرة من العمر. ومن غير المتفق عليه ما إذا كان أرسطو قد علم الإسكندر وحده أم أنه كان هناك عدد من الغلمان من العائلة الملكية تعلموا معه. أنا أرى أنها كانت مجموعة من الطلبة، فى تعليم جماعى يهدف إلى تدريب فصل من الصغار ذوى الولاء للإسكندر، ويشاركونه فى مثاليته فى إدارة شئون الحملات الاستعمارية الآسيوية التى كان والده ينتوى شنها. على الجانب الآخر، على أساس من خطاب أرسله الإسكندر لأرسطو يوبخه فيه على تعليمه لجمهور كبير، على هذا الأساس يرى تريفور ساندرز أن التعليم كان خاصا. وتلك مسألة مهمة، لكن أتمنى أن أستطيع الإجابة عنها لاحقا.

المصادر القديمة تخبرنا بأن أرسطو قد كتب لتلميذه الملكى الصغير رسالتين، واحدة باسم: "عن الملكية"، والثانية باسم: "عن المستعمرات". وكذلك قيل إنه قد حرر لتلميذه نسخة خاصة من كتاب هوميروس، كان الإسكندر يحمله معه طوال حياته. دعونا إذن ننظر إلى أسلوب تعليم الأمير المحتمل. كانت أثينا تهدف إلى إعداد المواطن الصالح القادر على شغل منصب عام فى دولته الجمهورية المدينة، فى حالتى السلم والحرب. تطلب هذا إعداداً جسدياً خاصا، والقدرة على استخدام السلاح، وكل من نوعى التعليم كان يقوم عليهما مدربون. لكن كما يخبرنا التاريخ، كانت هناك حاجة للتعليم الروحى، كتعلم الموسيقى. وعمليا، كان هذا يعنى المهارة فى عزف آلة الفلوت، والقدرة على شرح الأشعار، خاصة الأشعار الهومرية، وحفظها عن ظهر قلب - وهو ما كان يتعلمه المرء على يد عالم قواعد لغوية - وبالتسلح بكل هذه المهارات، كان الفتى من الطبقة العليا الأثينية يتحول عند سن الخامسة عشرة أو السادسة عشرة إلى تعلم الخطابة والحكمة السياسية، التى كان يدرسها السفسطائيون، مثل بروتاجوراس العظيم. كان هذا نوع التعليم الذى يمكن لأيزوقراطس أن يمنحه بنجاح باهر. لكن،

بالنسبة إلى حاكم متوقع أن يحكم العالم، أراد فيليب لابنه أن يتعلم عن طبيعة الإنسان والعالم. من ثم وقع الاختيار على أرسطو، الذى كان قد كتب كتاب "الأخلاق" سنة ٣٦٤ ق.م فى أسوس، والذى كان جادا فى عمله عن التاريخ الطبيعى فى جزيرة ليسبوس حيث جاءه خبر تعيينه هناك.

المنهج التعليمى الذى يتوقع أنه كان يدرس فى ميزا يغطى الشعر، مع إشارة بارزة لهوميروس، فى الكتاب التعليمى عن الأخلاقيات اليونانية ليعطى قوة الإقناع، وكتاب الأخلاق الذى يشير إلى أخلاق الملوك المطلوبة، والسياسة لتساعد على فهم دور الحكومة وسياقها الدستورى. مرة أخرى، سوف يكون من المعقول أن نتوقع أن تيمة هذه الأعمال كانت تمثل الرؤية الملكية بدلا من رؤية المواطن عن هذه الموضوعات التى تتناولها. من المحتمل أيضا، مع توافر بقايا أثرية لدينا من بعض عناصر التعليم العلمى، أعمال مثل "دى أنيما" و "دى ميموريا" يمكن أنها قد كتبت للتعليم الملكى وتم مراجعتها فيما بعد. فيما يتعلق بالبحث المذكور فى كتاب "التاريخ الحيوانى"، جذب ديأرشى توماس منذ زمن بعيد الانتباه إلى إشارة البحث إلى مواقع فى ليسبوس وآسيا الصغرى، بدلا من اليونان. إذن من المحتمل أن علم الأحياء كان من ضمن المواد التى كانت تدرس.

عندما ترك أرسطو ميزا ليعود إلى أثينا سنة ٣٣٤ ق.م. يمكن أن نصدق أنه قد أخذ معه رسائله العلمية ومحاضراته المكتوبة وأوراقه، واستمر فى العمل فى هذه الموضوعات فيما نعرفه اليوم بموقع المدرسة المكتشف، فيما وراء بيزنطة المعاصرة ومتاحف القوات الجوية بين ليفورروس صوفيا وليوفورروس قسطنطينية، ومقابل السفارة البريطانية تقريبا. بالأساس، رسائل أرسطو التى بقيت فى أثينا عندما هرب الأخير إلى إيوبيا بعد موت الإسكندر كانت هى أساس أعماله الأرسطية.

١-مصير الأعمال الأرسطية

نعنى بالأعمال الأرسطية الكاملة مجموعة الكتابات التى جاءت إلى أوروبا عن طريق نسخ وترجمات عربية، والتى صنعت فى سوريا وبغداد فى ظل الخلافتين الأموية والعباسية، من الأصول اليونانية التى كانت لعلماء يتحدثون اللغة السريانية وهم من المسيحيين، أو اليهود المتعلمين. بسبب أهميتها فى الجدل العلمى فى القرن الثانى

عشر- بين المفكرين المسيحيين بالأساس الذين تأثروا بأعمال ابن رشد المفكر الإسلامي العظيم الذي شكك في الوجود المستقل للروح، والقديس توماس أكويناس (الأكويني) الذي أكد الأمر- تم عمل النسخ اللاتينية من النسخ العربية في تلك الفترة. والمفاوضات التالية حول إعادة اتحاد كنيسة روما والقسطنطينية جلبت لأوروبا علماء يونانيين درسوا أرسطو مع بعض النصوص اليونانية، والكثير من النسخ التي وصلت بعد سقوط القسطنطينية على يد الأتراك سنة ١٤٥٣ م. وصف دانتي في كتابهConvito أرسطو على أنه أستاذ المنطق الإنساني، إذن لابد من أن هناك نسخا من النص اليوناني كانت منتشرة على نطاق واسع في أوروبا، على صورة نسخ مكتوبة يدويا، وبعد اختراع الطباعة في مطبوعات.

لكن من الأهمية بمكان أن نعرف المزيد عن الشخصية والمحتوى الحقيقي للأعمال الأرسطية التي تم نقلها بهذا الأسلوب. بالرغم من أن المؤلفين اليونانيين والرومان القدماء كانوا يمدحون أسلوب محاورات أرسطو، فلم يتم استعادة أي منها في عصر النهضة، والكثير من النصوص اليونانية يبدو أنها قد كتبت إما من المحاضرات أو من أوراق النقاش التي كانت تستخدم في مدرسة الفلسفة الخاصة به في أثينا بين سنتي ٣٣٤ و ٣٢٣ ق.م. تتضمن هذه دراسات عن الميتافيزيقا، والفيزياء، والأحياء، وعلم الأرصاد الجوية، وعلم الفلك، وكذلك المنطق والجدل الفلسفي. كل هذه كانت تسمى الأعمال العلمية. ثم لدينا كمية من الأعمال التي يشار إليها على أنها "غير علمية" من شعر، وخطابة، وأخلاق، وسياسة-عناصر أساسية في التعليم اليوناني والروماني. اتفق العلماء على أن بعض الأعمال المنسوبة إليه كانت من تأليف تلاميذه-أو مدرسته الفلسفية في الزمن الروماني، والتي كانت تسمى في الكثير من الأحيان "لوكيوم"، وكان يسمى أعضاؤها "المشائين". بعض هذه الأعمال مازال يثار حوله الجدل من وقت لآخر. العالم الألماني العظيم بيكر، الذي يظل عمله المنشور سنة ١٨٣١ أساسيا، والذي وضع تصنيفًا للأصيل والزائف من أعمال أرسطو – بالتأكيد كان تأثير بيكر كبيرًا إلى درجة أنه إلى اليوم يشار إلى النصوص اليونانية لأرسطو مصحوبة بتصنيفها من رقم السطر والصفحة في كتاب بيكر.

النصوص الأكثر تفنيدا لمدى صحة انتمائها لأرسطو هما نصان "غير علميين": الرسالة الأخلاقية المسماة "الأخلاق الكبرى" (ماجنا موراليا)، وكتاب الخطابة المسمى "الخطابة السكندرية". بالنسبة إلى المضمون، قام فون أرنيم وجايجر بالدفاع عن أصالة كتاب "الأخلاق الكبرى"، كما فعل توماس كيس في أكسفورد. بالإضافة إلى أن كيس

قدم دفاعًا عن كتاب "الخطابة السكندرية". كذلك كتاب (spuria) يعتقد أنه ليس من أعمال أرسطو، بل يمكن أن ننسبه إلى ثيوفراستوس، تابعه وتلميذه من المدرسة، أو من تأليف ديكارخوس أو ستراتون، وهما من تلاميذه. لكن لا يمكن نسب هذه الأعمال لعصر أندروكليس، الذى عمل على الأعمال الكاملة فى روما سنة ٧٠ ق.م. يوجد تقديرات مثيرة للاهتمام تتعلق بترتيب النص وتقدير فكر ستاجيريتى يمكن أن تدرس فى أعمال جايجر والأعمال الخاصة بدورينج، هما معا بالإضافة للأعمال اللاحقة لريست.

عند هذه النقطة، يمكن أن نتساءل : كيف وصلت مجموعة المدرسة إلى روما سنة ٧٠ ق.م؟ يخبرنا سترابو بأن أعمال أرسطو وثيوفراستوس ورّثت من جانب الأخير لنيولوس السكبسى، الذى أخذها من أثينا إلى وطنه فى سكبسيا بآسيا الصغرى. ولقد تقاعد أرسطو فى أسوس القريبة بعد موت أفلاطون سنة ٣٤٧ ق.م، وهناك عاش حتى انتقل إلى جزيرة ليسبوس – ليست بعيدة عن وطن ثيوفراستوس فى إيريسوس – قبل أن يعود لبيلا ببضع سنوات فى ٣٤٣ ق.م. من أجل أن يصير معلم الإسكندر. أهالى نيولوس قاموا بدفن الكتب لحمايتها من عملاء الملك أتالوس، الذى كان يأخذ الكتب بموجب قرار ملكى ليجمعها فى مكتبة فى برجامين بين سنتى ٢٣٨ و ١٩٨ ق.م. ثم باعت هذه العائلة هذه الكتب لبيبليوفيل أبيليكون بعدها بحوالى قرن من الزمان، وأخذها إلى بيته فى أثينا. عندما أخذ سولا أثينا فى الحرب أخذ هذه الكتب وأرسلها إلى مجموعته فى روما حيث قام تيرانيو وأندرونيكوس بتحريرها ومراجعتها حوالى سنة ٧٠ ق.م. بعض الأعمال ظلت متوفرة فى نسخ سيئة للغاية صنعها أبيليكون، بينما الباقى عانى من الرطوبة والعثة. ويخبرنا بلوتارخ عن هذا الأمر ويصر على أنه بعد أن أخذ نيولوس المجموعة، كان لدى المدرسة نسخ من أجزاء صغيرة فقط من الأعمال الأصلية، وهى بالأساس الأعمال التى فقدناها حاليا، على النقيض من المقالات الفلسفية التى وصلتنا والتى كانت بالأساس قائمة على المناقشات التى كانت تدور فى المدرسة.

تبدو هذه الرواية أصعب من أن نعتبرها مجرد خيال. وإذا كانت حقيقية، فمن الممكن أن تعكس اهتماما حقيقيا سببه ثيوفراستوس عندما زار بطلميوس سوتر لينصحه بمكتبة الإسكندرية. هناك بلا شك قابل فيلاديلفوس وأرسيونى، ولعله خاف من تدخلهما فى اليونان، واحتلال أثينا، والقبض على مجموعة المدرسة من أجل الإسكندرية. مات سوتر سنة ٢٨٣ ق.م. لكن ثيوفراستوس مات قبلها–تقريبًا فى وقت استقبال ابن الملك المنفى كيراونوس فى مقدونيا – وترك حلفاء المقدونى معرضين للانتقام البطلمى

مثل أثينا، وحمل مكتبة المدرسة إلى الإسكندرية، مما كان ليكون اهتماما طبيعيا فى وقت موت ثيوفراستوس.

إذا كانت هذه الرواية حقيقية، فمعظم الأعمال فى مجموعتنا المعاصرة لأرسطو تؤرخ بتاريخ سابق على سنة ٢٨٥ ق.م، وكان ستراتون ليكون آخر المساهمين. لكن بعيدا عن أى مجهود معاصر لملء الهوة من جانب أندرونيكوس لتكوين الأعمال المفقودة فى ٧٠ ق.م. من غير المحتمل أن بعض المشائين الآخرين فى أزمة ٢٦٢ ق.م. قد هربوا إلى سكبسيس فمن أثينا، وأضافوا المزيد لمكتبتها. بشكل موجز، التفسير التقليدى يشرح النصوص بصفة صحيحة إلى حد كبير، وذلك إذا وضعناه فى سياقه الصحيح.

٢-القوائم القديمة لأعمال أرسطو التى كانت بالإسكندرية

فى كتابه "حياة الفلاسفة"، الذى يعود تاريخه لسنة ٢٠٠ ميلادية، يعطينا ديوجينيس لارتيوس ما يراه قائمة كاملة بأعمال أرسطو التى كانت فى مكتبة الإسكندرية - مليئة بحيث إن عدداً من الأعمال ذكره مرتين، وفى بعض الحالات كان بالمكتبة برديتان من النسخ. رأىُ الدارسين معقود على أن هذه القائمة تم إعدادها سنة ٢٠٠ ميلادية على يد عالم يدعى هيرميبوس. فى ذلك الحين، كان من الطبيعى تبعا للتقسيم التقليدى - كما ذكرنا أعلاه - أن تُعزى الأعمال إلى أنها موروثة من العصور الوسطى وتم إخفاؤها فى قبو أو كهف فى سكبسيس. لكن يوجد القليل من العناوين التى وفرتها قائمة هيرميبوس فى ديوجينس لارتيوس والتى تتوافق مع تلك المعروفة لنا من أعمال للفيلسوف. فى قائمة محتويات كتاب بيكر يوجد ٣٢ عملا أصيلا مذكوراً، وسبعة أعمال مشكوك فى أصلها، وعشرة أعمال زعم أن الأصل والتزييف مختلط بها. على النقيض، يذكر لنا ديوجينس ١٥٠ عنوانا، بينما القصاصة المينجانية المستندة إلى هيسيشيس تعطينا عدد القائمة نفسه، مع إضافات تجعلها تصل إلى ١٩٤ عملا. بالإضافة إلى أن لدينا بعض الأعمال اليونانية المحرفة، محفوظة من القرن الثالث عشر باللغة العربية، وهى توفر لنا قائمة مصنوعة من القرن الثانى الميلادى من جانب يونانى بالإسكندرية يدعى "بطلميوس الفيلسوف". وزعم أن هناك ١٠٠٠ كتاب، لكن هذا البطلميوس يذكر أنها مائة عمل، مكونة من ٥٥٠ كتاباً على ورق البردى، و٩٢ منها مدرج فى قائمتنا. هذه الأعمال تتضمن كلا من تلك المدرجة فى أول قائمتين لنا،

وبعضها لا تذكره هذه القوائم، لكن مذكورة فى قائمة أعمال أرسطو الحالية التى نشرها بيكر.

بقاء هذه القوائم يقترح أن هناك ازدياداً واسعا فى الأعمال، مع نقص فيما سبق، مرتبط بأعمال أرسطو المجمعة فى الإسكندرية بين سنتى ٢٠٠ ق.م و٢٠٠ ميلادية. كذلك، فهى تشير بقوة إلى أن هذه الأعمال-على سبيل المثال، بطلميوس رقم ١٠ De lineis insecabilibus رقم ١٧، De motu (animalium) رقم ٢٠، الروح ، رقم ٤١، De partibus animalium - جاءت من مجموعة ثيوفراستوس المدرسية. لكن قائمة هيسيشيس، التى تدعى أن أندرونيكوس الرودسى قد حرر وراجع مواداً مكتوبة من سكبسيس فى روما لتيرانيو، تذكر معظم الأعمال المأخوذة من سكبسيس وكذلك البنود المدرجة من جانب هيرميبوس. هذا قد يشير إلى أن النسخ الخاصة بهذه المجموعة كانت قد أرسلت من روما إلى الإسكندرية بين سنتى ٧٠ و ٤٥ ق.م، وأن القائمة بها كل من الأعمال التى حصل عليها البطالمة من نسخ أخرى، وكذلك المواد المعاد اكتشافها من سكبسيس. كل هذه الأوراق الدالة تقودنا إلى التساؤل حول أصل المجموعة المدرجة من جانب هيرميبوس فى الإسكندرية، التى يعتقد ديوجينيس أن عناوينها كانت على الأرفف حوالى سنة ٢٠٠ ق.م.

هنا على المرء أن يلاحظ توضيح جون ريست: "الهوة الزمنية بين تركيب النصوص وظهورها فى الإسكندرية مازالت كبيرة لدرجة لا يمكن معها عبورها بنجاح. توجد إشارات قليلة يُعتمد عليها يمكن أن نتوصل إليها من القوائم الموجودة بالإسكندرية عن الكتب والمذكرات التى تركها أرسطو خلفه عندما مات، ودعك من الوقت الذى كان يكتب فيه بالفعل". بالرغم من هذا التحذير، أعتقد أن بلوتارخ يعطينا أساساً لمحاولة التفسير، فى الفقرة من "حياة الإسكندر"، التى رأى تريفور ساندرز أنها تخبرنا بالعديد من الدلائل المهمة. قيل لنا إن الإسكندر كتب من آسيا يعترض على نشر من جانب معلمه، أرسطو، لكتاب "أكروماتيك"، بعيدا عن الدروس العامة فى الأخلاق والسياسة. ردا على ذلك ، شرح أرسطو أن الكتاب قد نشر ولم ينشر، لأنه لا يوجد من يستطيع تتبع النص، خاصة "ما وراء الطبيعة". الآن هذا العذر يمكن أن يكون أكثر إقناعا إذا ما كان النشر الجديد له عناوين مميزة جديدة. لذا من الواضح أنه بالرغم من أن بعض الأعمال كانت بالإسكندرية ويبدو أنها قد عوملت كقضايا خاصة بالميتافيزيقا، فلا يوجد كتاب بعنوان "ميتافيزيقا" (ما وراء الطبيعة). لكن اعتراض الإسكندر لعله كان يعنى أنه يشعر بنوع من حق النشر الملكى بخصوص

المادة العلمية بميزا؛ لأن والده دفع نقودا لأرسطو ليقوم بتعليمه، وأنه من حقه أن يصر على الحصول على النسخ الوحيدة من كل الأعمال. بالتأكيد الأعمال الخاصة مثل "الإسكندر فى غزواته" و "عن الملكية" كانت أعمالاً كتبت فى ميزا، وكانت خاصة بتعليم الأمير.

مع افتراض أن الأعمال الحالية كانت قد أرسلت من سكبسيس لتفادى طمع البطالمة، وأن الغرض من فعل ذلك كان الهروب من عملاء أتاليدس، فيبدو أن قائمة هيرميبوس تمثل هذه الأعمال التى طالب بها البطالمة وبحثوا عنها. فمن أين أتت؟ الافتراض الأقرب للصحة هى أنها من قلعة ميزا، حيث كان يعلم أرسطو الإسكندر. إذا كان هناك أى أساس لخطاب الإسكندر لأرسطو فى أثينا بسبب نشره لمبادئه، فعلى المرء أن يفترض أن أرسطو قد ترك لتلاميذه نسخا من كل أعماله التى نوقشت. فى هذه الحالة، من المحتمل أن النساخ الملكيين قد قاموا بنسخ كل الكتب التى أحضرها المعلم من أسوس بالقرب من أتارنيوس، وأية كتب أو حوارات مستخدمة فى التدريس فى ميزا قبل أن يغادر أرسطو فى طريقه إلى أثينا.

من هذا المنظور نصل إلى استنتاج أن لدينا قائمة من الرسائل والمدونات والحوارات التى أخذها أرسطو من بيلا لأثينا، عندما عاد ليفتح مدرسة سنة ٣٣٥ ق.م. ظلت النسخة الملكية فى ميزا بمكتبة الملك، لكن بعد تأسيس الإسكندرية فى ٣٣٢، من المحتمل أنه قد تم إرسالها إلى هناك فى حياة الملك، وبذلك صارت جزءاً من أساس المجموعة البطلمية. ثم فى القرن الثانى قبل الميلاد استخدمها هيرميبوس وقام بتصنيفها مع أعمال المشائين، منذ وصولها إلى المكتبة.

إذا كانت أعمال أرسطو من صميم الأوراق البحثية العلمية، من حوارات ومحاضرات جلبها الأخير للمدرسة، فما يلى هو أنه خلال الاثنى عشر عاما التالية تم تعديل بعض النصوص لتتلاءم مع الموارد المتوفرة لديه. هناك تم إيفاء حاجته للتنافس مع أكاديمية أفلاطون فى الموضوعات الميتافيزيقية والمنطقية، وكذلك مهمة التدريس لكبار الرجال فى نظام ديمقراطى، بدلا من أمير وطلبة ملكيين. قد تطلب هذا منه إعادة تشكيل برامجه التعليمية فى السياسة والأخلاق والخطابة. مرة أخرى، النظرية الشعرية صارت أكثر أهمية من الدراسات الشعرية المستخدمة فى التعاليم الموسيقية الأولية فى ميزا- قبل أن يستعد الفصل للنسخة الأرسطية من العرض "السفسطائى"، المتعلق بالتدريب العملى والبلاغة. كذلك المصادر التى أعطيت له من جانب الإسكندر

قد سمحت لأرسطو بالتوسع فى دراسته للحيوانات التى كان قد بدأها فى أسوس وميتلين. كتابا الأخلاق والسياسة يمكن أن يمثلا نسخا تعرضت للمراجعة والتوسع، ويربط العملان بأعمال ميتافيزيقية علمية أحدث، والتوافق مع الرأى المعتدل الأكثر ديمقراطية فى أثينا بعد موت كاليسينيس سنة ٣٢٧، عندما أثرت مؤامرة الأمراء على علاقة أرسطو بالإسكندر.

إذا ما قبلنا رأى سترابو، فما يلى هو أن أكثر الأعمال مثلت إعادة ترتيب وتحرير من جانب ثيوفراستوس وستراتون لنصوص مكونة من أعمال قصيرة سابقة لأرسطو والمدرسة، أجزاء كبيرة منها عاشت إلى أن وصلت إلى مكتبة الإسكندرية فى أشكالها الأولى والقصيرة. بذلك، بالرغم من وجود أعمال قليلة لدينا، فمجموعة أعمال المدرسة الأصلية والنسخة البطلمية كان لهما محتوى متماثل إلى حد كبير فى ظل وجود نسخ مختلفة. ما أعاده أبيليكون إلينا هو نظام المشائين الخاص بثيوفراستوس وستراتون وليس ipsissima verba أفضل. ثم فى زمن بطلميوس فى القرن الثانى، نجد الكتب من سكبسيس قد تمايزت عن الأعمال القادمة من ميزا بالسجلات العربية.

القائمة القديمة لهيميبوس تخبرنا بالكثير عن نمو النظام الخاص بالمشائين، وكذلك تعطينا سببا لرؤية "الأعمال غير العلمية" على أنها قد خرجت من تعاليم ميزا الإسكندر والأمراء-أعمال متسقة أكثر مع كتاب ميكافيللى "الأمير"، وليس لها الصبغة الدستورية فى كتاباته عن السياسة، والأخلاق والخطابة. افتراض أن أصل كل هذه الأشياء بدأ فى ميزا يخدم فى توفير تبرير أكثر لرؤية كيس فون أرنيم عن أولوية كتاب Eudemian ethics، والمؤرخ لها بين حوار بروتروبتيكوس، وnicomachean ethics، ويدعى فون أرنيم أن كتاب الأخلاق الكبير هو أول عمل أخلاقى لأرسطو. رأيى أنه قد جلب من أسوس وأعيد تطويره على شكل خمسة كتب، وعرف بـ Eudemian تمييز له عن الـ Nocomachean، بينما كان الفيلسوف فى مقدونيا. بصفة مشابهة، يدافع كيس عن تاريخ كتاب الخطابة السكندرية ويرجعه إلى ما قبل وصاية الإسكندر على العرش ؛ لأنه يتحدث عن البحث والتقصى، وهو جزء ليس من بين تعاليم الخطابة حتى الفترة الهلينية. لكن إذا كان قد كتب لتعليم الملك والوزراء، لذا يصير إدخال إجراءات توفير السرية عليه عنصراً مهما حتى فى ذلك الزمن. النقاش فى هذا الصدد بالنسبة إلى القائمة يظل تابعا للظروف، لكن من الممكن أن يكون اقترابا مفيدا أن نتحدث أكثر عما تركه أرسطو من أعمال.

٣-بنيان الأعمال غير العلمية

العلاقة التبادلية بين الأعمال الأرسطية المختلفة صارت فى نطاق اهتمام القارئ بالإنجليزية للأعمال الأخيرة لريتشارد سورابجي، وجون ريست. دعونى أبدأ بتذكر أن الأعمال العلمية ؛ أعنى بها: الدراسات الخاصة بالميتافيزيقا والفيزياء، والظواهر الطبيعية والطبية، واللغات والمنطق. الأعمال غير العلمية نقصد بها-بالرغم من أنها ليست غير عقلانية أو غير ملتزمة بالبحث العلمي - تلك الأعمال الخاصة بالأخلاق، والسياسة، والشعر. كانت هذه بالطبع هى العناصر الأساسية فى المنهج التدريسى الأثينى المستخدم فى التدريس للشباب فى ميزا.

بالرغم من أن جايجر محق على الأرجح فى رؤيته لتعليم أرسطو للشعر والخطابة والأخلاق والسياسة كان بداية رؤية صفات مميزة فى أسوس بداية من ٣٤٧ ق.م. هذه التيمة من النظرية والتعليم تطورت على الأرجح خلال إقامته فى مقدونيا بين سنتى ٣٤٣ و ٣٣٦ ق.م. خاصة إذا ما كان يدرس لفصل من الأمراء وعلى رأسهم أمير فى موقع ولى عهد. من المثير للأهمية أيضا أن استهلال تعليم الإسكندر ذى ثلاثة العشر ربيعا، بدأ بإعداد أرسطو لنسخة خاصة من نص هوميروس، حيث كان يتمنى فيليب أن يحصل ابنه على الحضارة الأثينية الكاملة. بذلك نجد أن الموسيقى والجمنازيا كان فيهما مهارات لغوية، يلى ذلك منهج تعليمى فى "الإقناع والأخلاق العملية" مثلما وجدنا اعتراف السفسطائى فى حوار أفلاطون بالاسم نفسه .

التعليم فى ميزا من غير المحتمل أنه كان مقتصرا على تلميذ واحد. الأمراء المعاصرون للإسكندر الذين فيما بعد-كما فى حالة هيفاستيون أو بطلميوس - شاركوا فى إدارة الفتوحات والغزوات، على الأرجح قد شاركوه فى التعليم. وهكذا، تم إطلاعهم على الرؤى نفسها عن هوميروس والشعر، المهارات نفسها الخاصة بالإقناع، والمنهجين الأخلاقى والحكومى نفسيهما مثل مليكهم المستقبلى تماما. والدروس المنهجية هى على الأرجح التى كونت كتب الشعر، والخطابة، والأخلاق، والسياسة. وكما لاحظ أيه. أيه. لونج A.A. Long أن الأخلاق فى نسخته الأبيليكونية المدرسية، كل هذه الأعمال مليئة بالمأثورات الشعرية السعيدة والمرتبطة بسياقها فى الكتاب. وهذه تقنية فى التعليم تتلخص فى إبهار رجال صغار بمقولات تجعلهم مؤسسين جيدا فى الشعر فيما بعد.

فيما يتعلق بالخطابة، يرى توماس كيس أنها تعود للخطابة السكندرية قبل سنة ٣٤٠ ق.م. لكن المقدمة أقرب لعصر تال على ذلك، ويمكن أن يكون النص قد تعرض لتحريف على يد المشائين. وجود كتاب exetasis كشكل خطابى يبدو أيضا منتميا إلى القرن الثالث. لكن من الممكن أن أرسطو قد دونه فى منهج ميزا التعليمى، حيث يناسب حاكمًا لمجتمع عنيف يستخدم فى بعض الأحيان أسلوب "غرفة النجوم" التقليدية.

فى قائمة ديوجينيس، كتاب الأخلاق الواقع فى خمسة أجزاء، قد يكون مسودة أولية لكتاب Eudemian Ethics ١و٣ و٧، مشتق على الأرجح -كما يقول جايجر- من أسوس. كذلك تصنيف ديوجينيس لكتاب "عن العدالة" فى أربعة أجزاء يمكن أن يمثل جزءًا من منهج ميزا الأخلاقى والسياسى. بعد عودته إلى أثينا، كانت النصيحة للملوك لاتزال، وكان هناك ثلاثة كتب استبعدت منها لتمثل الأجزاء ٥ و٧ من كتاب Nicomache-an Ethics، التى تمثل أيضا الأجزاء ٤ و٦ من كتاب Eudemian Ethics. السبب فى هذا قد يكون، كما وضح فون أرنيم أن النص الأصلى لكتاب الأخلاق الكبير كان من فترة زمنية بعد حوالى ٣٣٦ ق.م. بالطبع من الممكن أنه إذا كان "الأخلاق الكبير" يعود إلى تاريخ ٤٤٣ ق.م فمن الممكن أنه قد تم تصنيفه ليظهر أن أرسطو قد منح آراء سليمة لابن فيليب. عندما يدرس المرء ثلاثة الكتب المشتقة من كتاب "عن العدالة" المفقود نجد أنها مرتبطة أكثر بنصح الملوك. بذلك، فإن الكتاب يناقش العدالة نفسها، والوظيفة الملكية سواء أكانت القوة أم العدل هما المطلوبان.

عندما ننظر إلى كتاب السياسة، يبدو من المعقول أن نبحث عن آثار لتعليم الفيلسوف فى ميزا. من النظرة الأولى لا نجد أثرا لكتاب "الإسكندر فى فتوحاته". لكن عندما يتم وصف دستور مدينة فاضلة فى الكتاب السابع، تجد صفات غريبة، لاحظ ساندرز أنها غير كاملة وينقصها الترابط مع النقد للحالات المذكورة فى الكتاب الثانى (طبعة بنجوين، ص ٣٤)، وجدت ذكرها لوضع المدينة مع عدد سكان محدود، وفى موقع قابل للدفاع عنه بسهولة دليل على أنه وصف لمستعمرة يونانية فى آسيا، بينما القواعد الفاصلة لتكامل المواطنين تقترح إقامة المستوطنين من مختلف أجزاء اليونان. يقودنى هذا إلى الاعتقاد بأن معظم الكتاب كان مأخوذا من كتاب "عن المستعمرات". مرة أخرى، الدراسة غير المكتملة للتعليم فى المدينة الفاضلة فى الكتاب الثامن تؤكد أن لدينا ملخصا غير كامل من قائمة ديوجينيس من تصنيف هيرميبوس.

هذا يقود المرء للتساؤل عما إذا كان الكتاب الثالث بالرعاية الملكية له كان فى الواقع إعادة عمل على دراسة ميزا "عن الملكية". الكتابان الرابع والسادس يشرحان البنيان اليونانى للدولة المدينة وأفكار المواطنة والتغيرات الدستورية، والطرق الخاصة بحفظ الدساتير الجيدة، كلها تمت على الأرجح فى المدرسة. لكن نقطة البداية الخاصة بها يمكن أن تكون مسودة نصح للملك المقدونى عن التحكم فى الولايات اليونانية المتحالفة معه. على الجانب الآخر، الكتابان الأول والثانى على الأرجح من أعمال المدرسة. التعامل مع الموضوعات الاقتصادية والصلات بين البيت والدولة تذكرنا بحقيقة أن ديكارخوس كان يكتب كتابه "حياة اليونان" فى المدرسة والكتاب الأول يعكس تأثيره. الكتاب الثانى الخاص بالدول المثالية لبعض المفكرين كان له تأثير كبير عندما كان كتاب أفلاطون "الجمهورية" مثار إعجاب فى الأكاديمية التى كان أرسطو يتحدى نفوذها. بدأ الأمر على الأرجح بعد تنفيذ الإسكندر لتعاليم أرسطو الرياضية، وأحدثت صدعا مع الملك عن طريق التركيز على استساغته للمعتدلين الأثينيين المحافظين الذين رأوا أن المدرسة الجديدة كيان مقدونى أجنبى.

أعتقد أن الكتب الأربعة التى ناقشناها - الشعر، والخطابة، والسياسة، والأخلاق - هى جميعها نصوص مرت عبر طور ميزا فى تطورها. كذلك أقترح أن الباقى من كتابى الخطابة السكندرية والأخلاق الكبير متداخل بالباقى من هذه الحقبة-إذا كان الأخير قد بدأ مبكرا، فى مسودة أولى فى أسوس مكونة فى سنة ٣٤٣ ق.م، لعلها لتزكى أرسطو لفيليب الثانى ليشغل منصب معلم الإسكندر.

استنتاج

أثر أرسطو فى تطور المكتبة البطلمية بالإسكندرية حتى فى أثناء مماته. فتلميذه القدير ديمتريوس الفاليرى هو الذى نظم المكتبة الجديدة للبطلمى سوتر، ليصنع ترتيباً مماثلاً لترتيب أرسطو بالمدرسة من حيث تصنيف المجموعة الكبيرة بالمكتبة وتوفير مكان للدارسين.

ومثل المجموعة الأرسطية نفسها، هذا البحث يقترح أن الأوراق من ميزا ظهرت فى مكتبة الإسكندرية بعد الاستيلاء عليها من جانب بطلميوس، مثل هذا الإلحاق ما كان ليكون صعبا. لكن فى الوقت نفسه النسخ التى أخذت للمدرسة كانت قد أعيد

العمل بها لتصير مجموعة جديدة معدلة لتعليم أثينا الجمهورية. كان هذا للسماح لأرسطو الجديد بمحاولة إكمال مشروعاته كما يرى ريست في كتاب de Motu Animalium، ليوفر رؤية للنظام الفيزيائي للكون. وبعد فترة - بعد سنة ٧٠ ق.م-انضمت الأعمال المحسنة من المدرسة لمثيلاتها في المكتبة الكبرى، بعدها تم إدراجها من جانب بطلميوس الفيلسوف في القرن الثاني الميلادي. هل كان هو عالم الفلك والرياضي العظيم الذي كأنه بطلميوس؟

هذا التساؤل يوحي أيضا بأن الأعمال غير العلمية التي نملكها الآن مشتقة من أعمال ألفت في البداية في ميزا لتدريب الإسكندر الصغير على الملكية. عندما ذهب أرسطو إلى أثينا، مع مجموعة من أوراقه، وجد أنه من الضروري تعديل طريقة تعليمه للخطابة والسياسة والأخلاق ؛ لتتناسب مع أسلوب الحياة الديمقراطية، من ثم ظهرت الأعمال التي قرأناها. لكن من المحتمل أن الإسكندر قد أصر على الاحتفاظ بنسخ من أوراق ميزا، ووجدت هذه طريقها إلى مكتبة الإسكندرية، لعله في سنة ٣٠٠ ق.م. وبذلك ظهرت في القوائم القديمة. بعدها ظهرت المجموعة الجديدة - التي كانت مخبأة في سكبسيس - وانضمت لكتب أخرى في المتحف بين سنتي ٧٠ و ٤٠ ق.م. ولسوء الحظ اختفت أعمال ميزا تقريبا، لكنها تختلف عن الأعمال التي وصلتنا في العنوان والشرح والترتيب أكثر من كونها مختلفة في المبادئ والأصول. إذا ما كانت قد نجت، كانت لتساعدنا على تتبع تطور أرسطو ورحلته في البحث عن المبادئ. بدون التصنيفات القديمة قد لا نعرف أنها قد توافرت بالمرة إجمالاً . الخبرة السكندرية تحذرنا من المخاطر التي قد نتعرض لها في مجال المكتبات - خاصة إذا ما استبدلنا بالمكتبات الإنترنت.

تذييل

النقاش حول الأخلاق يفيد بأن القصة القديمة حول تسمية أرسطو لكتاب "الأخلاق الكبير" لتعليم والده نيكوماكوس الطبيب الملكي، وكتاب Eudemian لتعليم صديقه إيوداموس القبرصي، وكتاب Nicomachean Ethics ليرشد ابنه نيكوماكوس، تحتاج إلى إعادة النظر؛ حيث مات والد أرسطو في صباه، وحيث مات أرسطو عندما كان ابنه في الثالثة عشرة، هذه التفسيرات تبدو زائفة، لكنها قد تخفي بعض الحقيقة. إذا كان "الأخلاق الكبير" هو الأقدم، كما يعتقد فون أرنيم، وإذا أعدناه إلى سنة ٣٤٢ ق.م.

وقـتـهـا يـمكن أن يكون قـد أرسـل للملك فـيليب، مـع خطاب يوضـح أنه يقـدم للأخـلاق الحـمـيدة التى علمـهـا والد أرسطو الميت، نيـكومـاكـوس الطبيب الملكى، لأمينـتـاس. إذا كانت الإشاعة الخاصة بِشَـرَه أرسطو، وشربه ولواطه ليست فضيحة كاملة، فمن الممكن أنه قد احتاج لإفقاد الإشاعات مصداقيتـها إذا كان يبـحث عن تعليم الإسكندر. بصـفة مماثلة، يمكن للمرء أن يرى أن كتاب Eudemian سمى بهذا الاسم تشريفاً لصديقه الميت إيوداموس القبرصى، وكتـاب Nicomachean تشـريفًا لثيوفراستوس وصيه، ابن سيده الصغير الذى سقط قتيلا فى الحرب.

الجزء الثانى

الدراسة الأكاديمية بالأسلوب السكندرى

الفصل الخامس

أطباء المكتبة: القصة الغريبة لأبولونيوس الشغوف بالكتب، و قصص أخرى

جون فالانس

مقدمة

تعتبر مكتبة الإسكندرية القديمة كيانًا أسطوريا بقدر ما هى كيان له تاريخه ووجود أدلة دامغة على وجوده. الأسطورة بالطبع مقنعة، و العلوم الهيلينية الأولى من رياضيات، و فلك، و هندسة، و علم الأرصاد الجوية، و طب، جميعها تبرز – و إن بصورة غير واضحة فى بعض الأحيان– الأثر القوى للبطالمة السكندريين الأوائل، و المؤسسات التى أقاموها لتنمية البحث العلمي. نحن نفترض أن المكتبة الكبرى، منذ العهود الغابرة، لابد من أنها قد احتوت على الأعمال اليونانية المهمة من فلسفة وطب، و أن الدارسين المحليين والزائرين لابد من أنهم قد استطاعوا أن يطلعوا على هذه العلوم. يدعم الدليل القوى وجهة النظر هذه، حيث يبدو أن بعض الدارسين قد استمتعوا بحق البقاء أفراد مميزين، ومعفيين من الضرائب، فى الحى الملكى من الإسكندرية، وأن كلا من المكتبة والمتحف لم يكونا مرتبطين بمدرسة فلسفية معينة. النظرة التقليدية هى أن أصول الدراسة الليبرالية النقدية بدأت من هنا، ويبدو أنها نظرة صحيحة. حيث قد تمكنت مجموعات من علماء القرن الرابع قبل الميلاد وبعده من الأكل معا فى المكتبة، وصحبة أحدهم للآخر فرضتها حقيقة انتسابهم جميعا إلى دراسة واحدة، مع إشراف الكهنة على اجتماعاتهم. كل هذا نتج عنه، كما تخبرنا القصة، أنه من غير المثير للعجب أن تقود المؤسسات العلمية السكندرية نخبة من العلماء الأمبريقيين، حيث تمكن العديد من الأفراد – للمرة الأولى – من تحرير أنفسهم من قيود الفلاسفة.

لكن هذه القصة بحاجة إلى بعض الصقل. موضوعى الذى أتناوله هنا هو الطب. حيث أدرس حالتين متعلقتين بالعمل فى النظرية والممارسة الطبية التى كانت تتم فى المكتبة والمتحف فى الأعوام المائة الأولى من وجودهما. قد يكون من الصحيح أن المكتبة تدين بأصولها الفكرية لأساليب البحث العلمى الأرسطية، لكن تحول المنظور الأرسطى إلى منظور فكرى سكندرى بالتدريج، وهو المنظور الذى سوف يؤثر على المكتبة والمتحف لينقل الاثنين بعيدا عن الدراسة العملية اليوتوبية للطبيعة التى كانت هى سمة المنظور الأرسطى للعلم.

١-الإسكندرية : الكتب والعادات الأبوقراطية

لا يجب أن تعوقنا بعض النقاط التمهيدية طويلا. معظم الشهود القدامى يوافقون على أن البطالمة الأوائل (خاصة بطلميوس الثانى فيلاديلفوس ٣٠٨-٢٤٦ ق.م) كانوا رعاة غيورين للفنون والعلوم والدراسات الجغرافية التاريخية، ودراسة السير البيوجرافية تشير الى أن العديد من المفكرين ذهبوا الى الإسكندرية، و فى بعض الحالات استقروا بها. بالنسبة إلى الطب، كما لاحظ هيرودوت فى القرن الخامس، اكتظت مصر بالأطباء. وبعد زيارته بقرنين من الزمان، زاد عدد الأطباء اليونانيين الزائرين للمدينة، وقائمة الأطباء الشهيرين الذين زاروا المدينة أو عاشوا بها فى القرنين الثانى والثالث قبل الميلاد كبيرة للغاية حتى إن الطب فى الفترة الممتدة بين أرسطو و جالين يسمى فيها الطب بالطب السكندرى. والكتابات فى القرن الثانى الميلادى نجد فيها جالين البرجامونى يشير كثيرا إلى الفرص الطبية للتعليم والممارسة التى يستمتع بها الأطباء السكندريون فى أثناء القرون السابقة على زمنه. فقد تمتعت الإسكندرية القديمة بالمركز الذى كانت تتمتع به مدينتا كوس وكنيدوس بالنسبة إلى الأطباء.

ربْط الأطباء ومنظرو الطب بالمكتبة والمتحف عملية صعبة. فى البداية توجد مشكلة وجود دليل مادى؛ فلا يوجد عمل طبى متماسك من القرن الثالث وحتى القرن الثانى، خلال هذه الفترة نعتمد على بقايا وأجزاء مأخوذة من أعمال الكتاب اللاحقين. توجد مشكلة ثانية متعلقة بعدم التناسق بين ما نعرفه عن أهداف المتحف وبنائه، وشخصية التعليم الطبى فى الإسكندرية، التى اتبعت النموذج اليونانى للتدرب على المهنة وكانت بشكل عام تنتظم حول أفراد فى ممارسة خاصة.

إذا ما كنا محقين فى أن الفكرة من وراء إقامة مثل هذا المركز التعليمى كانت لها أصولها من مدرسة المشائين، من سترابو على سبيل المثال، فهذا يعنى أن أرسطو نفسه كان قد قدم نصيحة أثرت على إقامة هذا الصرح وإدارته الأولى، وتوجد مصادر أخرى تؤكد أن رجل العسكرية المشائى ديمتريوس الفاليرونى (نسبة إلى فاليرون) كان متورطا فى الأمر– ومن المعقول أن نقترح أن البحث الذى كان يدعمه البلاط الملكى كان يسير فى خطوط متوازية مع التى قدمتها المدرسة الأرسطية. على سبيل المثال قضى كل من أرسطو وسيوفراستس الجزء الأخير من حياتهما فى جمع البيانات الحيوانية والنباتية، وعملا على الوصول لأسس علم التصنيف وعلم الأمراض التى قد تؤطر تقديم هذا الكم الهائل من البيانات الأمبريقية (العملية). مقيدين بالحاجة للعمل من أجل كسب المال، تمكن عدد قليل من الأطباء من العمل على مثل هذه البرامج. فى الواقع، من الصعب أن نجد حالة معينة فى البحث الطبى يدعمها البلاط الملكى – دعك من المكتبة أو المتحف – أو أن نشير إلى الأطباء الذين ازدهر عملهم تحت الإشراف المباشر للبطالمة الأوائل.

فى الطب، الحالة الأوضح المعروفة للمناصرة هى الوحيدة، تتعلق بعالمى التشريح هيروفيلوس وإيراسيستراتوس. جاء هيروفيلوس (٣٣٠–٢٦٠ ق.م) من كالسيدون، وقضى كثيرا من حياته يعمل فى الإسكندرية، إيراسيستراتوس الكيوسى (٣١٥–٢٤٠ ق.م) عمل هناك أيضا. هما مرتبطان، طبقا للعالم الموسوعى الرومانى أيه. كورنيلياس سيليسيوز بحقيقة أنهما عملا على الأبحاث التشريحية التفصيلية الخاصة بجسم الإنسان عن طريق تشريح المجرمين الذين يأتون من سجون الملوك وهم أحياء ، ومن المفترض – بالرغم من أن سيليسيوز لم يقلها بشكل صريح – أن هذه التجارب تمت فى الإسكندرية. تداعيات تقرير سيليسيوز– وهى نتيجة تبناها الكثير من الدارسين المعاصرين – هى أن بعض أبحاثه على الأقل تم إجراؤها تحت إشراف البلاط الملكى.

الملوك محل النظر لابد من أنهم بلطميوس الثانى (فيلاديلفوس) ٣٠٨–٢٤٦ ق.م وبطلميوس الثالث (يورجيتيس) ٢٨٤–٢٢١ ق.م. هذه التحقيقات، التى وجدها المعلقون القدامى قاسية لدرجة بشعة، قادت إلى الكشف عن تركيبات وقدرات جديدة للجسم البشرى بحيث إن اللغة اليونانية القديمة لم تجد المفردات الكافية للكشوفات الجديدة. يعود إلى هيروفيلوس اكتشاف الجهاز العصبى، والتفرقة بين أنوا ع الأعصاب المختلفة. إيراسيستراتوس وصف الجهاز الوعائى الدموى. ومن المثير أن هذه الفترة شهدت ثورة فى حجم المفردات اللغوية العلمية اليونانية، بعضها وجد طريقه إلى

منتجات المكتبة للدارسين السكندريين مثل كاليماخوس وأبولونيوس الرودسى (نسبة إلى رودس).

لكن يجب أن نقول إن أيا من هذا لا يثبت أن أيا من هؤلاء - أى طبيب آخر كان مقيما فى الإسكندرية اليونانية - قد تمتعوا بمركز رسمى فى المتحف أو المكتبة. نحن هنا نتعامل مع دلائل ظرفية، مع توازنات واحتمالات. وإذا ما كانت الأدلة المجمعة من القرن الثالث ضعيفة، فالشواهد التالية عليها لم تكن ذات فائدة كبيرة هى الأخرى. فيما يتعلق بتركيب المكتبة يوجد دليل من القرن الرابع الميلادى من الأسقف المسيحى القادم من سلاميس، المسمى إبيفانيوس. كتابه (عن الأوزان والقياسات) يحتوى على كلمة قصيرة عن المكتبة وكيفية بنائها، وأنواع الكتب التى كانت بها. أشار الأسقف إلى كتابات الأطباء ومنظرى الطب فى قائمة الكتب عن التاريخ القديم للمكتبة. يمكننا أن نملأ بعض الفجوات فى تقرير إبيفانيوس، حيث نجت نصوص من كتالوج المكتبة، وما نعرفه عن أشخاص آخرين مثل أبولونيوس الرودسى (القرن الثالث قبل الميلاد)، إيراتوسينيس السيرينى (٢٨٥-١٩٤ ق.م)، وأرسطوفانيس البيزنطى (٢٥٧-١٨٠ ق.م)، وجميعهم عملوا فى الإسكندرية وموظفى مكتبة، مما أعطانا بعض الأفكار عن شكل البحث العلمى الذى كان يتم هناك. واتضح أن البحث العلمى كان خاصا بالنصوص والتاريخ بصورة خاصة. بالرغم من أن التركيز فى البحث العلمى فى القرن الثالث كان على هومير، فإن النصوص الأدبية كانت بعيدة عن أن تكون هى الاهتمام الأوحد للمكتبيين. الطبيب جالين أبلغ عن عادات الموظفين فى ميناء الإسكندرية الذين كانت لديهم أوامر بمصادرة أية كتب قادمة للمدينة على أيدى الرحالة والمسافرين، حيث كانت الأصول تودع فى المكتبة، ويكتب بجوارها فى الكتالوج: (من سفينة)، ومالكوها، إذا ما كانوا محظوظين، تعاد إليهم نسخ من هذه الكتب.

حتى إذا ما أثبتنا أن النصوص الطبية كانت فى المكتبة منذ القدم، فهذا لا يعنى أن الأطباء أنفسهم كانوا هناك. وحتى لو كان الأطباء موجودين تحت رعاية البلاط الملكى، فأى نوع من البشر كانوا؟ هل كانوا ممارسين؟ منظرين؟ باحثين؟ أى نوع من الأطباء كان لديه الحق فى الدخول للمكتبة؟ هل كانوا مثلهم مثل الدارسين الآخرين، طيور مبالغ فى إطعامها وتقديرها محبوسة فى قفص العجائب، كما قال الشاعر تيمون الفليوسى. قبل أن نحاول الإجابة عن هذه التساؤلات، لابد من أن نلقى نظرة على أنواع العادات الطبية والفكر والحضارة التى جلبها الأطباء اليونانيون معهم إلى مصر.

قبل أن يصل الطب اليونانى للإسكندرية بكثير، كان قد نما فى عدة اتجاهات؛ من طب الصحة العامة، الذى كان فى كل المدن والقرى، من بائعى أعشاب وجذور وتعاويذ وأحجبة. أضافت طائفة أبوللو المزيد من الاهتمام بالطب، خاصة إسكليبيوس. ويبدو أن نخبة المعابد كانت مثيرة للسخرية بالنسبة إلى الشاعر أرسطوفانيس الذى وصف خبرة مريض متشائم فى آخر مسرحياته، بلوتوس. لكن يوجد نوع من الطب القديم متعلق كثيرا بالكتابة، وقد كتب الأطباء المتعلمون كثيرا عن قراءاتهم وكتبهم. وبالتأكيد فهذا النوع من الطب هو الذى وصل إلينا من بين العادات والوسائل العلاجية اليونانية، وكانت إرهاصاته الأولى فى كتابات أبوقراط.

منذ منتصف القرن الخامس قبل الميلاد وحتى نهايته كان الأطباء المتعلمون يسألون أنفسهم عما يفعلونه من علاج ويخبرون به الآخرين. وأيا كان السبب لذلك، فيبدو أن الموقف توجد به منافسة، ولذلك درجة ما من المبالغة فى تقديم المعلومات. بدأ الأطباء الأبوقراطيون فى تحسين مستوياتهم، ووضعوا خطا بين ممارستهم والخدمات التى يقدمها منافسوهم من المعالجين، من طب شعبى على سبيل المثال، الذى كان ممارسوه لا يعرفون القراءة والكتابة. ويوجد خط أقل صرامة بينهم الفلاسفة الطبيعيين الذين كانت تنبؤاتهم عن الطبيعة الفسيولوجية للجسد والأمراض تجذب اهتمام الدهماء وتأييدهم. هؤلاء الأطباء كانوا قادرين على القراءة والكتابة، لكنهم حقنوا الطب بوسائل الفلاسفة، ولا يثير دهشتنا درجة الخلاف والجدل التى كانت قائمة بين الفلاسفة، وكيف سرت كذلك على الأطباء الأبوقراطيين. ولقد كانت العلاقة بين أهداف الطب العامة وقدرة فن الطب على إشباع هذه الأهداف محسوسة بالفعل، وفى الكثير من الأحيان كان الخطاب الفلسفى المنمق هو العلاج الذى يخفف من حدة التوتر بين هذين الأمرين.

لم تكن الطبيعة البلاغية للكثير من الأبحاث فى المدرسة الأبوقراطية ملحوظةً فى العادة. كان من المتفق عليه – ليس من جانب الأطباء فقط–أن التقنيات الخاصة بالإقناع لا تقل فى أهميتها عن التقنيات الخاصة بالتشخيص والعلاج. السوفسطائى جورجياس الليونتينى (نسبة الى ليونتينى) قدم اعترافًا فى سياق عمله الخاص بتبرير رحلة هيلين من العار الذى لحق بها من جراء ذهابها إلى طروادة مع باريس، حيث أبرز أهمية الفصاحة فى الخطاب فى المواقف التى لا يوجد طريق مباشر للتحقق من صحتها.

قد نرى أيضا أن الإقناع يضاف إلى المنطق، يمكن أن يعطى أى انطباع يشاؤه على الروح. فنأخذ أولا – على سبيل المثال – الأدلة الخاصة بعلماء الأرصاد، الذين يأخذون رأى المرء ويستبدلون به آخر، بحيث يظهرون ما لا يمكن رؤيته، والذى يبدو أمام بصيرة المرء واضحا. وثانيا، فلننظر للمعارك القانونية، حيث يمكن إقناع الجموع بخطبة بسبب مهارة التركيب فيها وليس الحقيقة التى تبلغها الخطبة. وأخيرا، فلننظر إلى الجدل الفلسفى، حيث قد تغير خطبة عقلية الرأى بالكامل.

عرف الأطباء الأبوقراطيون هذه الحقيقة هم والآخرون، والكثير منهم سخر من الفلاسفة الطبيعيين – كما فعل أرسطوفانيس فى مسرحية السحاب – ؛ بسبب عجزهم عن حل المشكلات التى تواجههم. الأطباء بالطبع كانوا فى موقف أضعف، معتمدين على قدرتهم على بيع أنفسهم وخدماتهم. مؤلفو الأبحاث (عن الطب القديم) و(عن طبيعة الإنسان) و(عن الجسد البشرى) قبلوا جميعا أهمية تعلم التقنيات الخاصة بالإقناع من حيث إقناع مرضاهم. نعرف أن أطباء القرن الخامس أعطوا – فى الكثير من الأحيان – العامة محاضرات عن الدفاع عن مبادئهم الشخصية. من الواضح أنهم شعروا بأن الكلمة المكتوبة تقدم القدرة على جذب جمهور أكبر، وترفع من قدر المرء وتوسع من نطاق سلطاته.

هذه العادات البلاغية فى الطب اليونانى استمرت حتى عصر جالين وما تلاه، ولازمها بعض الأحكام المسبقة الأكثر تعقيدا. فى القرن الرابع، حاول أرسطو أن يحول الأحكام المسبقة عميقة التركيب ضد البحث العلمى النقى إلى مجالات وعرة من الطبيعة. فى الكتاب الأول من (دى بارتيبوس أنيماليوم) لاحظ أن العديد من الطلاب مضربون عن دراسة العالم الفيزيائى، و عن دمائهم، من واقع حقيقة أن هذه تعتبر أهدافا كريهة، بل محقرة من الدراسة. وما يبدو أنه كان حكمًا مسبقا ضد دراسة علم التشريح عن طريق تشريح الأجساد، يبدو أن هذا يثبت وجهة نظر أرسطو، بالرغم من أن بعض المراقبين المعاصرين يشعرون بأن مثل هذا النشاط كان قد تم منعه من جانب تابو متعلق بالمعاملة المناسبة لأجساد الموتى. وليس حتى عندما نصل إلى الإسكندرية البطلمية، وهيروفيلوس، وإيراسيستراتوس، حتى نجد الجسد البشرى مفتوحا أمام العلم لتشريحه وفحصه.

لكن الصفة الأكثر غرابة فى هذه الحالة هى أن تشريح البشر الأحياء لم يكن يمارس أبدا فيما تلا ذلك من عصور قديمة. استمر البحث العلمى من هذا النوع لفترة قصيرة من الوقت، وفقد الأطباء من الأجيال التالية لهيروفيلوس الشجاعة الكافية

للاستمرار في هذا النوع من الأعمال. وحتى الأشكال الأقل عنفا من التحليل التشريحى صارت نادرة قبل عصر جالين (معظم تشريح جالين كان على القرود، وليس على البشر). إذا ما كان البطالمة قد قدموا دعما في البداية، فلماذا لم يهتم أحفادهم كثيرا باستمرار هذه الأبحاث؟

هذا بصورة عامة هو الإطار الذى وجد الطب النظرى نفسه فيه في الإسكندرية. مع منتصف القرن الثالث قبل الميلاد كان للعديد من الأطباء اهتمامات عريضة بالقراءة، وليس مجرد قراءة الأدب الطبى. لقد وجدنا بالفعل دليلاً دامغًا على أن الأدب الطبى كان موجوداً ضمن مقتنيات المكتبة. دراستا الحالة التاليتان يمكن أن يلقيا المزيد من الضوء على مشكلتنا وكيفية تفاعل الاثنتين. الأولى تتعلق بهيروفيلوس وتلاميذه. بعيدا عن عمله في التشريح، يعود إلى هيروفيلوس الفضل فى توفير تعليقات معجمية على نصوص أبوقراطية. الحالة الثانية تركز على نهوض نوع طبى سكندرى يعرف بالأمبريقى. كلتا الحالتين تقدمان إشارة إلى الدور المحتمل للمكتبة والحضارة التى نشأت معها، من حيث تطوير اتجاهات جديدة فى الطب الهلينى واليونانى-الرومانى.

٢-الهيروفيليون ونهوض الترتيب المعجمى الأبوقراطى

تأسيس المتحف والمكتبات فى الإسكندرية أعطى الفلاسفة الطبيين والدارسين الفرصة للتدقيق فى فحص أجساد المجرمين الأحياء. وفى القرنين الرابع والثالث جلبت تنمية الدراسة الأثرية – الأدبية والعلمية على حد سواء – رغبة فى البحث عن السلطة فى أفكار الماضى. فى الطب، هذا التغير فى الأسلوب كانت له تداعيات مهمة، وفى القرن الثالث صارت السلطة الخاصة بالكتابات الأبوقراطية سلطة سياسية كما هى علمية فى الأوساط الطبية، حيث أدخل الأطباء ادعاءات جديدة على العادات الأبوقراطية. وفى هذا السياق، بدأوا فى إعادة اختراع الأبوقراطيين بصورتهم الخاصة. كان ازدياد شهرة أبوقراط وأهميته – أيا كان – يعنى أن الأعمال التى تحمل اسمه تطلبت تفسيرات وتعليقات.

من وقت هيروفيلوس وبعدها، بدأ الأطباء – خاصة أطباء الإسكندرية – فى الجدال حول معنى المصطلحات الصعبة وترجمة الفقرات الصعبة من النصوص الأبوقراطية.

فى بعض الأحيان تتعلق الصعوبات أكثر بمشكلة عمل نص طبى مقبول بوصفه أدبًا أكثر من تقديم الطب نفسه. فلنأخذ على سبيل المثال الجدال الذى كان يدور حول معنى الكلمات المستخدمة فى شعر هومير بمعنى ما، التى أخذها أبوقراط على أن لها مغزى مختلفًا. إن هيروفيلوس، طبقا لشهادة الشهود اللاحقين، كان واحداً من أول الذين اهتموا بالشرح الكامل لوضع ترتيب معجمى لنصوص أبوقراط. كانت اهتماماته الرئيسية تبدو على الأقل طبية وليست أدبية، وكان له اهتمام خاص بحل الخلاف بين تجاربه الخاصة، وما قرأه. بعض عمله عن أبوقراط على الأقل كان جدليا، لكن التالين على هيروفيلوس - أشخاص مثل كاليماخوس الطبيب، وباكيوس التنجارى، وزينو الهيروفيلى، وأبولونيوس الشغوف بالكتب - كانوا أقل انزعاجا بالحاجة للنقد، وعندما يستدعى الأمر تصحيح تراث أبوقراط العلمى، مع إعادة تقييم الذى تلقوه من العادات الطبية على ضوء تحليلاتهم العملية الخاصة، على النقيض، بدا أنهم قد صاروا مهتمين بصورة متنامية بالتأكيد على الحالة الأدبية للنصوص الطبية الأولى، وأهميتهم فى دراسة اللغة اليونانية. يبدو أن الأطباء كانوا مهتمين أكثر بالجمهور بعيدا عن العمليات الجراحية.

الرغبة فى إضافة نصوص أدبية إلى النصوص الأبوقراطية تعكس ازدياد سلطة النصوص بصفة عامة، فى مشاورة مع المكتبة على ما يبدو، وبصفة خاصة الاهتمام الجديد بدراسة فقه اللغة. وكما رغبت الأجيال السابقة من الأطباء فى تحسين حالتهم عن طريق أفراد معروفين عن طريق اقترابهم من الحياة الفكرية والدولة -المدينة، يبدو أن الأطباء السكندريين بدأوا فى مصاحبة المكتبيين الدارسين فى المركز البطلمى للتعلم. أبلغ جالين عن أن باكيوس، على ما يبدو مؤلف المعجم الأبوقراطى الأول - المؤلف المعجمى المتخصص الأول فى تاريخ العلم الغربى- كان مزودا بمساعدة فى قاموسه من جانب أرسطوفانيس، عالم القواعد اللغوية من بيزنطة الذى تلا إيراتوسينيس السيرينى رئيسًا للمكتبة فى نهاية القرن الثالث قبل الميلاد. مما نعرفه عن محتويات أعمال باكيوس - فهى ضائعة - توصلنا إلى شرح لمعانى الكلمات، وهى ليست كلمات غير معتادة على الدوام، عن طريق الإشارة إلى فقرات من الشعر اليونانى القديم. هومير هو المصدر المفضل للأدب الذى يوازى - وبالتالى يفسر - كل المصطلحات والمفاهيم الطبية. بالطبع أفضل علماء المعاجم الأبوقراطية، هو إيروتيان الذى كان يعيش فى القرن الميلادى الأول، ومصدرنا الرئيسى لأعمال باكيوس، هو ما يصف الغرض من

المعاجم الأبوقراطية فى سياقات تبدو لنا غريبة، كما أنها موجودة لتفسير دراسة الأدب بصفة عامة، وفى تقدير اللغة اليونانية وإعطائها حقها.

توجد حالة أخرى يمكنها أن تلقى الضوء على طبيعة الاهتمام الطبى بالنقد النصى. المشكلة الغريبة الخاصة بما يسمى (charakteres)، أو الرموز التى تبدو بصورة أو بأخرى فى الأبجدية السكندرية الخاصة بالمكتبة فى الكتاب الثالث لأبوقراط المسمى (الأوبئة)، وهو يفسر لنا المدى الذى كان الأطباء يحلقون فيه بعيدا عن اهتماماتهم التقليدية. الـ (charakteres) كانت رموزاً ذات حروف غريبة ومجموعات حرفية مصنوعة لتكون وسيلة لتذكر الكلمات أو العبارات فى حالة أعمال أبوقراط الأصلية الأولى. يظل (الأوبئة) عملا مثيراً لاهتمام الأطباء من مشارب نظرية مختلفة عبر العصور القديمة، ومما لاشك فيه أن جزءاً من السبب كان حريتهم الواضحة عن المعرفة النظرية. الكتاب الثالث لـ(الأوبئة) يحتوى على سلسلة من الملحوظات المتعلقة بالحالات المختلفة، التى تنحو إلى أن تكون متماثلة فى شكلها. فيما يلى مثال مأخوذ من بداية الكتاب الثالث من (الأوبئة):

فى ساسوس، تم وضع رجل من باروس عند معبد لأرتميس وكان مصاباً بحمى شديدة، وكانت مستمرة، مثل صبار مصاب بالعطش. فى البداية كان فاقداً للوعى (سباتى)، ثم استيقظ، وفى البداية كانت أحشاؤه مضطربة وبوله خفيفاً.

اليوم السادس: خرج منه بول زيتى، مع إصابة بالهذيان.

اليوم السابع: كل الأعراض واضحة أكثر، لم ينم بالمرة، لم يتغير البول، اضطراب عقلى. كان برازه دهنيا ويبدو كأنه مصاب بالصفراء.

اليوم الثامن: قىء بكميات قليلة لمواد صدئة ملونة. نوم لفترات قصيرة.

اليوم التاسع: لا تغيير.

اليوم العاشر: كل الأعراض قلت فى حدتها.

اليوم الحادى عشر: عرق فى الجسد كله، وارتجاف، لكن سرعان ما عاد لطبيعته العادية.

اليوم الرابع عشر: حمى شديدة، براز صفراوى خفيف وغزير، البول يحتوى على مواد متدلية. مصاب بالهذيان.

اليوم السابع عشر: مصاب بالقلق، لم ينم المريض وزادت حدة الحمى لديه.

اليوم العشرون: عرق غزير فى الجسد كله، لا توجد حمى، البراز صفراوى، شهيته قليلة، فاقد للوعى (سباتى).

اليوم الرابع والعشرون: انتكاسة.

اليوم الرابع والثلاثون: لا توجد حمى، الأمعاء ليست منقبضة. ارتفعت الحرارة مرة أخرى.

اليوم الأربعون: لا توجد حمى، الأمعاء اضطربت لفترة قصيرة، لا يوجد شهية للطعام، حمى طفيفة عادت بصورة غير منتظمة، وفى أوقات لم يكن مصابا بالحمى. أى تحسن فى الحالة تلته انتكاسة. لم يتناول سوى القليل من الطعام. نام بصورة سيئة وأصيب بالهذيان فى أوقات الانتكاسات. فى أوقات أخرى خرج منه بول أكثر سمكا، لكنه كان مضطربا وسيئا. فى بعض الأحيان أصيب بتلبك فى الأمعاء، وفى بعض الأحيان تعود لحالتها الطبيعية. استمرت الحمى الطفيفة طوال الوقت، وكان البراز خفيفا وغزيراً.

مات بعد ١٢٠ يوماً.

مثل هذه الحالة وفرت قدراً كبيراً من الخبرات، لكن من الصعب التعلم من هذا النوع من المادة المقروءة. الطبيعة الغامضة للرموز وفرت وسيلة مقنعة لتقليل كميات المادة على مر مساحة ضيقة. بصفة عامة، تدخل فى الأمر اختصارات مباشرة – الحروف الأولى من الكلمات ذات المغزى – مثل K تعبيرا عن كلمة أزمة اليونانية، والحرف I تعبيرا عن كلمة عرق اليونانية، والحرف سيتا اليونانى تعبيرا عن كلمة موت اليونانية، وهكذا. عن طريق التركيز على هذه الحروف والأرقام الخاصة بالاختصارات كان يمكن نقل جوهر القضية التاريخية بصورة مختصرة.

واحد من أتباع هيروفيلوس، وهو زينو، اعتقد أن الحروف كانت من عمل أبوقراط نفسه. اختلف معه آخرون وقام بين الفريقين جدل عنيف. جالين – الذى تلا قصة عن تعليقه الخاص على الكتاب الثالث من (الأوبئة) – قال إن زينو ادعى أصالة العلامات التى كانت موضوع الجدل العنيف على مدى مائة عام. التورط فى هذا الجدل الغريب(الذى نهض مرة أخرى فى القرن الثانى قبل الميلاد من جانب طبيب إمبريقى يدعى زيكسيوس) متعلق بصفة خاصة بعدد من الأشخاص غير المعروفين، منهم

أبولونيوس بيبلاس، وهو طبيب أبولونى آخر، و فيما بعد ذلك الطبيب التارينتومى المسمى هيراكليديس. أبولونيوس"الشغوف بالكتب" أصر على أن العلامات لم تكن من عمل أبوقراط بالمرة، لكنها مدخلة بوصفها علامات إرشادية من طبيب مجهول يدعى منيمون السيدى (من سايد). فى هذا السياق، يبدو اسم منيمون غير واقعى بالمرة. لكن جالين أبلغ عن وجهة نظر زيكسيوس القائلة بأن منيمون استعار نسخة من مكتبة الإسكندرية العظمى ليقرأها. لكنه قبل أن يعيدها قام بما فعلته أجيال من الطلاب غير الخريجين. قام بإضافة حروف على الهوامش، لكن بحبر مماثل للحبر المستخدم فى كتابة النص الأصلى. هؤلاء الذين عارضوا وجهة نظره قالوا إن منيمون وصل إلى الإسكندرية مع نص يحتوى بالفعل على الحروف الإضافية، وتم مصادرتها من جانب السلطات، وتم وضع نسخة جديدة من الكتاب معادة كتابتها فى المكتبة مع كلمة (من السفينة) مضافة إلى الأوراق الرسمية. يذهب جالين إلى القول بأن منيمون ادعى أنه الوحيد الذى يملك المفتاح إلى ترجمة العلامات (الحروف)، وأنه سوف يتقاضى مقابلاً ماديا نظير ترجمتها والكشف عن أسرارها.

الخلاف حول معنى المصطلحات الأبوقراطية، والجدل حول أصل الحروف المضافة فى الكتاب الثالث من (الأوبئة)، يعطينا ملمحًا عن المدى الذى وصل إليه الأطباء الهيلينيون كقراء ناقدين للنصوص. قد يعذر المرء لملاحظته علماء الترتيب المعجمى للنصوص الأبوقراطية على أنهم فلاسفة وليسوا أطباء. ومن الممكن أنهم قد فرحوا لهذا الاعتقاد. العمل الوحيد للطب الهلينى الذى وصل إلينا سليما، وهو (تعليق على العلم الأبوقراطى للمفاصل) الذى كتبه أبولونيوس السيتيومى، يحتوى على تعريف بالبطلمى الخاص بذلك العصر- على الأرجح أوليتيس (نهاية القرن الثانى وبداية القرن الأول قبل الميلاد) - مع شكره على السماح لهذا العمل بالنشر، الذى كان عملا أدبيا مثل كونه عملا طبيا. ونحن الآن نتساءل عما إذا كانت هذه هى حالة أخرى للطب الذى يسعى خلف السلطة على نطاق حضارى فكرى أوسع. هذا هو ما ظنه المؤرخ اليونانى من القرن الثانى قبل الميلاد المسمى بوليبيوس، سخر مما أسماه الجانب "المنطقى" من الطب الذى صاحب الإسكندرية فى تاريخها، وقال إنه قاد إلى موقف شديد الغرابة لايقبله العقل. ولم يثق المرضى غير المصابين بأمراض خطيرة فى الأطباء على فحصهم بسبب أنهم كانوا مجنونيين إلى استخدام خطاب بلاغى واتزان فكرى جذاب. جذاب أم لا، فإن الجدل من حيث شدته وقوته عن شخصية أبوقراط الحقيقية، وما ظنه الأخير، تشير إلى الدور

المتنامي الذى كان للنصوص السلطوية في البحث العلمي الطبي. ويبدو فى هذا الصدد أن دور المكتبة كان على الأرجح كبيرا.

٣-ازدهار التجريب فى الإسكندرية

الكثير من معرفتنا عن الطب فى الإسكندرية جاء من جالين، الذى كانت رؤيته لما حدث فى مصر معقدة. على جانب كان دائم التمجيد للعاملين بالبحث العلمى على التشريح، مثل هيروفيلوس، و إيراسيستراتوس، بينما كان منزعجا من أن إيراسيستراتوس سمح للنظرية بأن تشوه الدليل الذى رأته عيناه، وبذلك أصر على أن الشرايين تحمل الهواء وليس الدماء في الجسد. بالطبع هجوم جالين المستمر على هؤلاء الذين سمحوا للنظرية – فى العادة النظرية التى تختلف مع رؤيته النظرية الخاصة – بأن تتعدى على الدليل التجريبى فى التشريح، قاد هذا الهجوم إلى تعاطفه مع فرع من العلوم الطبية الذى كانت إرهاصاته الأولى موجودة فى الإسكندرية أثناء خمسين العام الأولى بعد إنشاء مكتبة الإسكندرية والمتحف. كان هذا الفرع من العلم يسمى التجريبى، وهذا هو أساس دراسة الحالة الثانية التى أتناولها.

رائد الطب التجريبى– وبالنسبة للبعض رائد التشريح نفسه – كان فيلينوس الكوسى (من كوس) الذى انشق عن هيروفيلوس فى بداية حياته المهنية، وكان نشطا فى الإسكندرية حوالى سنة ٢٤٠ ق.م. لا يوجد شيء من أعماله الأصلية متوافر لدينا الآن. يعرف فقط عن طريق إشارات وتلميحات كان يشار إليه فيها فى المراجع الطبية التالية على عصره، وقد قام بجمعها كارل ديشجرابر فى كتابه عن الطب اليونانى التجريبى: (التشريح التجريبى)، حيث أشارت عدة مصادر إلى اهتمامه بالترتيب المعجمى التجريبى فى العصور القديمة، ويبدو أن التفسيرات اللغوية الأبوقراطية كانت شديدة الأهمية لتنمية هذا الحقل العلمى الجديد. يوجد أشخاص آخرون، نعرف عنهم القليل، مثل سيوداس، وسيرابون السكندرى، وجلاكياس التارينتومى. ويؤكد سيلسوس أن التجريبيين تبنوا اقترابا شكيا للطب النظرى، مصرين على أن التجربة كانت المعلم الوحيد لمعرفة الصحيح والخطأ فى معاملة الأمراض والإصابات. ويهجر المفهوم المعروف للنظرية كما ترى عين المرء، يجادل التجريبيون فى أن النظرية الصحيحة (حتى بالمعنى الإيتيمولوجى للكلمة) هى مسألة ملاحظة. عن طريق التسلح بالملاحظة، أو أجزاء من

التجربة عن حالة معينة (تسمى متلازمة) يمكن للطبيب التجريبي أن يتوصل إلى الطريقة الصحيحة لعلاج المرض. التجربة تعلم كل شيء، كما قالوا، البعض قدم قصة هومير عن الكلب في الأذويسة، وكان الوحيد الذي تعرف على سيده الذي عاد بعد رحلة طويلة إلى إيساكا.

ومع شعوره بالمنافسة التي جاءت من أقرانه من روما، وجد جالين معركة التشريح مفيدة إذا ما استغلها، ثم كتب ثلاثة أعمال ضخمة عنها - عن التشريح للمبتدئين، وعن التجريب الطبي، ومدخل إلى التجريب - دليلاً إلى متاهة التشريح. في بداية كتاب مدخل إلى التجريب، مدح جالين استخدام التجريبيين (بشكل غير معلن في الغالب) لاسم طريقتهم العلمية لوصف أنفسهم، بدلا من أن يطلقوا اسم أفراد معينين على مدخلهم إلى العلم. بالتالي، من الصعب أن نرجع الفضل في الفلسفة التجريبية إلى أفراد معينين. لكن الدواء، كما يراه جالين، يعتمد على فكرة أن الدليل للعلاج يأتي من الملاحظة الدقيقة للظاهرة. بالنسبة لهم، كانت هناك ثلاثة أساليب من الممكن أن تحصل عليها عن طريق التجربة، وهذه الأساليب الثلاثة كانت لها أسماء معينة. بالرغم من أننا لا نعرف الا القليل عن التجريبيين السكندريين الأوائل، فتظل حقيقة أن أعمالا ذات أسماء مثل: عن الثلاثة، وعن الثلاثات، وهكذا، تنسب إليهم، مما يقترح علينا أن هذا النوع من التجريب الطبي كان موجوداً في التجريب منذ البداية.

القدم الأولى في ثلاثية التجريب كانت (تيريسيس)-كلمة يونانية ذات دلالات تدل على الاحتراس والتيقظ- بالنسبة إلى هذه الرؤية، كان ضمن تدريب الأطباء الرؤية اللانظرية البحتة من الملاحظات الخاصة بما يصيب صحة الإنسان، وملاحظة ما يمكن أن يساعد على العلاج. قصدت باللانظرية أن الطبيب التجريبي كان لا يضيع وقته في التساؤل عن سبب عمل دواء معين، لكن أن يلاحظ فقط أثر الدواء. بالنسبة إلى الرؤية المتطرفة للـ(تيريسيس) يبدو أن الطبيب التجريبي كان يعتقد أن ملاحظة دواء معين في موقف ما تعتبر ذات فائدة فقط إذا ما ظهر الأعراض نفسها المرضية مرة أخرى. كمثال: إذا ما كنت أسير في الجبال، وعضني ثعبان في قدمي اليسرى، واكتشفت أن وضع عشب قريب مني على الجرح يعالجني، هذا يعني فقط أن العشب محل النظر مفيد فقط في علاج هذه البقعة من القدم اليسرى إذا ما عضها هذا النوع من الثعابين فقط.

لكن التجريبيين سمحوا بدرجة من التقدير الاستقرائي للتجربة. القدم الأخرى للثلاثية هي نوع من القياس الاستدلالي، تسمى: (ميتابيسيس تو هومويو) وهي التي تصرح للطبيب بالقول بأن العلاج الذي يسري مثلا على جزء من الجسم قد يسري على

جزء آخر منه، مادام الجزء الثاني مماثلا في طبيعته وظروفه للجزء الأول. بمعنى آخر: علاج القدم اليسرى يمكن أن يستخدم مع التبرير التجريبي على القدم اليمنى، ولعله قد يسرى (فى الرؤية المتطرفة الأخرى) على الأيدى.

رأينا أن الأطباء السكندريين كانوا قد صاروا مشغولين للغاية بالنصوص السلفية. من الممكن أن نشير إلى أن الطب التجريبى أثار قضية ترفضها الدراسة الطبية الكتابية وقتها، لكن التجريبيين أخذوا مفهومهم عن التجربة وتقدموا به خطوة أخرى للأمام، إلى نطاق الكلمة المكتوبة. آخر ثلاثة أنواع من التجربة تم اشتقاقها فى حالات كان التشريح فيها غير ذى نفع أو غير متوافر أو ممكن، من البحث العلمي، الذى أطلقوا عليه: (هيستوريا). ومنذ البداية وما تلاها، كان من الواضح أن (هيستوريا) كان يتم البحث عنه فى الكتابات الأولى. حالما سمح الأطباء بالعودة إلى التعلم من الكتب، عاد الطب القديم ليتقدم إلى مرحلة جديدة. ومن هنا أخذت المعلومة المكتوبة فى الكتب وضعها المميز.

جادل فون ستادين فى أن هيروفيلوس - بداية من نقد النصوص الأبوقراطية السكندرية - شعر بالتناقض وفى بعض الأحيان بنقص الميراث الأبوقراطى. هذا التناقض من الأرجح أن أقرانه لم يشاركوه فيه، وبالتأكيد لم يشاركه فيه التجريبيون. بالنسبة إليهم، كان العلم الأبوقراطي وسلطاته أقل إشكالية - كل شىء مكتوب فى الكتب يمكن أن يلاحظ تجريبيا على أنه هيستوريا- يذكرنا جالين أنه كان فى الوقت نفسه الذى كان فيه الأطباء يستخدمون المصطلح. يوجد بالطبع تاريخ صحيح وتاريخ مزيف ؛ التاريخ الصحيح - كما يقول جالين - يوجد فى شخصية التجريبى النموذجي، وهو الإبلاغ عن الأشياء التى شوهدت بالفعل، أو الأشياء التى تم الإبلاغ عنها كما شوهدت.

فكرة أن التجربة يمكن أن تتضمن تجارب الأفراد الآخرين المسجلة يمكن أن تبدو غريبة بعض الشىء، حتى إذا ما استدعينا فى عقولنا طريقة المزج التى جاءت من التاريخ اليونانى الذى وصل إلينا، وهى الخاصة بهيرودوت. لكن فى هذا السياق، فإن تصنيف التجريبيين الثلاثى لمصادر التجربة مفهوم. بينما معظم الباحثين المعاصرين يرون التجريبية فى الطب على أنها ظاهرة بدأت فى القرن الثالث فى الإسكندرية، فالكثير من الشهود - بعضهم من التجريبيين أنفسهم - يرون أن أصل حقلهم العلمى له إرهاصات أقدم بكثير (حتى إن البعض يدعى أن إيمبيدوكليس هو الرائد الأول فى مجموعتهم). لا يوجد شك فى أن فكرة التجربة هى المعلم الأفضل كما أنها هى المعلم الأقدم. لكن السؤال هو: أى نوع من التجارب؟

الفلاسفة اليونانيون الأوائل كانوا على وعى بأنه حتى الإدراك الحسى يحتوى على الحقيقة الخاصة بالظاهرة الطبيعية، بدون توسيط العقل من المستحيل أن نعرف الحقيقة من الزيف. تبنى أرسطو شعاراً قديماً عندما قال إن دور عالم الطبيعة هو "إنقاذ الظواهر"؛ حتى يتم التوفيق بين الظواهر والنظريات التى تفسرها. وهو شعار يبدو حداثيا تماما فى العديد من أبعاده، وحتى ننظر إلى ما تركه أرسطو وهو يعنى أن علينا أن نفهم الظواهر، والمعنى الحرفى لها هو "الأشياء التى تظهر"، وتتضمن ليس فقط أجزاء من الدليل الذى نلاحظه مباشرة بأنفسنا، بل أيضا تخبرنا عن النتائج التى توصلت إليها التجارب الأخرى - لابد من القول بأن أرسطو قدم تمييزا بين ما يرى فى العادة على أنه صحيح - فى المصادر الأدبية، أو فى الخيال الشعبى- (أندوكسا)، وما يبدو لنا شخصيا وبشكل مباشر، لكن التدقيق فى الطبيعة الذى تبنته مجموعة من الأرسطيين اعتمد بصورة أساسية على المصادر الأدبية، وعلى السماع. أبحاث أرسطو نفسه فى البيولوجيا وعلم الحيوان - مثالاً - كانت تعتمد فى العادة على نتائج المعلومات المرسلة أو المعطاة إليه من آخرين - معلومات ضمنها هو تحت إطار الظاهرة.

بالرغم من أن جالين لا يربط بصورة مباشرة بين هذا البعد من العلم الأرسطى والممارسة التى عرفها الطب التجريبى، فإن الرابطة واضحة بما يكفى، خاصة عندما نتذكر الروابط التاريخية بين الإسكندرية والأرسطيين. لكن توجد نقطة مهمة تميز التجريبيين: إصرارهم على أن التجربة التشريحية يجب أن تمارس بدون اتجاه أو تأثير للنظرية. لا يمكن للمرء - كما يصرون - أن يتوصل إلى مسار للبحث التجريبى بدون أن ينظِّر للظاهرة محل النظر. التجربة لابد من أن تجمع بصورة عشوائية، فى مسار حياة الفرد، وهذه هى الوسيلة الوحيدة التى يمكن بها الحفاظ على النظرية سليمة.

بعيدا عن تشجيع البحث التجريبى وتثبيط التجريد النصى، توجد نتيجة واحدة لهذا الالتزام الشمولى بالتجربة التجريبية وهى أن الأطباء عادوا مرة أخرى إلى كتبهم خلال حماسهم لـ(هيستوريا) his Toria . شهد القرنان الثالث والثانى قبل الميلاد سلطة الكتابات الأبوقراطية (دعك من أهمية الأدب الطبى بصفة عامة) وهى تتنامى. القدر العالى الذى تمتعت به الدراسة اللغوية (الفيلولوجية) للنصوص السكندرية شجعت بلا شك هذا الأمر. فمعرفتنا الأولى بالدراسات المعجمية النقدية لأعمال يونانية مكتوبة مركزة على النصوص الطبية، بالتدريج التحق نقاد النص بالفلاسفة فى السيطرة على الطب . يلاحظ ڤون ستادين Von Staden الطريقة التى صارت بها الدراسة النصية مع نهاية القرن الثالث كجزء فاعل من البحث العلمى فى الطب. إذا ما صدقنا أسينوس، الذى

كتب فى مصر فى القرن الثانى الميلادى، فإن النقد النصى والتاريخ قد صارا رياضة الملوك. فلا يثير العجب إذن أن هؤلاء – مثل الأطباء – الذين اعتمد كسبهم للنقود على إرضاء الطبقات الثرية، قد تسارعوا فى التنافس من أجل إرضائهم.

الاستنتاج

فيما سبق رأينا بعض الأنشطة الخاصة بالطب النصى الذى ازدهر فى الوسط السكندرى فى أثناء القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد، ورأينا بعض الأساليب التى سعى بها الكتاب اليونان – الرومان للعثور على شخصيتهم وعاداتهم الأدبية، تحت مظلة الشخصية الغامضة: أبوقراط الكوسى. فى القرن العاشر الميلادى كان قنسطنطين بورفروجينتوس مازال قادرا على التنديد بالأطباء الذين يضيعون وقتهم فى المكتبات.

المثال الأكثر تميزا للطبيب المتعلم لعله كان جالين، الذى يخبرنا كيف كان يلجأ فى الكثير من الأحيان إلى المكتبات، أو إلى دكاكين الوراقين المتخصصة فى بيع الكتب الطبية، من أجل حل مشكلات عالجها السابقون عليه. أصيب بالذهول عندما ضاعت بعض أعماله فى حريق شب بمكتبة فى البلاط، وكان ينظر إلى نفسه كرابطة بين النصوص ومؤلفيها، وأثر فى أسلوب الوعى الذاتى الخاص بالعديد من المفكرين من جيل السفسطائيين الثانى. يمكن أن نرى اعتماد جالين على المصادر الأدبية التقليدية للطب فى تعليقاته، حيث نظر الى التعليقات على أنها أداة تدريسية مهمة، وقد أشار كثيرا إلى ما قاله السابقون عليه من العلماء.

لكن لابد من أن نُرجع الفضل إلى جالين فى إعادة اكتشاف أهمية البحث العلمى العملى. ويوجد قواعد استند إليها البحث العملى التجريبى: الأبحاث التشريحية فى الطب، ومكتبة الإسكندية، والسلطة التى سيطرت على النصوص الطبية الأولى، والجو العلمى العام للمكان كانت السبب فى تثبيط الهمم. لا يوجد حكم قيمى فى هذه الملحوظة. بالرغم من أن مصدرنا المباشر الوحيد لرعاية الأطباء فى الإسكندرية متعلق بتشريح الأحياء من جانب هيروفيلوس وإيراسيستراتوس، فإن الانطباع الأقوى الذى يصل إليه المرء هو أن الرعاية الملكية كانت تساند البحث النصى وليس التجريبى. يمكن للناقد الإيجابى المنحى أن يجادل فى أن وجود المكتبة يمكن أن يفسر السياق العلمى الذى تم خلاله شن حملة نشطة ومؤثرة على النظرية الطبية – وهى حملة صاحبت الكتابة

والممارسة الطبية حتى زمن جالين. ومع قدوم إسكليبياديس البيسينى فى نهاية القرن الثانى قبل الميلاد كان الكثير من الأطباء يقللون من أهمية البحث التشريحى، أو تطوير النظرية الفسيولوجية وتنميتها. بعد إسكليبياديس ناصر التجريبيون منحى آخر فى الدراسة الطبية، وهم المنهجيون، وهو اتجاه علمى كان بالغ القوة والتأثير فى روما وقت وجود جالين بها. التمس المنهجيون تفادى الجدل الظاهرى والكشفى المعقد الذى سقط فيه التجريبيون، عن طريق القول بأن كل الأمراض هى من نوع من الأنواع الثلاثة التى تكشف عنها أساليب التجريب الثلاثة لدى المريض - وهى حالة من السريان، ثم حالة ضيق، ثم حالة تمثل مزيجًا من الاثنتين. وقد أصروا على أن الطب لم يكن الفن المعقد الذى اعتقدت السلطات السابقة أنه كذلك. بل على النقيض، يمكن لأى فرد أن يعلم، ويعلم سريعا، ليتعرف على هذه الحالات المرضية، وأن يعالج المرض من منطلق المعرفة الجيدة به، ليعدل من الوضع إلى الوضع العكسى الصحى. لكن هذا يعتبر قصة أخرى. عندما تم تأسيس الطب المنهجى فى القرن الأول الميلادى تضاءلت قوة المعرفة الفلسفية والنصية فى التعلم التى تصاحب شخصية الطبيب، وصارت مكتبة الإسكندرية الكبرى فى عداد الأساطير.

الفصل السادس

مسرح بافوس ومسرح الإسكندرية:بعض الأفكار الأولية

جي. آر . جرين

مقدمة

بالنسبة إلى اليونانيين في الأراضي الأجنبية أو في الأراضي المكتسبة حديثا، كان المسرح دليلاً على الهلينية، وهو نشاط معقد لم تكن باقي الشعوب لتقدر على أدائه. المحللون المعاصرون يرون أهمية المسرح في العالم القديم في تكوينه الهندسي ووظيفته الأجتماعية، كموقع يتجمع فيه الناس بوصفهم مجتمعاً، متلاصقين، ليشاهدوا ويتفاعلوا مع المؤدين الذين يعملون كمجموعة. في الهواء الطلق، كانوا واعين بتفاعلات أحدهم مع الآخر، وبالاهتمامات المشتركة. الأهمية المعمارية للمسارح تعتبر انعكاساً لأهميتها للمجتمع، والذي يظهرها هو ضخامتها، والمجهود المبذول في تصميمها، وفي العناية المكرسة لتفاصيلها.

قام فريق من جامعة سيدني بالتنقيب ثلاث مرات في موقع مسرح قديم في (نيا بافوس) بقبرص. وبينما العمل هناك مازال بعيدا عن الكمال، فإن الكثير قد خرج إلينا ليثبت بعض التنبؤات حول الشكل البنائي وعلاقة معمار المسرح بالعالم الأوسع.

ظلت المسارح القديمة مكاناً غير مشهور للتنقيب – جزئيا– بسبب أنها تتطلب الكثير من العمل، وبسبب صعوبة تمويل التنقيب في الوقت الذي يتلقى فيه العمال بإيطاليا واليونان وقبرص رواتب مجزية إلى حد معقول (وهم في العادة يتلقون رواتب أعلى من نظرائهم الأستراليين)، وجزئيا بسبب أن تنقيب المسارح ينظر إليه في بعض الأحيان على أنه تقليد قديم. كانت المسارح بالتأكيد بؤرة الكثير من العمل مع نهاية القرن

التاسع عشر وبدايات القرن العشرين. لكن تقنيات التنقيب فى هذه الأيام لا تتفق مع ما نتوقعه اليوم، والجهود الأولى فشلت فى العثور على إجابات لأسئلة نسألها اليوم، خاصة تلك المتعلقة بتعيين التواريخ الخاصة بالنمو المعمارى، وتركيبها فى إطار التركيبات المعمارية التى استضافتها، وعلاقاتها بالمجتمعات التى كانت تبنى لخدمتها.

١-بافوس والإسكندرية

يقال إن مدينة بافوس كانت موجودة فى الجزء الثانى من القرن الرابع قبل الميلاد، وهو الوقت الذى أعطيت فيه المدينة اعترافًا رسميا، حيث إنه فى الفترة السابقة على المذكورة أعلاه كانت هناك اكتشافات أثرية من آنية فخارية، تتضمن الواردة من الأثينيين، من القرن الخامس قبل الميلاد على الأقل، ومن عدة مناطق، منها التنقيب الذى قمنا به. بالرغم من أن التفاصيل مازالت غير واضحة المعالم فإن هناك دليلاً تاريخيا موثوقا به هو أنه بعد تأسيس أحفاد الإسكندر أدخل البطالمة قبرص فى إمبراطوريتهم وجعلوا بافوس عاصمتها. كان موقع بافوس فى مكان محورى للشحن القادم من بحر إيجه، وكان لها ميناء طبيعى جيد تم تحسينه عن طريق إقامة جدار بحرى. كذلك كانت قادرة على توفير مساحة من الأراضى الخصبة كانت ضرورية لإقامة قاعدة زراعية. الروابط بين بافوس والإسكندرية يمكن التحقق منها عن طريق الآثار– كمثال، فى التجارة الخاصة بالنبيذ الرودسى الذى كان ذا شعبية واسعة فى كل من بافوس والإسكندرية. فى بافوس كانت قد صارت شديدة الأهمية حتى إنها أصبحت معلما منتظما من إجراءات الدفن التى يقوم بها أهالى بافوس. والأكثر أهمية، لأنها الأكثر مباشرة، هى الانطباعات الطينية التى وجدت فى مكان يعتقد أنه مقر الحاكم، وهى مصنوعة بما اتضح أنه أدوات بطلمية. والعملات البطلمية وجدت بالطبع بكثرة.

كان دفن الموتى من النخبة يتم أيضا على النسق السكندرى. ما كان يطلق عليه مقابر الملوك على الساحل الشمالى للمدينة تضمن مقابر أثرية معقدة التركيب مقطوعة فى الصخور، والأكثر إتقانا منها كانت تحتوى على آبار وغرف دفن على الأجناب. واحدة منها كانت تتضمن نسوراً بطلمية صخرية. بينما بعضها الآخر كان يحتوى على خزف مصرى مزخرف. وهى تعتبر متوازية مع المقابر التى وجدت فى مناطق الحضرة والشاطبى فى الإسكندرية نفسها، والآن، من عمليات تنقيب أحدث، تمت فى منطقة

مارينا العلمين، وهى منطقة سياحية بالقرب من موقع معروف تماما لجيل من الأستراليين، على ساحل يبعد ٩٦ كم عن الإسكندرية.

٢-مسرح بافوس

يقع مسرح بافوس فى الجزء الشمالى الشرقى من البلدة، متقابلا مع الميناء الذى يقع على بعد ٦٥٠ متراً منه - كما نستطيع الآن أن نحدد- مرتبًا بحيث يعطى الجمهور مشهداً عبر البلدة نحو الميناء. وهو مبنى جزئى على تل صغير معروف حاليا باسم (فابريكا)، لكن أهميته بالنسبة إلى مؤرخى المعمار المعاصرين تقع فى اختيار مصمميه أن لا يضعوا كل الأوديتوريوم فى التل، كما كانت العادة فى المسارح اليونانية، وكما كانت طبيعة الصخور لتسهل من عملية البناء، وهى صخور رملية سهلة التشكيل. بدلا من ذلك، وضعوا الجزء المركزى من مقاعد المشاهدين فى هذه المنطقة، ثم قاموا ببناء باقى الأوديتوريوم على جسر أرضى وضعوا عليه مقاعد صخرية.

يبدو الأوديتوريوم حاليا نصف دائرى فى تصميمه (فى الواقع هو يغطى ١٨١,٥ درجة) ولدينا رؤية جيدة لمدخل الأوركسترا الغربى (أو منطقة الأداء المركزية)، وعلى الجانب الشمالى لهذا الممر توجد بقايا حائط كان يدعم حافة مقاعد الجلوس، وعندما يعتقد أنه بالقرب من النهاية الغربية يوجد حصن قوى من كتل مربعة مصمم ليقاوم الدفعة الخارجية للجسر. ونحن ليس لدينا حتى الآن الركن الفعلى، حيث يمر تحت طريق عام معاصر. وقد كشفت الاختبارات التى أجريت على الجانب الشرقى من الموقع عن خط مماثل من حوائط داعمة للجسر، بالرغم من أن كثيرا منها قد تمت سرقته.

أصيب الأوديتوريوم أو الكويلون بالكثير من الدمار بسبب الباحثين عن صخور للبناء، لكن كثيرا منه مازال محفوظا ليوفر لنا دلائل كافية لنقوم بعملية إعادة البناء. البناء مقسم عن طريق سبعة تقسيمات نصف قطرية إلى ستة أجنحة، كل منها حائز تقريبا على ٣٠ درجة، مع درج متطابق مع الخط المحورى للمسرح. هذا الترتيب لا يعتبر غريبا لفيتروفيوس، أو للرومان، أكثر منه للأسلوب اليونانى فى بناء المسارح، لكن المرء لا يمكنه أن يدعى أن هذا النسق منتظم. على سبيل المثال فإن مسرح إبيداوروس كان له ترتيب مطابق لمسرحنا. لكن من الممكن أن يكون له أهمية كبرى فى الإجابة عن الأسئلة التى نحاول كشف النقاب عنها .

فى بافوس نجد الدرج الأقل انكشافا واقعا على الحد الشرقى للقسم المركزى من التل الصخرى. بقى القليل من هذا الدرج فى المنطقة التى نقبت بالفعل حتى الآن، يشكل زوايا متساوية مع النهاية التى تحجز الحوائط، وبزاوية قائمة مع بقايا بناء خشبة المسرح التي تقع على محوره. للغرب يوجد ثانى درج مكشوف نجده ممتداً من مستوى الأوركسترا إلى صف الجلوس الرابع والعشرين. من الممكن- بالرغم من أن الأمر لم يحسم تماما بعد- أن المناطق التى كانت مدعومة بجسر شرقى، كان الدرج مدعوماً من الأسفل عن طريق حوائط شعاعية كانت تعمل فى الوقت نفسه على حجز الحوائط للأرض.

مما كشف عنه التنقيب حتى الآن، يعلو مكان جلوس المسرح إلى ثلاثة وثلاثين صف مقاعد على الأقل. وهو مساو لارتفاع مستوى الأوركسترا فى نهاية المسرح، حوالى ١١,٧ متر. ارتفاع المقاعد غير معترض: لا يوجد دليل على وجود ممشى مركزى أو براسنستيو يقسم الأوديتوريوم إلى قسم علوى وآخر سفلى. غياب مثل هذا الممشى يعتبر غير معتاد إلى حد ما بالنسبة إلى مسرح بهذا الحجم والذى كان ليساعد على تقسيم عدد كبير من المشاهدين وقت الدخول والخروج؛ مما يعنى أنه فى الغالب كان هناك مدخل واحد كبير وآخر خاص بالخروج موجود بالخلف، على حافة تل الفابريكا، بالرغم من أننا لم نتوصل فى التنقيب حتى الآن إلى ما يدعم هذا الاعتقاد.

تعلو منطقة الجلوس بـ ٢٧ درجة عن الأفق. علو المقاعد الفردية يتروح بين ٣٥ و٣٦ سم، الأفق يمر من حافة إلى أخرى على ٧٠ سم تقريبا. عند قاعدة الحافة يوجد وجه متقابل مع ساند المقاعد بزاوية ٤٥ تقريبا ويتقابل مع انحناء الحافة الضخمة بتماس. وفى المناطق السفلى من الأوديتوريوم، تقع منطقة الأقدام على مستوى أقل من مثيلتها فى الصف الأول للجلوس، وعند القاعدة الخاصة بـ٣٣ مقعداً- نصف قطر ٣٣,٦ متراً على الأقل - تتضمن منطقة التل درجاً شعاعيا وممشى خلفيا حوالى ٢٠٠٠ متر. هذا الحجم كان ليسع حوالى ٧٥٠٠ مشاهد.

فى بعض الأماكن نجد بقعًا من الأسمنت المخلوط بقطع الحصى مدببة الشكل، توجد فى النصف الخلفى من المقاعد، أو عند نهاية المقاعد فى التقاطع مع الوجه الرأسى من المقاعد خلفها. الأجزاء الأمامية من المقاعد كانت هى الأولى والأسهل فى الإزالة عن طريق شق قناة رأسية فى منتصف الطريق عبر المقاعد، ثم قطعها أفقيا. واحد من الكشوف المهمة فى الحملة الأولى التى تمت سنة ١٩٩٥ كان الكشف عن وظيفة هذا الأسمنت الذى كان أساسًا للجص. بالطبع من هذه البقايا والكثير من

الكشوفات الأخرى يبدو من الصحة بمكان أن نفترض أن كل منطقة الجلوس ودرجات المسرح كانت مغطاة بجص ناعم مما أعطى المسرح مظهراً جذاباً أفضل من الشكل الذى كان ليعطيه الصخر. كانت مادة صلبة وواقية من الماء (على عكس الصخر الذى كان يقع تحتها، الذى كان مساميا ويتأثر بالماء). بالطبع هذا الجص لم يكن مقتصرا على منطقة الجلوس والدرج فقط، بل كان موجوداً أيضا على أوجه الحائط الداعم الكبير فى البارودى. وعلى حد علمنا، لا يوجد مسرح تم الكشف عنه حتى الآن يتميز بهذه المعاملة، حتى إذا ما كان هناك مشابهات معمارية - كمثال فى مقابر الملوك أو فى المعمار السكندرى- لابد من أنه كان ذا تأثير مثير للإزعاج وبراق فى الوقت نفسه. فى المناطق التى لم تكشف لا توجد كتابة على الحوائط أو (ديبنتى) على المناطق المحدودة من الجص المحفوظ.

لم نبدأ بعد فى التنقيب فى منطقة خشبة المسرح نفسها، لكن تركناها على المستوى الرومانى، وهو المستوى الذى تركه المستعمرون البيزنطيون ومستعمرو القرون الوسطى فى المنطقة. بالرغم من ذلك فقد وجدنا عناصر معمارية متناثرة من الفترة السابقة على الرومان، وهى توفر روابط مثيرة للاهتمام بالمعمار السكندرى. كمثال، يمكن أن ننظر إلى ثلاث قطع :

القطعة الأولى: بقايا من صخرة رملية عليها غلاف من الجص، وجدت فى المنطقة الواقعة أسفل الأرضية الأسمنتية الرومانية القديمة لمنطقة الأوركسترا من المسرح، ولذلك لابد من أنها تنتمى إلى المسرح الهلينى، بالرغم من أننا لا نستطيع أن نحدد فى أية مرحلة تقع. وهى من الجزء السفلى من عاصمة كورنثية، محفوظة فى ذنيبات من أوراق شجر الأكانساس. وارتفاعها المحفوظ هو ١٤ سم. لا توجد بقايا من طلاء، ولا أى حد كامل لأسفل أو لأعلى. أهميتها تقع فى تقنيتها السكندرية. مع معرفة حالتها الخاصة بالحفظ، من الصعب أن نقول المزيد عنها.

القطعة الثانية: بقايا من إفريز، مصنوعة من الحجر الرملى المحلى. هذه لها ارتفاع محفوظ ٢٤,٥ سم، وطولها ٤٤,٥ سم. وهى الأخرى بالية، بدون أى جص عليها، وكانت قد اكتشفت فى جنوب المسرح، لكن طرازها مميز. وعلى وجهها السفلى توجد واحدة من الأهلة مع قناة مستقيمة بطول مركزها.

القطعة الثالثة: بقايا إفريز آخر، مصنوعة هى الأخرى من الحجر الرملى. وبالرغم من أنها بالية فقد احتفظت ببعض من الجص الذى كان يغطى سطحها. للكتلة ارتفاع محفوظ ٢٥ سم، وطول محفوظ فى الواجهة ٣٦ سم. ولها قوس ضيق له قناة مستقيمة. ومن غير المهم أن الحد الأمامى للجانب السفلى مقطوع مع خط فى مقدمة القوس، وكانت قد اكتشفت بين حطام الجانب الغربى.

بالرغم من أن هذه القطع كانت متشابهة إلى حد ما مع البنايات ذات الطراز الأوجستي الرومي في روما – كمثال معبد ديفوس جوليوس الريجيا، ومعبد زحل- فإن مثيلاتها الأفضل موجودة في الإسكندرية، ومن الأهمية بمكان أن نلاحظ، كما فعل دونالد سترونج منذ عدة أعوام، أن هنا حيث وجد المعماريون الرومان القاعدة لتطوير هذا العنصر من الطراز الأوجستي. منذ سنة ١٩٦٣ كانت هناك دراسات أخرى، منها ما قام بها فون هيسبيرج وبينسابين، التي تتبعت الموضوع بتفصيل أكثر؛ لتميز الأسلوب السكندري ولتنشر المزيد من الأدلة عليه.

آثار الإفريز التي وجدناها لها أقواس أوسع قليلا، بالرغم من أنها ليست عريضة مثل بعض الأمثلة التالية، ولا يوجد بها الشكل ٧ للقناة الشعبية، خاصة في قبرص، في الفترة الهلينية الأخيرة وبداية الفترة الإمبريالية. المثيل الأفضل هو على الأرجح الأثر الباقي من الـ(شانتيير فيني) بالإسكندرية. أرفقها داسفسكي بالبناء الذي يحتوي على فسيفساء مع قنطور، الذي أرجع تاريخه للنصف الثاني من القرن الثالث قبل الميلاد. بينما وضعته جوديث ماكنزي في القرن الثاني. أما وجهة نظرنا، بالنسبة إلى الأثر على الأقل، فالفرق ليس ذا أهمية بالغة: فهو هليني تماما.

مع وجود كل هذه الروابط بين الإسكندرية والمعمار السكندري، من المعقول أن نفترض أن التصميم الكلي للمسرح في بافوس كان صدى لواحد مماثل له في الإسكندرية. الآخر بالطبع لم يبق حتى الآن، تبعا لطبيعة الموقع، ومن الأرجح أنه قد تم بناؤه جزئيا بجسور صناعية، مثل مسرح بافوس تماما. يوجد تخمين آخر هو : من الممكن أنه بسبب قرب الرابطة بين المدينتين والدليل على الاستعارة البافوسية من المعمار السكندري وعناصره (بالطبع يمكن أن يدعم المرء رأى أن المعمار كان سكندريا) يمكن أن نرى أن المسرح السكندري كان نصف دائري هو الآخر.

٣-الإسكندرية وروما

من هذا العمل في بافوس يمكن أن نبدأ بافتراض أن الإسكندرية كان لها تأثير كبير وواضح في تطور الأسلوب الروماني في المسارح. من صفات المسرح الروماني الطريقة التي تبنى بها صناعيا على أرض مسطحة، وفي شكلها الأكثر تطورا مع

قنطرة خرسانية. الخطة الأساسية هى نصف دائرية، ومبنى خشبة المسرح مرتبط بالمقاعد ويأتى على نفس ارتفاع قمة المقاعد. يمكن أن نأخذ المسرح الكائن فى أورانج كمثال نموذجى. من وجهة نظر الجمهور، كانت مسارح مثل هذه هى ما يخلق عالماً مغلقًا مركزًا على خشبة المسرح، وكانت مختلفة تماما عن تلك اليونانية التى كانت لها مشاهد ممتدة، والتى كانت تمثل عناصر خارجية.

النقلة من شكل حدوة الحصان – المسرح اليونانى المكشوف – إلى المسرح الرومانى تعتبر نقلة كبيرة، وتدعم بشكل عام حقيقة أن المسارح فى صقلية وكامبانيا كانت تمثل وسيطا. جزء من المشكلة هو أن المسارح فى روما قد ظهرت فجأة، بعد فترة طويلة من الأداء كانت خلالها المسارح الثابتة محرمة. مسرح بومبى القديم، يعود تاريخه إلى ٥٥ ق.م، والتالى عليه المسمى مسرح مارسيلوس يعود تاريخه إلى ١٢أو١٠ ق.م. من المعقول أن نفترض أن هناك بعض التأثير كان لكامبانيا بسبب العلاقات الوثيقة بين لاتيوم وكامبانيا فى أثناء الجزء الأخير من عصر الجمهورية. من الواضح أن كامبانيا كانت تعمل قناة للعديد من وسائل الاتصال مع منطقة بحر إيجه فى أثناء القرن الثانى وبداية القرن الأول قبل الميلاد. نحن نرى أشياء مستوردة ومصنوعة محليا لكنها معتمدة على اليونان، مما يشير إلى مدى الإلمام بالثقافة اليونانية. من بين هذه الأشياء توجد مجموعة من التيراكوتا والفازات المصبوبة على شكل ممثلين للكوميديا اليونانية. هذا يعنى أنها لم تقترض فقط الفكرة الرئيسية للأعمال الفنية، بل أيضا فهم معناها– بمعنى فهم الحضارة اليونانية. يوجد مثال آخر معروف وهو زوج الفسيفساء إيمبليماتا من فيلا سيسرو فى بومبى، والموقعة من ديوكوريديس. ويبدو أنها تعود إلى القرن الثانى قبل الميلاد، وكانت محفوظة كتحف حتى تدمير المبنى فى سنة ٧٩ ميلادية. وتشرح المشهد الرئيسى من مسرحيتين لميناندر: مسرحيتى (نساء على الإفطار) و (الفتاة الممسوسة)، وتم عمل نسخ منهما فى أثينا مع بداية القرن الثالث قبل الميلاد. وقد نسخها الأثرياء فى بومبى وهيركولانيوم من الطراز الأيوجينى وهذا أيضا دليل قوى على الرابطة بين المنطقتين، كما يتضح من الخزف الكامبانى فى مواقع مثل كورينث، وديلوس والإسكندرية.

وربما بسبب الرابطة الموجودة مسبقا مع اليونان – عبر الاتصال الاستعمارى والاستخدام الدائم للغة اليونانية – يبدو أن الكامبيين لم يكن لديهم تضارب مع القيم الحضارية اليونانية التى كان يوجد شعور بها فى روما نفسها، حتى إذا ما كان هناك دليل على أن الطبقات المتعلمة فى روما كانت منجذبة بشدة إلى عناصر الأدب

اليوناني والحضارة اليونانية، وبما قد يكون المؤشر الأقوى على التأثير الحضاري: الطعام. كان لشعب كامبانيا أيضا روابط باليونان الغربيين فى جنوب إيطاليا وصقلية.

فى مقال ظهر مؤخرا لـ"ل. بولاسو" أعطى رؤية وجيزة ومركزة عن المسارح الإيطالية فى كامبانو- سامنيت خلفيةً لشكل المسرح الروماني. بينما يركز على تعقد هذه المشكلة، يقول إنه يبحث عما يطلق عليه الدور المهم كنموذج للمسرح السيراكوسي. مثل معظم الدارسين، يعلق أهمية قليلة على مسارح آسيا الصغرى باعتبارها نماذج لتنمية المسرح الإيطالى (فيما عدا البرجاموم)، لكنه يقترح أن هناك تشابهًا ملحوظا مع المسرح المقدوني والأيبيرى، بوصفها منطقة كانت متأثرة لحد ما بالإسكندرية.

علق "آر. جى. ويلسون" هو الآخر على مسارح صقلية، ووفر نسخا جيداً من أمثلة هلينية. وقد ركز على أن صقلية رأت الأصل - أو على الأقل كان لها دور كبير فى التنمية - من أوركسترا نصف دائرية أخذها الرومان عنها فيما بعد. واحدة من المشكلات هى تقسيم التواريخ. يقبل ويلسون تواريخ معطاة من أنتى و بولاسو من الربع الثالث للقرن الثالث قبل الميلاد عن مسرح سيراكوس. الأمثلة الأقدم المعروفة من النوع المعروف فى الغرب يبدو أنها كانت من مسرح مونت إيتو المهم فى صقلية، وبالطبع ذلك الكائن فى ميتابونتو على ساحل باسيليكاتا، كل منهما كان تاريخه يرجع إلى ما قبل سنة ٣٠٠ ق.م. يقول ويلسون إن هناك تاريخاً آخر لمسرح مونت إيتو، وهو بعد بناء مسرح بافوس. ومسرح ميتابونتو له أهمية خاصة هو الآخر بسبب أنه مبنى على جسر أرضى على أرضية مسطحة. ولسوف نعود إلى مسألة تحديد المنطقة التى شيد عليها فيما بعد.

فى رأيى أن أفضل رؤية لهذه المشاكل كانت لموريتي. حيث أعطى ملخصًا جيداً لأهم المشكلات، مع التركيز على الصفة المميزة للعديد من المسارح الصقلية، مع أماكن المشاهدة بها نصف الدائرية أو الأقل قليلا فى الاستدارة، والدمج مع تصميم البارودى لتوفير مدخل للأوركسترا، ثم قرب خشبة المسرح من أماكن الجلوس، مع نقص فى التركيز على الأوركسترا أكثر منه فى المسارح اليونانية. وهو لم يضع أولويات معينة فى إطار المتتابعة الصقلية.

فى إطار هذه الصورة، تم إدخال بافوس فى سياق الأمثلة السابقة لطراز المسرح مع الشكل نصف الدائرى والمقاعد المبنية صناعيا. من الواضح أن هناك علاقات وروابط بالإسكندرية. لكن يوجد ما يدل على أن مسارح جنوب إيطاليا

وصقلية كانت تتجه فى الاتجاه المعمارى نفسه. ولقد قلت فيما سبق إن المهاجرين من هذه المنطقة كانوا عنصراً مهما فى الإسكندرية الجديدة فى وقت تأسيسها. ولدينا دليل أدبى على انتقال عناصر بشرية مثل الشاعر سيوقريتوس. كما أن لدينا دليلا أثريا على وجودهم. الروابط وجدت بين العملات السكندرية والسركوسية. ولدينا كميات من التارينتين وكذلك الخزف الميتابونتى تم توريدها. وإلا لماذا تم توريد هذه الأشياء إذا ما كانت هناك موارد جيدة لها فى مناطق أقرب إلا بسبب إشباع حاجة أو ذوق معين؟

الاستنتاج

ظهر الطراز السكندرى من مزيج من العناصر، منها الطراز المقدونى واليونانى الغربى بالإضافة إلى الأسلوب المصرى الشعبى. مع وجود معطيات مثل الثروة المتراكمة للبطالمة القدماء، وإنفاقهم على العمل العام والأنشطة المتعلقة به، يبدو أن هذا الطراز قد تطور سريعا. والمسارح فى الإسكندرية وبافوس كانت جزءاً من هذا الطابع.

لا يوجد أى سبب توصلنا إليه يدعو إلى القول بأن معمار المسرح فى روما قد تأثر بأسلوب صقلية وليس أية منطقة أخرى. على النقيض، فما يظهر هو العلاقات الطويلة مع مصر. كانت الإسكندرية مركزاً حضاريا مهما كانت روما تقارن نفسها به. والأكثر من ذلك أنه بغض النظر عن الروابط السياسية، كانت مصدراً ثان لطرز دهان الحوائط والكثير من الأنواع الفنية الأخرى مثل الفسيفساء النيلية، وكذلك الفنون الخاصة بالديكور. كان للإسكندرية ولع خاص بالمسرح، وقد حافظت فى أثناء الفترة الهلينية على قوة أكبر فى النفوذ المسرحى من مدن مثل أثينا. وتظل شخصية الإسكندرية المسرحية قضية مثار تساؤل وبحث دائم. ومن الواضح أنه كانت لها شخصيتها الخاصة؛ فقد طورت أنواعها الخاصة بعيدا عن تلك التى كانت فى المراكز الأخرى. وكذلك ابتكرت فئة من الأشياء التى امتزجت بتراث الممثلين المعاصرين لتلك الفترة مع عناصر من فترات سابقة، خاصة الجزء الذى كان يرفق بمقدمة الجسد، بذلك تم استغلال الذوق الغريب الجنسى الذى كان يميز باقى فنون الإسكندرية.

يبدو أن المسرحيات الهزلية كان لها دور بارز هى الأخرى. لكن كل هذا ينتظر نقاشا أوسع فى نطاقه، لكن يمكن على الأقل أن نكون واثقين بأن المسرح السكندرى كان حيا ونشطًا وأنه كان مسرحًا له مكانته . بمعنى آخر، يوجد سبب جيد يدعو إلى الاعتقاد بأن الإسكندرية كانت مصدراً للتأثير على تطور تصميم المسرح الرومانى.

نقطة أخيرة هى أننا يمكن أن ننظر إلى المسرح فى أفروديسيس فى جنوب آسيا الصغرى. بناء خشبة المسرح كان مبنيا فى سنة ٣٠ ق.م. على الأرجح من جانب زويلوس، وهو عبد معتوق من أوجستوس (أغسطس). وكان قد تم بنفقة عالية نسبيا، ويمكن للمرء أن يتوقع أنه كان يعكس تصميمات المسرح المعاصر وقتها التى كانت ترعاها الحكومة المركزية فى الدولة – المدينة الجديدة. أما الشىء المثير للاهتمام فى إعادة بناء خشبة المسرح والذى صار اتجاهاً، فهو عدد العناصر والملامح المصرية فيها. والإسكندرية كانت فى تلك الفترة أيضا قوة لا يستهان بها فى عالم معمار المسارح.

الفصل السابع

علماء الشرق الرومانى وطلبته

صامويل إن. سى. ليو

مقدمة

كان التدمير الوحشى لمكتبة الإسكندرية الكبرى له التأثير نفسه على الدراسة والأدب اليونانيين والكتابة العلمية اليونانية مثل التأثير الذى يمكن أن يقع بسبب تفجير نووى لسيدنى وكانبرا، الذى إذا ما وقع قد يدمر مكتبة سيدنى، ومكتبة ماكوير، والجامعة الأسترالية القومية، مع المكتبة الأسترالية القومية، ومكتبة نيوسوث ويلز. كانت الحرب الأهلية فى الإسكندرية التى أدت إلى تدمير مكتبتها علامة على نهاية التوسع السياسى التى مدت به روما أذرعها على ممالك البطالمة والسيلوسيديين. هذا التوحيد للعالم اليونانى، الذى يتمتع بصفات حضارية مشتركة اعتمادا على القرنين الخامس والرابع الأثنيين، كان يعنى أن الإسكندرية سوف تكون مجرد واحد من المراكز الكبرى للحضارة فى العالم القديم فى إطار إمبراطورية عالمية. وبالعودة إلى مماثلتها الأسترالية: التدمير الافتراضى للمكتبات الكبرى فى سيدنى وكانبرا سوف يكون له تأثير بشع فى دراسة التاريخ، والكلاسيكيات، والدراسات الشرقية التى تشتهر بها هذه المكتبات. بالرغم من أن هناك العديد من المكتبات الأخرى غير الخاصة فى سيدنى وكانبرا، فإن تدمير المكتبات الخاصة بالأخيرتين يعلو تدمير باقى المكتبات فى المدن الأخرى وترك تلك الخاصة بسيدنى وكانبرا.

بصورة مماثلة، كانت هناك مراكز تعلم أخرى فى العالم الهلينى بجانب الإسكندرية. مدينة برجاموم – التى أخذت منها مخطوطة بيرجامين اسمها – كانت

مركزاً مهما لإنتاج الكتب عبر الفترة الهلينية، وكانت بها مكتبة تحتوى على ٢٠٠٠٠٠ كتاب – وهى كمية معقولة مقارنة بعدد كتب مكتبة الإسكندرية – لكنها لم تدمر من جانب المستعمر الرومانى. وظلت مدينة أثينا منارة للعلم، خاصة فى الفلسفة والخطابة، مع مكتبات تناسبها. بالنسبة إلى أكاديمياتها ومدارسها فقد توافد إليها مشاهير الأدباء الرومان العظماء من أمثال سيسرو وصديقه ومراسله أتيكوس. جزيرة رودس كانت تتفاخر بوجود مدرسة للسياسيين الذين كانوا بحاجة لجرعة من الحضارة اليونانية لصالح مستقبلهم السياسى فى الإمبراطورية التى كان متحدثو اللاتينية بها أقلية. ومن أعلام رودس مارك أنطونى الذى كان تعليمه اليونانى سببا فى مساعدته على أنشطته فى شرق العالم المتحدث باليونانية.

استمرت الإسكندرية مركزًا لدراسة الفلسفة والتعليم العلمى بعد الحرب الأهلية التى نشبت بين البطالمة. ومن الإسكندرية خرج الفيلسوف المسيحى كليمينت، تحت تأثير بانتينيوس، رئيس المدرسة الكاتيشيلية السكندرية. فيلو، مؤلف الإسكندرية اليهودى الشهير، كان نتاج مدارس الخطابة اليونانية، وهذا يمكن ملاحظته من معرفته الجيدة باليونانية والأدب اليونانى، خاصة الشعر الملحمى والدرامى. وحالما استعادت أنتيوش فوق الأورونتيس مكانتها كمركز ضخم للتعليم الهلينى– وهو دور استمرت تلعبه مع بعض التفرقة تحت السيليوسيد بعد فقد العاصمة السيلوسيدية الغربية (سيلوسيا تيجريس) على يد البطالمة سنة ١٦٥ ق.م. لكن المكتبات فى هذه المراكز لم تكن مبنية من جانب الدارسين والعلماء مثل تلك التى كانت تتكون من ٧٠٠٠٠٠ كتاب فى المكتبة الكبرى، وحوالى ٤٢٨٠٠ كتاب فى المكتبة الأصغر للإسكندرية.

بالنسبة للطبقة الأعلى تعليميا من متحدثى اليونانية فى مقاطعات الإمبراطورية الرومانية الذين كانوا يرون التعليم الأثينى هو الأفضل، تلقوا تعليمًا أعلى على يد شباب (بين سن ١٧ و ٢٠) من رجال الأدب اليونانى فى تلك الفترة، من بركليس وديموسينيس وإيسوكراتس. ولهذا الغرض كانوا بحاجة إلى كتب. تحت حكم الإمبراطورية، كان التنافس الحضارى يزيد، وكان البليغ فى الخطابة هو بطل من أبطال المدينة، حيث صار التدريب على الخطابة عنصراً أساسيا من عناصر إعداد الرجال للخدمة موظفين فى الحكومة الرومانية. كان الكثير من الشباب يضحون بكل شىء فى سبيل دفع مقابل تعليمهم للجامعة حتى يتعلموا فى أثينا أو أنتيوش. ونحن محظوظون للغاية حيث وصل إلى أيدينا عدد معقول من العديد من المشاهير خريجى مدارس الخطابة فى أثينا بالنسبة إلى موضوع التعليم العالى، خاصة التدريب على الإلقاء، فى الفترة الإمبريالية. أول

هذه الأعمال التى أنتجت فى تلك الفترة هو: (حيوات السفسطائيين) Lives of sophists لفيلوستراتوس (١٧٠-٢٠٥)، الذى درس فى أثينا لكن بعدها استقر فى روما. صار هذا هو النموذج الأدبى بالنسبة إلى أعمال خاصة بإينابيوس السرديسى فى القرن الرابع. فوق كل اعتبار، لدينا عدد ضخم من الخطابات الرسمية والخطابات الخاصة لـ(ليبانيوس) الأنتيوشى، الذى ألقى الكثير من الضوء على التعليم العالى فى كل من أثينا والقسطنطينية، وكذلك فى مدينته الأم أنتيوش، حيث كان رئيس قسم الخطابة من سنة ٣٩٢ إلى موته فى ٤٧٣ ق.م.

١-الاستقطاب

ولد إينابيوس سنة ٣٤٥ ميلادية فى سارديس بآسيا الصغرى. فى سنة ٣٦٢ وصل إلى بيرايوس مع بعض أقربائه وأصدقائه الذين كانوا عازمين على الدراسة فى أثينا. كان بين يدى حمى شديدة جعلت حالته شديدة السوء. كان قد تم تحذيره من أن المتحمسين بجنون، كل مدافعا عن مدرسته، كانوا معتادين على الاستلقاء منتظرين على الأرصفة. السبب فى ذلك هو أن عددا من معاهد تعليم عال فى أثينا- خاصة مدارس الخطابة- كانت قد تضخمت لدرجة كبيرة بسبب الرعاية وتوافر طلبة مستعدين للدفع. لكن الطلب لم يكن مكافئا للعرض على الدوام، فقد ظهرت فكرة تقسيم السوق على أساس جغرافى. لكن كان من المعتاد ألا يحصل المعلمون على عدد كاف من الطلاب من نطاقهم الجغرافى، وفى هذه الحالة كانت تستخدم أساليب عنيفة من جانب طلبتهم من أجل استقطاب طلبة جدد.

جلس إينابيوس وصديقه على الرصيف فى منتصف الليل. كانت الساعة المتأخرة من الليل قد وفرت عليهم أن يراقبهم عملاء الأساتذة الآخرين. لكن قبطان السفينة، المتفق مع الـ (prohaersius) والتى كانت جيدة للطلبة، بالرغم من الساعة المتأخرة، أخذهم مباشرة إلى منزل هاريسيوس فى أثينا. المسكين إينابيوس الذى كان أضعف من أن يسير، كان أصدقاؤه وأقرباؤه يسندونه. أخذ بروهاريسيوس من حجم الجمع الذى أتاه فى منزله. قال إينابيوس "كانوا كثيرين فى الواقع، إلى درجة أنه فى وقت قيام المعركة، كان طالبان أو طالب كاف لكسب المعركة ضد كل السفسطائيين. بعض هؤلاء الشباب كانوا مميزين بقوتهم الجسمانية، بعضهم كان لديه أكياس نقود ثمينة، بينما الباقون كانوا بالكاد يقبلون. أنا -الذى كنت فى حالة يرثى لها- أحفظ كل أعمال

القدماء من خطب عن ظهر قلب". بعدها مباشرة عمت البهجة المنزل، وأرسل بروهاريسيوس لأقربائه في الليلة نفسها ووجههم إلى أخذ الطلاب الجدد. وكانوا سعداء فقط على الأرجح بسبب رؤية العديد من الدافعين.

ليبانيوس، الذى درس فى أثينا قبلها بعشرين عاما (٣٣٦-٣٤٠)، كان حظه أقل بكثير فى بداية حياته فى الجامعة. كانت المنافسة بين السفسطائيين والطلبة فى ذروتها، وكان المدرسون يقال عنهم إنهم يغوون الطلاب بالانضمام لحلقاتهم الدراسية فى مدارسهم عن طريق عرض وجبات عشاء سخية. واحد من أكثر الأخطاء والإدانات التى قد تؤخذ على السفسطائيين كانت اشتراكا فى عملية بيع غير شرعية للطلبة بين المعاهد. وكمواطن أصلي من أنتيوش، توقع ليبانيوس أن يصير تلميذ إيبفانيوس، وهو معلم كان يتمتع بسمعة ممتازة. وصل إلى أثينا فى وقت النهار بعد أن قضى ليلة فى جيراستوس – وهو ميناء آخر لأثينا – وتم جذبه من جانب مناصرى مدرسة ديوفانتوس، الذين حبسوه فى صومعة بحجم البرميل لم يسمح له بالخروج منها حتى أقسم بأنه سوف يظل طالبا بمدرسة ديوفانتوس.

كانت تجربة ليبانيوس غير السارة مع قدومه إلى أثينا ليست الخبرة الوحيدة التى يمكن أن يحصل عليها طالب جديد على أيدى مناصرى المدرسة قبل أن يبدأ دراسته. كان الطلبة وقتها، مثلهم الآن، يأتون إلى الجامعة ليس فقط بالرغبة فى التعلم، بل أيضا بكثير من الطاقة الزائدة عن الحاجة. جورجى النازيانزينوسى-طالب لجوليان المرتد وبعدها عالم دين وأسقف شهير- يخبرنا بأنه قبل أن يتم قبول الطالب الجديد تماما فى المدرسة، كان عليه أن يمر بعدد من الشعائر التى يشرف عليها الأكبر منه. كان الطالب يتم إدخاله أولا إلى منزل واحد من آسريه، فى العادة شخص ماهر فى الجدال. حيث كان يصير مادة للسخرية والمزاح من جانب كل الذين يتمنون أخذ نصيبهم من التبادل الفلسفى السريع. الغرض من هذا كان الحط من قدر الطالب الجديد ووضعه تحت لواء سلطة المدرسة. وقد أخبرنا أوليمبيودوروس الطيبى – مؤرخ زار أثينا فى ٤١٥ ميلادية – أنه قبل أن يسمح للطالب بارتداء زى السفسطائيين الذى كان يميزه:

كان كل الجدد من طلبة يتم جلبهم إلى حمام عام. هؤلاء منهم الذين وصلوا إلى سن مناسب كانوا جاهزين لزى الفلاسفة، يتم دفعهم إلى مقدمة الدارسين الذين

يعلونهم. ثم، بينما بعضهم يعدو أمامهم ويمنعهم من مواصلة طريقهم، كان البعض الآخر يتم دفعه وتوجيهه نحو الحمام، وبعد الكثير من الشعائر الغريبة كانوا أخيرا يرتدون معطف الفلاسفة الذى يميزهم بوصفهم رجالا متميزين على درجة اجتماعية عالية.

٢-حالة الأساتذة

حالما يتم قبول الطالب بالمدرسة، كان يطوى تحت جناح السلطة الخاصة بالرئيس، الذى كان لا يضيع وقتًا فى تذكيره بأن الوقت قد حان ليقصد الملاعب الرياضية وحانات الشراب للدراسة الجادة. فى المدن الجامعية مثل أثينا، حيث كان معظم الطلاب يأتون من مقاطعات وكانوا بعيدين للغاية عن الرعاية الأبوية، كانوا يتشاجرون مقسمين إلى عصابات من الطلاب، مع الكثير من الشراب واللهو.

كان المدرس بشكل عام محل إعجاب طلبته. ليبانيوس يصف لنا واحدة من لقاءاته الفكرية (كرايو) (مجموعة من الأقوال الذكية أو الماهرة) عن مقولة إيسوكراتوس "جذور العلم مُرّة لكن فاكهته شهية":

فى الواقع، فكروا فى الأمر، المعلم يرسى فى مقعد مفروض علينا، مثل القضاة. يبدو مرعبا، ويقطب جبينه بالغضب ولا يظهر أيا من مظاهر الحلم. على الطالب أن يقترب منه وهو خائف ويرتجف ليعطى نفسه مظهراً فنيا مناسبًا محفوظا ونمطيا تماما. إذا ما كان التكليف الذى قام به سيئ، توجد لعنات وإهانات وثورات من الغضب تنتظره فى المستقبل. إذا ما بدا أحدهم مقتربا من الكمال ولا ينقصه شىء، فالشىء الوحيد الذى يكتسبه هو المعاملة السيئة، والأمر بألا يفعل ما هو أسوأ فى المرة القادمة. وكذلك ينتظر من قام بعمله على أكمل وجه الويل والثبور:بالطبع، حالما يقال إن أحدهم قد تحدث جيدا عليه أن يتلقى عبئًا أثقل، حيث يبدو أن المرء سوف يتحمل بعدها أحمالاً أثقل من الواجبات الدراسية.

الكثير من التعليم الأساسى فى المدارس كان يتم من جانب المدرسين - الموجهين - وهم جيل من المدرسين نعرفه جيدا فى مؤسساتنا.

كان الأساتذة يعلمون الطلبة حتى وقت الغداء، عندما يتولى وقتها المدرسون الأمر. كان ليبانيوس يشتكى من أن الحاجة إلى الحصول على طلاب يدفعون مقابل التعليم كانت

تجعله يعمل فى وقت الغداء. والمدرس بسبب دوره التنظيمى، كان هدف احتجاجات الطلاب.

لكن نظام التعليم المستند إلى دفع مقابل للتعليم كان له ميزة مهمة وهى التورط الأبوى. بجانب وضع ضغوط على كل من الأبناء والمعلمين من أجل الوصول للأداء الأفضل، وفى بعض الأحيان كان الآباء المهتمون والراغبون فى تفوق الأبناء يتدخلون فى عملية التعليم، مثلما أخبرنا ليبانيوس ذات مرة عن حالة من هذا القبيل هى الخاصة بصديقه أناكسيناتيوس.

فى بدايات الإمبراطورية – خاصة تحت إمبراطور محب للثقافة الإغريقية مثل هادريان – كانت مؤسسات التعليم العالى فى شرق اليونان تتمتع بمركز خاص، وكان الأساتذة يرافقون مشاهير السياسيين على مدار اليوم. من الأكاديميين الذين عاشوا حياتهم كما ينبغى فى القرن الثانى هو بوليمو السميرانى. حيث من خلاله تم إقناع هادريان بنقل رعايته من إيفيسوس – العاصمة الرسمية لآسيا الرومانية – إلى سميرنا، ووزع ما لا يقل عن عشرة ملايين دراخمة على المدينة. مع هذا التغير فى الاتجاهات، كان مجلس المدينة قادرا على بناء سوق الذرة الشهير– وهو الآن قد تم التنقيب عنه من جانب علماء الحفريات الإيطاليين – وكذلك الجيمناسيوم، والمعبد الذى يمكن رؤيته من البحر. عندما اشتكى المواطنون لاحقا بأن بوليمو قد استغل بعض الأموال ليعوض خسائره الشخصية الناتجة عن أسلوب حياته المبذر، رد هادريان بأنه مسرور بكيفية إنفاق بوليمو للنقود التى يتحصل عليها.

لعله كان مبذرا فى الإنفاق من الأموال العامة، لكن وقوف بوليمو إلى جانب السلطة الاستعمارية جعله قادرا على مساعدة الكثير من مواطنيه فى قضايا مرفوعة فى المحكمة. وخاصة فى منع استمرار قضايا فى إيفيسوس – العاصمة الرسمية لآسيا الرومانية – أو فى روما. أما الأكثر عرضة للخلاف فحملته العنيفة الخاصة بالطرد من مدينة الزناة، والقتلة، وهؤلاء الذين دنسوا المقدسات، كان شعاره هو أن المجرمين بحاجة إلى أن يعاملوا بحد السيف. بعكس الأكاديميين المعاصرين له، كان بوليمو لا يسافر خفيفا أبدا، وكان فى العادة مصحوباً بعدد من الحيوانات المحملة بالحقائب والعبيد والكثير من كلاب الصيد. كان يسير فى عصر الإمبراطورية الرومانية بما يوازى سيارة چاجوار أو ديملر على سبيل المثال، فى عربة من مواد غالية الثمن فى التصميم والصناعة، مع لجام من الفضة. كل هذا التظاهر كان يدعى أنه جيد لصورته

بوصفه مواطنا سميرانيا أصليا. كان قد خاصم حفيد هادريان: تراجان، وكان يرتحل إلى أى مكان من الإمبراطورية - وهى ميزة ورثها عنه اللاحقون به. عندما كان فى روما، طلب ٢٥٠٠٠٠ دراخمة لتكاليف المعيشة وتلقاها من الإمبراطور بالرغم من أن كلا من الجانبين وافق على طلبه بهذا المبلغ الضخم فيما قبل.

واحد من أكثر الأمثلة توضيحا للازمة بوليمو غير المعتادة لعلية القوم والعائلة الإمبراطورية هو الأسلوب الذى كان يسمح له به بأن يعفى من البروتوكول الملكى. فيما سبق تبنيه من جانب هادريان سنة ١٣٨، أقام أنتونينيوس بياس حاكم آسيا (١٣٣-٣٦) ذات مرة فى منزل بوليمو لأنه كان الأفضل فى المدينة. لكنه فعل ذلك بدون أن يخبر بوليمو، حيث كان الأخير قد غادر وقتها. عندما عاد كان غاضبا بسبب الفعلة التى جعلته يقيم خارج منزله. وأصر على أن أنتونينيوس يجب عليه أن يغادر إلى منزل آخر بالرغم من أن الوقت كان منتصف الليل. عندما تم إخبار هادريان بالأمر لم يقم بأى فعل، ولا حتى أى إجراء لإدانة بوليمو بسبب إهانته لخليفته المختار. لينقذ ماء وجهه أطلق اسم المستشار الأساسى لوصيته النهائية وشهادته، وبذلك أصمت كل النقد السفسطائى. بالرغم من أن أنتونينيوس بياس قد طرد فى منتصف الليل، فقد رحب فيما بعد بالسفسطائى عندما كان إمبراطورا. وأمر بأن يعطى بوليمو أفضل مكان للإقامة. ذات مرة، عندما أعلن ممثل تراجيدى يؤدى فى الألعاب الأولمبية فى آسيا، التى كان يشرف عليها بوليمو، أنه يمكنه أن يقاضى بوليمو بسبب أنه طرده فى بداية المسرحية، سأل الإمبراطور الممثل عن الوقت الذى تم طرده فيه من المسرح، وعندما جاءه رده بأن هذا قد حدث ظهرا، قال الإمبراطور قوله الماهر: "لكن الوقت كان منتصف الليل عندما تم طردى من المنزل ولم أقاضه".

فى سنة ٢٦٧ كانت أثينا غارقة فى طوفان القبائل الألمانية-الهيرولى، الذين احتلوا المدينة لفترة وجيزة. يوضح الدليل الحفرى صورة واضحة ومحددة لأثر الانقلاب الهيرولى. تم حرق وتدمير على نطاق واسع للمبانى الخاصة والعامة فى عمليات النهب نفسها، وتبعته أعوام امتدت إلى سنة ٢٨٠ كان يتم استخدام المواد المأخوذة من المباني القائمة لبناء خط دفاع داخلي (الحائط المسمي حائط فاليرى)، الذى أحاط بمنطقة صغيرة فى شمال أكروبوليس، وتركوا الأجورا نفسها بلا حماية وخالية. يؤكد الدليل الخاص بالعملات على أن الحائط كان تحت الإنشاء فى فترة بروبوس (٢٧٦-٢٨٢). كان التدمير ليكون أبشع لو أن المواطنين لم يتسابقوا إلى الالتفاف حول قائد غير محتمل - هيرينيوس ديكسيبوس (٢٠٠-٢٧٦)، وهو أستاذ للخطابة وفيما تلا ذلك

مؤلف العمل التاريخي المهم الذي سوف يتم إكماله على يد إيوبابيوس، لكن تبقى منه لنا جزء صغير. كان ينظر إليه من جانب معاصريه وبعدها المؤلفين التالين على فترته على أنه رجل متعلم بصورة جيدة. وعبر أجيال متعاقبة، كان أعضاء من عائلته – وهي عائلة كبيرة في أثينا – بالرغم من امتلاكهم للجنسية الرومانية، مازالوا يشار إليهم على أنهم أعضاء مجلس الشيوخ في أثينا، وكانت مكاتبهم هناك وليس في روما. بعد احتلال مدينته الأم من جانب هيرولي، جمع حوله عدداً من الأثينيين الشجعان، وأخذ موقعًا قويا متمركزًا على التلال القريبة. لكن المدينة نفسها كانت قد وقعت في أيدي الهمج، وتم عزل ديكسيبس وفريقه عن المدينة، وقد قام بعمل مذهل حيث نزل على بيرايوس وانتقم من العدو.

قاد نصر جالينوس على نيستوس بالقرب من إبيروس في العام نفسه إلى معاهدة مع ناولوباتوس شيخ قبيلة الهيرولي، والتي بمقتضاها وافق الأخير على خدمة الإمبراطورية الرومانية وصار أول الهمج الذين تلقوا شرف الانضمام للقنصلية الرومانية. حالما تم استعادة السلام، تعافت أثينا سريعا وعادت إلى دورها القيادي المعهود في التعليم العالي. ومع تضخم حجم الإدارة الإمبريالية في آخر أيام الإمبراطورية زادت الحاجة إلى خريجين جدد من الخبراء في الخطابة والبلاغة، لكن الزيادة في عدد المؤسسات قادت إلى انحدار في حالة الأستاذ في أعين السلطات الإمبريالية والاحتلالية؛ حيث صار الأستاذ مشغولا بالحاجة إلى ضمان الحصول على الأموال الكافية من تلامذته ليتوفر له مستوى معيشة جيد، صار لديه وقت قليل ليقضيه مع الحاكم والموظفين.

٣-الكتب والتعليم العالي

لا يمكن للتعليم العالي أن يعمل في أي مجتمع – ولا حتى في مجتمع متقدم في استخدام الإلكترونيات مثل مجتمعنا– بدون كتب، وبالنسبة إلى رجل علم مثل ليبانيوس وتلامذته كانت الكتب حاجة أساسية. وهذا يبرر كمية كتابات ليبانيوس، خاصة خطاباته الرسمية وخطاباته التي تمس الأمور التعليمية، تعطينا فكرة عن أهمية الكتب والمكتبات الشخصية، خاصة في أنتيوش، مع نهاية العصور القديمة.

وقد علمنا من خطاباته الرسمية أنه في أثناء قراءته لمسرحية كوميدية تسمى "أشارنيانس" كتبها أرستوفانيس في مقره بمدرسة أنتيوش، أصيب بالبرق، بالرغم

من أن هذا لم يسبب له خسارة لبصره، فقد عانى من حالات صداع نصفى شديدة فى كبره. من الواضح إذن أن الكوميديا القديمة كانت فى مناهج المدرسة الدراسية، وكانت كتب مثل المسرحية المذكورة أعلاه تعتبر من الكتب كثيفة التدريس. ويوجد عمل آخر ذكره ليبانيوس فى "تاريخ سوكديديس"، وهو كنز ثمين له كان بمثابة مصدر للدراما الشخصية.

كانت الكتب عظيمة القدر بسبب تكلفة إنتاجها المرتفعة وندرتها. وكان كتاب ليبانيوس الخاص بسوكيديديس على شكل لفافة وليس مخطوطة. كان المعلمون الوثنيون مثله يتجنبون استخدام الاختزال، وقد أشار فى العديد من المرات إلى صعوبات العثور على الناسخ الجيد. عدد هؤلاء فى الخدمة الخاصة - بالأساس من العبيد - لم يكن كبيرا، وعندما توفى سكرتير ليبانيوس بسبب الطاعون الذى أصاب أنتيوش سنة ٣٨٥، فقد وقتها ناسخا عالى القيمة ، كانت كتاباته كما قال: "تساعدنى كثيرا فيما ألقى من خطب، حيث كانت كتاباته أفضل كثيرا من خطى الذى أكتب به، وكانت تسمح لى بأن أراجعها بنظرة سريعة"، كان حريصا على ألا يستعين بأى ناسخ، وفى إحدى المناسبات أوصى بتعيين ناسخ من أنتيوش فى أثينا، وطالب بأن يتم حمايته من مضايقات الطلاب هناك.

كانت استعارة الكتب فيما بين الدارسين ممارسة معتادة، لكن فى بعض الأحيان ممارسة يجب أن يدعمها القسم والوعد. فى واحدة من رسائله القصيرة، كتب ليبانيوس إلى صديق له يسمى أويسبيوس، زوج زينوبيا: "أنا أسألك استعارة خطبة أودناسوس العظيم من بالميرا، التى ألقاها لونجينوس، لابد من أن تعطينى إياها إيفاء لوعدك الذى أبرمته معى". أصيب ليبانيوس بالانزعاج من الآباء الأثرياء الذين لا يساهمون بتكلفة تعليم أولادهم من حيث شراء الكتب لهم، عندما رأى أن أحد الطلاب كان يبكى بسبب أنه لا يستطيع أن يدفع مقابل الحصول على كل من الطعام والكتب - وهى مشكلة متكررة - كتب سريعا إلى أبيه هيورتيوس: "إذا ما كنت رجلا فقيرا أريدك أن تقترض المال من أصدقائك وتدفع لابنك ليشترى الكتب، لكنك لحسن الحظ من أغنى الأغنياء، ونصيحتى لك هى أن تنفق بعضًا مما تملك على أغلى ما تملك. لعل الجوع غير مناسب للطالب، لكن المسألة الآن لم تعد معدة الولد، لكن كتبه. إذا ما لم يكن أى منها، فسوف يكون مثل رجل يتعلم الرماية بدون قوس وسهام".

كانت التكلفة الباهظة للنسخ تعنى أيضا أن بعض الأعمال ذات القيمة الأدبية العالية - لكن التى لا تستخدم فى مدارس الخطابة - لم تكن تنسخ كثيرا. فى

سنة ٣٦١، كتب ليبانيوس خطاب شكر لصديقه بالاديوس الذى أرسل له بعض الكتب عن الخطابة، كانت ذات قيمة عالية بالنسبة لخطيب محترف مثله. للأسف اهترأت نسخة خطبة الخطيب الشهير إيوليس أريستيديس الذى كان يعيش فى القرن الثانى "دمرها الزمن وصارت أجزاء منها مرئية ومقروءة، وأجزاء أخرى غائبة تماما حتى مع البحث الدقيق فى الكلمات".

بجانب التكلفة العالية للكتب، كان المنهج المدرسى لمدارس الخطابة يساهم هو الآخر فى الاختفاء التدريجى للكثير من الأعمال الأدبية. ففى جوهر التدريب على الخطابة، نجد الخطب القضائية العظيمة للخطباء الإغريق، خاصة ديموسينيس – مؤلف كان ليبانيوس يعرفه جيدا، وكتب له مجموعة كاملة من التلخيصات – الذى أطلق عليه دارسو الخطابة اللاحقون على عصره اسم "ديموسينس الثانى". كان يعرف هومير أيضا بالطبع وبصورة حميمة، كما نرى من الفقرات والإشارات التى يأخذها منه، لكن المؤلفين الفلاسفة بدا أنهم قد قرأوا له القليل أو لتلامذته والكثير من المؤلفين القدامى الذين نعرفهم من الفقرات المأخوذة من أعمالهم. من أعمال بيندار، والكتاب الوحيد له الذى حصل عليه هو "أوليمبى"، الذى كان على الأرجح مثال على إنكار الذات، حيث كانت هناك عناوين أخرى متوافرة. فكرة الاختيارية نفسها كانت موجودة فى الدراما اليونانية، التى لم تمتد فيما تلا أعمال أوسخيلوس، وسوفوكليس، ويوريبيديس.

نهايات وبدايات جديدة

مع ارتفاع درجة الصراع بين الوثنية والمسيحية فى القرن الخامس، صارت مسألة التعليم العالى لأبناء النخبة مسألة مهمة. كان تعليم الخطابة وثنيا فى أساسه من حيث منظوره الدينى، وكانت محاولة الإمبراطور جوليان للحد من تدريسه للوثنيين الذين كانوا يؤمنون حرفيا بالأسطورة اليونانية تجلب فقط رد فعل عنيف من الملوك المسيحيين. تمت عملية الإنهاء التدريجى من جانب الإمبراطور جوستينيان، الذى أمر بغلق الأكاديمية الأفلاطونية فى أثينا سنة ٥٢٩ ميلادية.

كان الصراع الداخلى فى الكنيسة المسيحية هو الآخر عنصراً مؤثراً شديد الأهمية على الانتقال الواقع فى التعليم الكلاسيكى. تم إغلاق مدرسة لاهوت فى مدينة إيديسا على يد الإمبراطور زينو سنة ٤٨٩ بسبب مساندة طاقم تدريسها للتعليم المحرم للممارسات الوثنية. وقد هرب الأعضاء المهمون فى هيئة التدريس عبر الحدود إلى

نيسيبيس حيث أقاموا تحت ضغط ملك الملوك الفارسي مركزًا ضخمًا للتعليم. بالرغم من أن سيرياك كانت الوسيط الأساسي للتعليم، فإن منهجهم قد شمل تعليم الفلسفة اليونانية (خاصة أفلاطون وأرسطو) والكتابة العلمية. صار لهؤلاء الوثنيين سمعة بأنهم يمزجون بين اللاهوت المسيحي والفلسفة اليونانية. وتم إنشاء مدرسة مسيحية أخرى في جونديشابور، التي كانت مشهورة بدراساتها الطبية والمستشفيات التعليمية. وقد عرفنا حالة التعليم في المدرسة التي عاشت حتى سنة ٥٩٠، مما يعني أنها أقدم معهد تعليمي للتعليم العالي في العالم.

كان الجو العام لهذه المعاهد المسيحية بالطبع متقشفًا للغاية. كان الطلاب ملزمين بالعزوبية في أثناء فترة الدراسة، وكانت مسائل مثل لباسهم وقص شعرهم تنظم. مع الفجر كان الطلبة ينتظموا في فصولهم، ويقضون الوقت في نسخ الكتب، والقراءة، وسماع المحاضرات، وتعلم الطقوس الدينية. كان محرما عليهم مغادرة مدينة نيسيبيس بدون إذن من المسئول عن النظام، وكذلك محظور عليهم الخروج عن الحدود السياسية للإمبراطورية الرومانية لأي سبب، ولا يستبعد من ذلك زيارتهم لطبيب، أو حتى للحج. لم يكن مسموحا لهم بأن يعملوا في عمل مقابل كسب مادي في حالة ما إذا كان هذا العمل سيصيب دراستهم بالاضطراب، وكان محظوراً عليهم العمل أدلاء على الحدود. وكانوا يأكلون في مكان واحد، ومحظور عليهم الأكل في الحانات أو الفنادق، أو في بساتين المدينة، أو زيارة دور الرهبان أو الراهبات. كانوا يعيشون كل سبعة أو ثمانية في خلية واحدة، تحت إشراف أحد المشرفين، وعندما لم يكونوا مشغولين بالاستذكار، كان من المفروض أن تجدهم في صلواتهم. وكان الموسرون غير مسموح لهم بإقراض النقود لزملائهم ولو بفائدة بنسبة ١٪.

كان البرنامج الدراسي يستمر لمدة ثلاثة أعوام، وكان جوهر الدراسة هو المعرفة الجيدة بالمخطوطات الدينية. كان التعليم باللغة السريانية، لكن المعرفة العامة باللغتين اليونانية والسريانية مطلوبة. كانت الدراسة تبدأ بتعلم القراءة الصحيحة، يتبعها فن الكتابة، ونسخ المخطوطات، ثم فقه اللغة التاريخي والقواعد اللغوية، والذي كان أصعب بكثير بسبب التناقض بين اللغة المكتوبة والمنطوقة في كل من اليونانية والسريانية. كانت الموسيقى عاملا مهما هي الأخرى، يستتبعها ضرورة تعلم الغناء الديني الاحتفالي.

كانت صناعة الدارسين المسيحيين السريانيين في مراكز مثل نيسيبيس جسرا مهما بين العالم الكلاسيكي وعالم العصور الوسطى. عندما ترجم الدارسون في توليدو

لأرسطو إلى اللاتينية فى القرن الثانى عشر، لم يستخدموا الأصل اليونانى لأعمال أرسطو، لكن الترجمة العربية التى كانت بدورها ترجمة للترجمة السريانية عن اليونانية، أو ترجمة مباشرة من اليونانية عن طريق النسخ السريانية الوسيطة التى كانت قد وضعت بغرض الترجمة. لأنها لم تكن مدارس خطابة تتجه نحو تعليم أبناء الطبقة الرومانية الحاكمة، كان المنهج الدراسى فى نيسيبيس ينتج دارسين لهم آفاق علمية أرحب بكثير. هؤلاء الدارسون-باللغة اليونانية والسريانية - صاروا أشخاصًا مهمين فى نقل الكتابات اليونانية إلى العربية تحت رعاية الخلافة العباسية. وقادت مساعيهم إلى حفظ كتابات العلماء الكبار والفلاسفة المهمين من أمثال: إقليدس، وجالين، وأبوقراط، وأرسطو باللغة العربية، وقادت أيضا إلى معرفتنا بالمؤلفين اليونانيين الأقل شهرة فى الفترة الرومانية من أمثال: ديوسوريديس، وألكسندر الأفروديتى، وسيميستوس، ونيكولاس الدمشقى. بهذا الأسلوب العريض، صارت مراكز التعليم فى عصور الإسلام الأولى، مثل بغداد، والقاهرة، والإسكندرية نفسها، ورثة العلم اليونانى الكلاسيكى الذى كان فى وقت ما ممثلا فى مكتبة الإسكندرية الكبرى.

الفصل الثامن

الأفلاطونية الجديدة، ومدارس الغموض المتوسطية

باتريشيا كانون جونسون

مقدمة

بين أهم إنجازات الإسكندرية كانت قدرتها على أخذ الحكمة من العالم الهلينى وتحويلها إلى أفكار جديدة. يمكن أن يقال إن كل الفنون والعلوم - من المنظور المثالى، تم الوصول إليها عن طريق البحث عن الحكمة، لكن هذا لا يظهر فى أى سياق مثل ظهوره فى سياق الفلاسفة أنفسهم: محبى الحكمة الطبيعيين، هؤلاء الذين يعكس عالمهم طبيعة النفس السامية.

الخط القاسم بين (نوس) والتجربة الغامضة هو خط رفيع، والعالم الهلينى كان الوارث لأسلوبين عظيمين للتأمل - الأديان الغامضة ومدارس الفلسفة اليونانية - التى كانت قد بدأت فى الاندماج فى نظرية جديدة من الأفكارمع القرن السادس قبل الميلاد. كان العبقرى الذى بدأ هذا التحويل هو فيثاغورس (٥٨٠-٥٠٠ ق.م)، وتبعه فى القرن الرابع قبل الميلاد الفيلسوف الغامض: أفلاطون (٤٢٧-٣٤٧ ق.م).

أثرت مبادئ فيثاغورس وأفلاطون على تحويل المنطقة البحرمتوسطية الشرقية إلى الحضارة الهلينية بين القرنين الرابع والأول قبل الميلاد، وهى حركة أنجزها وساعد على حدوثها الوجود الطاغى للمركز الثقافى السكندرى الكبير. وقد كانت الإسكندرية جامعة لتعليم الفلسفة والرياضيات واللاهوت وفقه اللغات والعلوم، كانت جامعة بالمعنى الحرفى للكلمة: نهضة للضمير عبر الفنون المتحررة التى وجدت فيها الإنسانية ضالتها فى

صورة حية للمبادئ الفلسفية والحكمية للـ(نوس) أو عقل الكون. ومن صفات هذا التعليم العالى المتميز أنه كان يتعدى حدود الجنس والطبقة، صارت معه الفلسفة أقل ارتباطا بالنخبة وأقرب إلى اهتمامات الأفراد بصورة عامة.

الشيء نفسه ينطبق على الديانات الغامضة، التى تحولت فى الإسكندرية إلى مكون رئيس فى الحياة العامة: حيث إن الطقوس الدينية الصغيرة كانت ذات طابع تمثيلى ومبهج ، ولكن المستوى الأعلى من الابتكار ارتبط أكثر بالفلسفة التجريدية ذات الطابع الترانسندنتالى Transcendence تمثيلى ، وبذلك ظهرت المدرسة الأفلاطونية فى التفكير. بالاتساق مع الفكر الليبرالى الهلينى أعطت الإسكندرية دفعة للغوامض الجديدة، مع تقدم الإله سيرابيس – رفيق إيزيس – ليوحد بعض الصفات الإلهية اليونانية، منها الشفاء، ووظيفة التفكير، مع ربة التضحية إيزيس.

ولعل التراث الأكثر أهمية للإسكندرية الذى تركته للعالم هو الانتقال الفلسفى فى المفهوم الأفلاطونى (للمبدأ الأعلى) كما يعرف بالعقل – وبذلك تقيده حدود التعريف – إلى مفهوم مبهم، خارج نطاق المادة، ولا تحده أية قيود من أى نوع. وهو ما عبرت عنه الأفلاطونية الجديدة، التى نهضت عبر مدارس الإسكندرية خلال القرن الثالث الميلادى، وهى علم الميتافيزيقا الذى مارس فى عصور تالية على هذه الفترة تأثيراً عميقا على التصوف واللاهوت فى العالم الغربى.

أسرار أورفية

دراسة الأفلاطونية الجديدة تبدأ بلغز الدين، وبصفة خاصة بالألغاز الأورفية، التى تتصل بتلك الخاصة بديانوسوس. وتخدم الحكمة المخفية للألغاز بصورة مزدوجة فى هذا السياق: توفر أساساً لاهوتيا تقرأ المبادئ الفلسفية على أساسه، وكذلك تولد لغة سرية، تمثل مفتاحاً لكتابات الأفلاطونيين الجدد وتلامذتهم، التى قد تبدو غامضة فى خلاف ذلك.

كل من أفلاطون وفيثاغورس كان له تأثير فى نمو أفكارهم عن طريق خبرتهما المباشرة بالغوامض، وبالمبادئ المقدمة فى سلسلة من الكتابات الدينية – فى العادة تعرف باسم الأشياء الأورفية – مصاحبة باسم أورفيوس. يقال إن فيثاغورس قد اكتسب معرفته من ألغاز جاءت من فيريكيديس الأورفى، الذى كان تلميذاً للكاليديين والمصريين. ومن الكتابات الأورفية التى نجت من الضياع: (اللاهوت) و(الترانيم

الغامضة). ويذكرنا الأفلاطوني الجديد بروكلوس في القرن الخامس الميلادي "كل اللاهوت الذي وجد بين اليونانيين القدماء ناشئ من مبادئ أورفيوس الغامضة" الفلسفة – حب الحكمة – يمكن أن تعرف كشرح للأفكار اللاهوتية.

في التعامل مع ألغاز أورفيوس يوجد بعدان مهمان يجب النظر إليهما: أولا شخصية أورفيوس نفسه والأساطير اليونانية التي تحيط به، ثانيا التكوين اللاهوتي المعقد الذي تعتمد عليه الألغاز الأورفية، والذي نجده مشتقا بلا شك من آسيا الصغرى ونظريات الانبثاق الزرادشتية. وقد كان لدى القدماء أنفسهم القليل من المعرفة بما إذا كان أورفيوس قد وجد حقا أم أنه أسطورة، و في القرن الخامس عشر الميلادي وضع مارسيليو فيسينو خطا لتعقب المعلمين الكبار للاهوت كما يلي:

في الأشياء التي تتعلق باللاهوت كان يوجد في الأوقات الغابرة ستة معلمين كبار يشرحون المبادئ نفسها: الأول هو زرادشت زعيم السحرة المجوس، الثاني هو هيرميس تريسميجيستوس رئيس سلك الكهنوت المصري، ويلي هيرميس أورفيوس، وكان الجوفاموس في سياق ألغاز أورفيوس المقدسة، ودخل فيثاغورس اللاهوت بعد الجوفاموس، ثم تلاه أفلاطون على يد فيثاغورس. وقد لخص أفلاطون كل حكمة هؤلاء في رسائله.

وفي خط أورفيوس يوجد عشرة أجيال من الشعراء – أو مدارس شعرية – بين أورفيوس وهومير.

لكن وجود أورفيوس كفرد أقل أهمية من تأثير الأورفية على العالم القديم. كانت مبادئ المدرسة الأورفية متعلقة بالخلاص الروحاني، وتضمنت الإيمان بالتقمص، والوسائل التي تنتقل بها الروح عبر دورة الميلاد من جديد. وكانت مهتمة أيضا بالعلاقة بين الأرقام وطبيعة الآلهة، والرقم، في صورة إيقاعات سماوية، هو الذي تقع فيه قوة قيثارة أورفيوس. وكان للقيثارة المكونة من سبعة أوتار قوة السحر، ليس فقط على الذين يسمعونها – حتى من الأشياء الجامدة مثل الصخور والأشجار – بل أيضا من جانب بوابات الموت نفسه.

بالنسبة إلى لاهوت أورفيوس، نجد أن أي تقدير دقيق له يعتمد على فهمنا لمبدأ الانبثاق، وهو المفهوم الذي لم يتم فهمه جيدا. مبدأ الانبثاق يعتبر نظرية في الخلق،

ويشير إلى وحدة أو موناد – الوجود الأبدى، أو الخير– الذى، بينما لا يمكن رؤيته فى سياق نفسه، ينبثق منه الوجود – المتعدد أو الكل – عن طريق عملية تعددية عبر مستويات هرمية هيراركية أو أبعاد من حالة إلى التالية عليها.

مع الفهم الخاطئ لهذا المبدأ، كل مستوى تال من الخلق يدرك على أنه أبعد من الخالق، وعالم المادة بعيد للغاية عن كل شيء. المشكلة تتضاعف عندما نرى المادة ليست على أنها خلق الموناد، لكن على مستوى فوقها مباشرة، فى بعض الأحيان يشار إليها على أنها الروح وفى أحيان أخرى على أنها الـ(ديميورج)، اعتمادا على المدرسة التى تناقش القضية. الطريق مفتوح إذن أمام الخطأ فى بعض المدارس فيما يتعلق بالمادة بوصفها شرا مضاداً للخلق الروحانى للموناد، وبذلك تنخفض قيمة الوجود المادى.

الازدواجية – كما هو معروف عنها– معروفة لعدد من الديانات، وكانت لعنة المسيحية، حيث تعرفت على الوجود المزدوج للشيطان والرب. وكانت منتشرة فى جنوب فرنسا فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين فى شكل مبدأ التطهير، الذى كان قد نشأ بالأساس عن آسيا الصغرى. لكن الأورفية تأخذ وجهة نظر أخرى. عن طريق عملية روحانية تضاعف الموناد من وجودها، وكل المستويات التاليات لها ترى على أنها مقدسة مثل السابقة عليها. الإنسان – وبالطبع الحياة كلها – هى عالم صغير للكون. الحياة الظاهرة ترى على أنها الإزهار النهائى للمستويات المختلفة فى التناغم من الواحد أو الخير إلى الوجود الظاهرى. الشر يرى على أنه غير موجود بالضرورة، وهى حالة مشتقة وليست ثابتا كونيا.

بهذا الأسلوب فى الإدراك، تأمر الروح موقعاً مركزيا بين المنطقة المدركة أو منطقة العقل ومنطقة الحواس، لذلك ترسل إسقاطا من نفسها على المادة. كل إسقاط مادى يعتبر إعادة امتصاص للروح مع الموت. مع هذا التكرار فى التفاف الروح تقدر الأخيرة على الانطلاق. دورة الحياة من جديد سوف تتوقف عندما يكون للشخصية المسقطة وجود مادى متجاوز، ولا يمكن أن تتعلم أى شيء أكثر من التعلم عن طريق العودة. هذا المبدأ مفهوم كقصة رمزية فى الأسطورة الخاصة بديونوسوس وأبوللو، اللذين يعتبران مناظير مختلفة لنفس الفكرة: يمثل ديونوسوس الروح المقسمة على الكثير من التجسيدات، حيث يطارد انعكاسه على المرايا التى تعتبر واحدة من ألعابه التى تسمم حواسه. يمثل أبوللو الضوء الموحد للعودة. الاسم أبوللو هو فى الواقع يعنى "ليس كثيرا"– بمعنى: الواحد – ويمثل النظام الشمسى، أو المبدأ الوسيط بين الموناد والعالم

المادى. والأسطورة الأورفية عانت من نفس المصير الرمزى - التمزيق - مثل ديونوسوس، الذى تصهر فيه روحانياته.

الأورفية هى مبدأ للتحرر، وجود أخلاقى والتزامى مطلوب، ليس بسبب أن اللحم البشرى شرير يجب تجنبه، لكن بسبب الخير الذى هو من طبيعة التسامى، مع ظهور الطبيعة المقدسة للفرد، مع التأثيرات الإيجابية الناهضة من السبب، طبقا لما يتم تغييره ليدعمه. هذا متسق مع البديهية الهيرمية "فوق كأسفل"، والنصح الدلفى "اعرف نفسك" ، الذى يعنى "أيقظ ذاكرة القوة الإلهية الكائنة خلف وجودك المادى".

الروحانى إذن يمكن أن يوصف بأنه بعد شخصى أو تجريبى للفلسفة، مما يعطى قدرة للولوج إلى مستوى تأملى عميق للتلقائى، وفى بعض الأحيان للانتشاء، لحظات نفاذ البصيرة ناتجة عن شكل المعرفة المعروف بـ(جنوسيس)، الذى يمر العقل فيه بحالة من التوحد والفردانية مع الشىء المدرك.

الكلمة "روحانى" هى كلمة يونانية تعنى "أن تكون صامتا"، والروحانى بطبيعته مستويات من الإدراك الصعب من حيث القدرة على وصفه لغويا. لا يمكننى على سبيل المثال أن أصف لآخر رائحة الزهرة، يمكننى فقط أن أخبره بكيفية العثور على البستان الذى تنمو فيه الزهرة - إذا ما أراد ذلك - حيث يمكنه أن يذهب ليعثر على الزهرة بنفسه.

فيثاغورس وأفلاطون

تجربة من هذا النوع تعتبر من صميم الفلسفة الأفلاطونية الجديدة، وهى نفسها تعتبر بعدا من أبعاد الجدل الخاص بالخلود كما يدركها فيثاغورس وأفلاطون. كان فيثاغورس مهتما بعلم الأرقام وفكرة الترتيب، أو اتساق العلاقة، كالمبدأ المنظم للكون. مبادئ الموسيقى مصاحبة بدرجة كبيرة بهذا، وفى الواقع الكلمة "شريعة" فى الاستخدام الفيثاغورسى تشير إلى القالب المستخدم لتعليم الانقسامات النغمية فى النغمة الواحدة. آمن فيثاغورس بأنه من الممكن دراسة الأرقام والموسيقى لنقترب من الجنوسيس، حيث إن الأشكال الرياضية للعالم الطبيعى تعكس القوانين الأصلية التى تستند إليها كل الظواهر.

عبر فيثاغورس عن هذه المبادئ على شكل نسب رقمية وتفاضل موسيقى. مفهومه لـ(كوزموس) (وهو المصطلح الذى دمغه بنفسه) له تناغم ديناميكى للمتضادات أو القوى

المكملة. الهرمونيا تعنى تكامل الأجزاء فى الكل، مما يؤدى إلى قانون التوحد فى المتعدد. الرقم يعامل على أنه جوهر كيفي يعبر عن مبادئ مثالية للعلاقة أو الوظيفة الكونية. هذه القيم، أو الـ(لوجوى) هى رموز على عملية الانبثاق.

رأى الفيثاغورسيون الرقم واحد على أنه ليس رقما بالمرة، لكنه جوهر لرقم خرج منه نظام رقمى. يزدوج على الرقم اثنان- ذكر/أنثى، إيجابى/سلبى- ويتحول الرقم إلى التثلث على رقم اتحاد بالمصطلح الهرمونى المأخوذ من الطرفين المتضادين. مع هذا الاتحاد الجديد يمكن تحقق احتمالية اللوجوس. الانبثاق الأول للموناد يرى على أنه مثلث، وهو المفهوم بصورة أفضل رمزيا فى تعريف إقليدس :النقطة (موقع فقط) تسقط خطا مستقيما (بعد) وبذلك يتحول السطح الأبسط الى ثلاثة خطوط (شكل).

النظم الروحانية الملغزة تتكون فى العادة من سلسلة من الثلاثيات، الواحدة تلى الأخرى عن طريق التوسط أو العلاقة باللوجوى. النظام الشمسى اللوجى يصل إلى وحدته الثانوية، حيث تتداخل مجالات الدوران. هذه الحالة من التناغم تعزى إلى الموسيقى المقدس أبوللو (كما رأينا)، الذى تعبر تأملاته عن شريعة الأرقام المنبثقة من الواحد. يشير الفيلسوف اليهودى: فيلو السكندرى إلى الرب كشمس روحانية أو غير مدركة، واللوجوس، ذريته، كـ(ابن الرب). من السهل إذن أن نرى سبب وضع المسيحية الأولى المسيح فى موقف اللوجوس، وسبب إشارة كليمينت السكندرى إلى المسيح على أنه "الأغنية الجديدة".

أفلاطون فى الـ(تيمايوس)، هو عند الواحد مع فيثاغورس فى رسم روح العالم باعتباره وجوداً مقدساً طبقا لنسب التناغم المثلى، اللوجوس يعتبر نموذجاً يبنى عليه كل الخلق. فلسفة أفلاطون تنبع من الفرضية القائلة بأن الحكمة هى صفة الربوبية، وأن الحافز على الوصول إلى المعرفة أو الجنوسيس لهذه الحكمة تكرس وترفع من قدر الروح. الحافز إلى أن يكون الشىء مثل الخالد، لكن يجب أن يطبق تبادل أفكار سابق على مملكة العقل، مما يقتضى الافتراض المسبق "طبيعة الإلهية أو الخلود الخاص بالروح. تتبع مقولات أفلاطون وسائل ديالكتية، تعرف على أنها: "فن الاختبار النقدى لحقيقة رأى ما". كان الأفلاطونيون الجدد مهتمين بإعادة قول ما ذكره أفلاطون من نسبية الآراء فى الظروف المعاصرة للمسيحية التى ظهرت على أنها تقلل من قدر ممارسة التفكير ومبادئ السؤال الفلسفى. لتوضيح الرؤية الوثنية نشير إلى الإمبراطور

جوليان "المرتد" الذى يعترض على المسيحيين من حيث "لا يوجد فى فلسفتهم شىء يلى كلمة واحدة وهى: الإيمان!".

فيلو السكندرى

من القرن الأول الميلادى والشكل الأفلاطونى فى الفكر يسير متوازيا مع تطور الفكر المسيحى، مما نتج عنه الكثير من نقاط التماس. ولا نجد فى أى مكان آخر هذه الخاصية أكثر من الإسكندرية، التى جذبت منذ القرن الثالث قبل الميلاد أعظمَ العقول الهلينية إليها. كليمينت السكندرى (١٥٠-٢١٥م)، المفكر المسيحى الملهم الذى رأى التوحد الروحانى العميق بين الفلسفة الأفلاطونية والنصوص المسيحية، وجد فى الإسكندرية المعلم الذى كان بحاجة إليه، بعد سنوات من الترحال.

الثقافة العبرية التى ظهرت باللغة اليونانية كانت لها هى الأخرى أصول سكندرية، لعل المستعمرة اليهودية تكون الثالثة فى التعداد الكلى للسكان. ظهر كتاب الـ(سيبتوياجينت) (الترجمة اليونانية للعهد القديم) فى الإسكندرية، وفى فلسفة فيلو جودياس أو فيلو السكندرى (٢٠ ق.م-٤٥م) نجد الفلسفة الدينية الجديدة، متصلة إلى حد كبير بالأفلاطونية، التى تسبق الاتجاه الخاص بالأفكار الأفلاطونية الجديدة.

كان فيلو شخصًا غامضًا، فكر فى توحيد الحكمة الخفية للنصوص العبرية، بشكل خاص: التوراة، مع المفاهيم اليونانية الفلسفية. أطلق عليه كليمينت السكندرى ببساطة فيلو الفيثاغورسى. كان عضوا فى عائلة يهودية ثرية، وأخوه كان يتولى منصباً دينيا فى الإسكندرية، وقد قدم هدية من الذهب والفضة لأعتاب معبد أورشليم. وكانت أكبر مآثر فيلو العامة هى رئاسته لوفد تم إرساله لمقابلة لإمبراطور كاليجولا بروما؛ للاحتجاج على فرض عبادة تمثال الإمبراطور.

كانت المدارس الفيثاغورسية والأفلاطونية الجديدة راسخة الأقدام فى الإسكندرية، والكثير من اليهود كانوا واعين بالتوازى بين الفلسفة اليونانية - التى رأوا أنها نسخة قديمة وغير مسجلة من التوراة- ومبادئهم الغامضة نفسها، وقد قام الكثيرون غير فيلو بمحاولة تتبع نقاط التماثل، ويوجد سبب يدعو إلى اعتقاد بأن كهنوت يسوع فى نازيريس كان نتاج هذه الحركة الهلينية. وكتابات فيلو العديدة تعتبر دليلاً قيمًا للمذاهب الوثنية الفلسفية والعامة التى تتضمن الروحانيات، وقد قدم إلينا مبدأ لوجوس

كاملاً مستنداً إلى مصادر يونانية، تستخدم مجازيا فى ترجمة الرمزية فى النصوص العبرية.

الأفلاطونية الجديدة

يمكن أن يقال إن الأفلاطونية الجديدة قد نشأت فى الإسكندرية عبر مدرسة التعلم الذاتى للفيلسوف أمونيوس ساكاس، الذى اشتق اسمه من وظيفته الرسمية لحامل ذرة إلى الميناء. أمونيوس مات سنة ٢٤٢ ميلادية، وقد عمل فى الإسكندرية طوال خمسين عاما، وتلقت مدرسته كلاً من الوثنيين والمسيحيين، وأنتجت بعض المفكرين العظماء من أمثال: بلوتونيوس، ولونجينيوس، وأب الكنيسة أوريجين، الذى ارتبطت كتاباته الغزيرة بالمنطق الرواقى والأفكار الأفلاطونية.

فى التعليم الأمونيوسى، الرب يرى على أنه ثلاثى فى جوهره،الفكر والقوة، والاثنان يمثلان انبثاقات للتوحد الأساسى. هذا التدفق للحياة الروحية يظهر على العديد من المستويات فى الواقع، نازلا فى أسلوب هرمى عبر أشكال أقل ربوبية كلها من مظاهر الواحد. حجم الإنسانية محدود بحيث يعبد هذه الأشكال الربوبية، وهى كل ما يعرفونه. قدم بلاتونيوس رؤية مختلفة عن تعدد الآلهة، عندما ذكر أن: "إن الأمر ليس عن طريق توحيد المقدسات فى الواحد، بل عن طريق إظهار التعدد الذى يريناً فيه الرب نفسه هو ما يناسب الذين يعرفون قوة الرب".

كان من اعتقاد فيثاغورس أن ليس كل شىء يجب أن يقال للجميع، وأن تعاليم أمونيوس تتضمن عنصراً غامضاً خفيا واضحاً من حقيقة أن بلوتينوس، و هيرينيوس، وأوريجين كان يقال عنهم أنهم قد التزموا الصمت فيما يخص الكشف عن هذا الفرع من المدرسة. قام بلوتينوس بكسر هذه القاعدة بعد أن كسرها كل من أوريجين وهيرينيوس؛ حيث وجدوا أنفسهم غير قادرين على الصمت ؛ وذلك بسبب أن عصر تدريس الفلسفة كان فى قمة ازدهاره ولم يكن من الممكن بحال الصمت عن الجانب التجريبى من الروحانيات، لكن هذا الجانب كان يجلب كثيراً من المشاكل؛ ولهذا السبب كان هناك اتفاق منذ البداية على الصمت. ويظل هذا العنصر فى نطاق التدريس الأفلاطونى الجديد من هذا الوقت وما بعده، وينحو نحو أن يكون أكثر انتشارا

كانقسـام بين المسيحية والوثنية. ولا يوجد إنكار للجنوسيس، ولا يوجد سبيل إلى الوصول إلى الجنوسيس عن طريق الفكر الإنسـانى وحده. الفكر المعزول ينتـج أفكارًا أو إيمانًا، وهى نتاج الفشل فى ذاكرة المقدسات.

أعظم الأفلاطونيين الجدد كان بلوتينوس، الذى ولد فى ليكوبوليس بمصر حوالى ٢٠٥ ميلادية. لا نعرف عن أسرته أو خلفيته أى شىء، بسبب أن بلوتينوس نفسه رفض التحدث عن هذه الأشياء على أساس أن هذه الاستضافة المؤقتة لروحه فى فترة سابقة لا تستحق الكتابة. وفى نهاية العقد الثانى من حياته ذهب إلى الإسكندرية لدراسة الفلسفة، لكنه لم يرض عن مدرسيه حتى أوصاه أحد أصدقائه بالذهاب لأمونيوس. واستقر مع أمونيوس لإحدى عشرة سنة، حتى فى سن التاسعة والثلاثين أرغمته رغبته فى دراسة النظم الهندية والفارسية الغامضة على الانضمام إلى حملة الإمبراطور جورديان ضد الفرس. تم اغتيال جورديان فى فبراير ٢٤٤ ميلادية، وبعدها هرب بلوتينوس إلى أنتيوش، ومنها إلى روما.

وفى روما أسس مدرسته. ولم يعوزه المال أبدا، وتمتع بدعم بعض أصدقائه من ذوى النفوذ، منهم الإمبراطور جالينوس وزوجته سالونينا. والتزم بالتدريس حتى بدأ تحت ضغط من تلامذته: بورفيرى وإميليوس التوسكانى فى كتابة مبادئه فى شكل موضوعات منفصلة تناقش فى الحلقات الدراسية بمدرسته. سجل بورفيرى أنه لم يحتجْ أبدا إلى قراءة أعماله أو مراجعتها، وأن خط يده كان رائعا. وقبل موته فى ٢٧٠ ميلادية ترك لبورفيرى مهمة مراجعة كتاباته، وظهرت نتيجة ذلك بعد ٢٨ سنة فى شكل كتاب (the Enneads) . وعن هذا العمل كتب بورفيرى قائلا: "لدى ٥٤ رسالة أمامى، وقسمتها إلى ست مجموعات كل منها من تسع رسائل، ويسعدنى الاتحاد السعيد بين الرقمين ستة وتسعة".

ومفهوم بلوتينوس عن الحقيقة له أسباب هيراركية، من الوحدة المطلقة للسبب الأول إلى تعدد العالم الظاهرى. كل مجال من الوجود يلى السابق عليه هو أثر أو تعبير عن المجال السابق عليه، وعن طريق حركة التبادل للمخرجات والمدخلات. هذا ومجال الفكر، العقل يسبق الواحد. الروح تسبق الفكر، وفى ذاتها مبعث الوجود الظاهرى، أو المادة. بسبب أن الروح تظهر من المقدس فهى خالدة، وعن طريق تأمل المبادئ التى تنبع منها نجدها تحمل فى داخلها خلاصها ذاته.

ويخبرنا بلوتينوس أن مداره الخارجي هو واعتراف بالدنو، وأنه لا يوجد شيء يعد نفسه أقل شرفا من الشيء الذى يعجب به الشيء الأول ويكون فكرة عن طبيعة القوة أو الرب.

ونرى هنا أساس الاختلاف مع المسيحيين، الذين انتقدهم بورفيرى فيما بعد فى كتابه " ضد المسيحيين". الفكرة الأكثر تعلقا بالأفلاطونية الجديدة كانت أنه بينما كان المسيح يوجه البشر لتأمل طبيعة الرب الأعلى، كان أتباعه يسيئون التعامل مع قيمة المنطق، ويوجهون البشر لعبادة يسوع نفسه بدلا من الرب. وجهة النظر المسيحية أن الإيمان يكفى للوصول إلى الخلاص، تبدو للأفلاطونيين الجدد على أنها تقليل من شأن التطور الروحى، لأن مجال الفكر– كما يرونه – يمكن أن يجاوزه فقط استخدام الفكر.

عن طريق وضع الواحد أو الخير فيما وراء الفكر والوجود، توصل بلوتينوس إلى تقدم راديكالى على السابقين عليه من الأفلاطونيين الجدد. مع نهاية القرن الثانى الميلادى ظهر المفهوم ليدرك على أنه تمييز بين الخالق والكون (بُعد مشتق منه)، بينما ظل متماثلا مع الفكر والوجود فى منظور ذاتى تأملى. عن طريق هذا التعريف يتضح العقل/الوجود المقدس، وتوجد هذه التركيبة على قمة الهيراركية، ولا يتم التوصل إليها إلا عن طريق ممارسة التفكير وحده.

الواحد عند بلوتينوس، بالتضاد، يقع فيما وراء الإدراك والوعى الذاتى، فهو لانهائى، وبلا حدود، وليس له طبيعة مميزة، وليس ملازماً للكل فقط، لكنه هو الكل، مع نتيجة أن كل مخلوق يمكنه أن يتحد مع الواحد طبقا لمصادر نوعه الخاصة. الطريق إلى الفكر هو الطريق المناسب للإنسان. وعن الكون كتب بلوتينوس:

...كل هذا فى داخلى يتجه نحو الخير، وكل منه، بالنسبة إلى قياس قدره، يتحقق. وعلى هذا الخير تعتمد كل السماوات، مع كل روحى والأرباب الذين يعيشون فى كل جزء منى، وكل شيء يعيش وينمو، وكل ما قد يوصف داخلى بأنه متبلد.

تلا بلوتينوس فى الإشراف على المدرسة تلميذه بورفيرى، الذى ولد فى تاير، عاصمة فونيسيا، سنة ٢٣٣ ميلادية. فى بداية العقد الثانى من عمره ذهب بورفيرى إلى أثينا ليدرس مع الخطيب والفيلسوف لونجينوس، الذى كان تلميذاً لأمونيوس فى الإسكندرية. بالنسبة إلى لونجينوس يدين بورفيرى بالاسم الذى نعرفه به. اسمه الأصلى كان مالشوس، أو ميليش (الملك)، وقد اقترح عليه لونجينوس اسم بورفيرى– معناه أرجوانى– إشارة إلى كل من اسمه وأصله من مدينة تاير.

أفكار الأفلاطونيين الجدد كانت متضاربة كثيرا مع لونجينوس، الذى فضل أن يقتصر على المبادئ الأفلاطونية المباشرة. ويصفه أونابيوس على أنه "مكتبة حية ومتحف سائر على قدمين"، بالرغم من أن بلوتينوس يعتبر نفسه عالم فقه لغة أكثر منه فيلسوفا، وفى أثناء مرافقته للونجينوس فقط كان بورفيرى مهتما بالأساس بالنقد الأدبى والأداء الخطابى. وفى أثينا نشر عمله الأول: "الأسئلة الهوميرية" . كان بورفيرى متناغما لفترة قصيرة مع تركيبة الفلسفة والغموض، لكنه فى سن الثلاثين ذهب إلى روما لينضم إلى بلوتينوس. وقد عرف عنه أنه قد أنتج على الأقل ٧٥ عملا، وقد ضاع ودمر منها الكثير. عمله "ضد المسيحيين" كان مهتما بالأساس بنقد البشارة وكتاب دانيال، وأشار إلى أن الأخير محض افتراء، وأن الأحداث المشار إليها فيه، التى يستخدمها المسيحيون لتبرير أفكارهم، كانت قد وقعت قبل وقت كتابة الكتاب. ومن الموضوعات التى تتضمنها كتبه التى بقيت هى حياة كل من فيثاغورس وبلوتينوس، وأعمال عن التناغم، والنباتية، وعن وسائل الاقتراب من مجال العقل. تعليقاته عن "كهف الحوريات" يظهر أن الكهف الغريب المشار إليه من جانب هومير فى الأوديسة هو فى الواقع قصة رمزية تجسد العودة إلى الروح.

توفى بورفيرى سنة ٣٠٥ ميلادية، وتلاه فى خط الأفلاطونيين الجدد تلميذه: إيامبليشوس الكلشيسى من سوريا (٢٦٠-٣٣٠ م)، وهو كاتب غزير الإنتاج، أشار إليه جوليان ورفع من قدره قائلا: "كان فى وقت قديم لكنه لا يقارن بأفلاطون" . معظم أعمال إيامبيليشوس ضاعت أو حفظت منها أجزاء فقط، لكن كتابه "حياة فيثاغورس" هو ما نجا منها، مع أعمال أخرى تتضمن "تحذير للفلسفة" وهو تقديم لأعمال أفلاطون وفيه يحتال ليجذب الطلبة لدراسة الفلسفة، وهو بعيد عن المسيحية.

فى فترة وجود ايامبليشوس كانت أيام تمكين الفكر، التى كانت معظمة فى الإسكندرية قد ولت، حيث فى الأيام الأولى، كان المفكرون المسيحيون من أمثال كليمينت السكندرى وأوريجين يمكنهم أن يحاولوا تركيب الغموض، والفلسفة، والمسيحية بأسلوب مفتوح وحر، ونجد فى فترة إيامبليشوس حركة نحو الازدواج الذى أخذ فى التزايد. العالم المادى شرير بالمقارنة بالخير الروحانى، وبينما لم يبتعد إيامبليشوس أبدا عن عقيدة الأفلاطونية الجديدة الفلسفية، فإن الرؤية الخاصة بالمدرسة قد ضاقت كثيرا.

آخر الأفلاطونيين الجدد العظماء كان يمثل المدرسة الأكثر غموضا فيهم. جاء بروكلوس بعد زانسوس الليسى، بالرغم من أن الذى قام بتأريخ سيرته - ماينوس السامرى - قد أخبرنا بأنه ولد فى القسطنطينية فى سنة ٤١٠ ميلادية ومات سنة ٤٨٥ . كان بروكلوس يرى على أنه التابع الأصيل لأفلاطون. كان حائزا على منصب "التابع"، وكان عالم رياضيات، وعالم فلك، وشاعر. تم إرساله طفلا لدراسة القانون والخطابة فى الإسكندرية، ليتبع خطى أبيه الأستاذ، لكنه ترك القانون من أجل الفلسفة وصار تلميذ أوليمبيودوروس. وعندما انتقل إلى أثينا كان مازال لم يتعد سن العشرين ليكمل دراسته، وبعدها تلا سيرانيوس رئيساً للأكاديمية الأفلاطونية، التى كانت وقتها تعتمد كثيرا على اللاهوت. هذه التعاليم، التى كانت ترى على أنها وثنية، أصابت بروكلوس ببعض المشكلات مع السلطات المسيحية، من ثم انسحب ليقضى عاما فى آسيا الصغرى. ومع عودته كان أكثر حذرا فى تدريس أسرار المبادئ الأفلاطونية وذلك لتلامذته المخلصين فقط.

بينما هو فى آسيا الصغرى، التزم بروكلوس بدراسة "الوحى الكلدانى"، وهو عمل قريب من الأورفية، وكتب تعليقًا عليها، ويقال إنه بذلك قد كان على دراية (بالألغاز) التى ألفتها، ابنة معلمه العجوز بلوتاروس، التى تلقاها عن نيستوريوس. كتب بروكلوس أعمالاً عن المصادفة فى مبادئ أورفيوس وفيثاغورس وأفلاطون، وحاول التوحيد بين الأسلوب المنطقى لأرسطو مع غموض الأفلاطونية الجديدة. وقام بتضخيم فرضية بلوتينوس، وهى أن التسامى إلى الإلهى ليس مجرد مسألة عقلية رشيدة، حيث إن كل خلق من المونادا تشارك فيها، سواء مصاحبة بالعقلانية أم لا.

تضمنت أعمال بروكلوس الباقية حتى الآن تعليقات على أعمال أفلاطون، تتضمن (timaeus)، الذى أكمله فى سن الثامنة والعشرين. وكتابه "المؤسسة اللاهوتية" يدمج فيه بين الأفلاطونية الجديدة وتعديلاته الخاصة. بجانب الكتابات فى الفلك والرياضيات، كتب تعليقًا على كتاب بطلميوس (Tetrabiblus)، وتعليقًا على كتاب إقليدس (العناصر) وشروحاً لتأثير كسوف الشمس، وكتب سبع ترانيم للعديد من الآلهة. وبروكلوس واضح فى مسألة الانبثاق، وقد وضع مبادئه فى شكل ثلاثيات على شاكلة الروحانيات. الشر لا ينبع مع الإله، ولا يشتق من مجال المادة. الخير له سبب واحد خالد، وهو المونادا. أسباب الشر، على النقيض، متنوعة وغير محددة، وليس لها وجود أصيل بل وجود مشتق، وتمثل بعض العوز للخير. ويمكن أن نقول إنه يرى الشر ينبثق من الخوف.

كان بروكلوس واحدا من آخر من تولوا رئاسة الأكاديمية الأفلاطونية. حيث تم حظر تدريس الفلسفة الوثنية من جانب جوستينيان سنة ٥٢٩ ميلادية، على أثر الخلاف بين مؤيدى الفلسفة والكنيسة. بينما الأفلاطونية الجديدة لم تقترب أبدا من توفير بديل شعبى للمسيحية، فإنها قد وفرت معارضة دائمة للديانة الجديدة، مع تزايد طموح السلطات والكنيسة، وتراجع اهتمامهم بدراسة الغوامض فى مبادئهم الخاصة. بذلك لدينا المصير المأسوى للأفلاطونية الجديدة المسماة هيباشيا، ابنة سيون، وهى فيلسوفة وعالمة رياضيات تم تمزيقها إلى قطع على أيدى الجموع المسيحية فى الإسكندرية، تحت تأثير الأسقف المتعطش للقوة: سيريل، حيث امتعض من تأثيرها وتعاليمها.

بالرغم من أن المدارس قد تم منعها، فقد نجا جزء من آدابهم، وعادت لتظهر فى أوروبا على فترات عديدة من عصر النهضة، مصاحبة فى الكثير من الأحيان بالمديح. وتم إنتاج ترجمة لكتاب (Enneads) لبلوتينوس على يد مارسيليو فيسينو فى فلورنسا سنة ١٤٩٢، بالرغم من أن المعاصر لفيسينو: بيكاديلا ميراندولا (١٤٦٣-١٤٩٤) تم إجباره على الاعتذار رسميا للكنيسة سنة ١٤٨٧ لمحاولته تأكيد المسيحية عن طريق الحكمة العبرانية. مصدر المادة الخاصة بكتاب "الاستنتاجات" الذى كتبه الأخير يتضمن نصوصاً أفلاطونية جديدة، والترانيم الأورفية، والوحى الكلدانى، وكذلك اللوجوس المصرى الهلينى الذى يدرس تحت اسم (Corpus Hermeticum) والكابالا اليهودية.

الكابالا

بينما صار الـ (Corpus Hermeticum) أساس دراسة الكيمياء القديمة فى العصور الوسطى وما بعدها، فقد وفر الكابالا إطاراً لتنظيم الكثير من الأشياء: الكواكب السيارة، والسماويات، والعناصر، وغيرها. وكان رأى بيكو أن المنظور السحرى من الغوامض يجب أن يصاحب على الدوام بالكابالا وأن يصيرا الاثنان معا على درجة كبيرة من القوة والأمان.

وتعرف الكابالا باسم (شجرة الحياة)، وقد وصفت بأنها "العظيم الذى يضم روح الإنسان والكون". وبهذا الشكل تم كتابته للمرة الأولى فى القرن الثالث عشر الميلادى، بالرغم من الحكمة المخفية فى الكتابات اليهودية القديمة. تم امتصاص مصطلحات جديدة من جانب البابليين والفرس واليونانيين فى أثناء نفى اليهود فى بابل فى القرن

السادس قبل الميلاد، بالرغم من أنه من المرجح أن أنصبة التعليم للمصدر الأصلى للغوامض كان من الزرادشتية. ومع اعتباره رسمًا هلينيا، كان شجرة الحياة يعبر عن شكله المنطوق بحيث التزم فيلو واليهود فى عصره بالحكمة المخفية فيه. بذلك، الشكل الذى تأخذه اليوم يمكن أن نعزيه إلى مروره عبر مدرسة الإسكندرية.

الكابالا نجحت فى البقاء سليمة لسببين: الأول، باعتبارها نصا عبريا غامضا لم يتعرض للتعديل المسيحى، الثانى، ظل سيرة متناقلة شفهيا حتى القرن الثالث عشر الميلادى. وقبلها بقرنين من الزمان على الأقل كانت هناك مدارس للكابالا قد أنشئت فى أوروبا. فى القرن الثالث عشر جاءت تغييرات على التدريس نتيجة للصراع بين الدين والفلسفة فى العالم العربى. ويوجد مدرسة فى جيرونا بإسبانيا ترى أن الكابالا قد يخدم بوصفه وسيطًا للاسترضاء، والوصول لهذا اقتضى نظام أفلاطونى جديد مستند إلى المبادئ السرية لإسحاق الأعمى، وهو كابالى (تلمودى) من المدرسة الفرنسية. ونتاج هذه التعديلات كان (كتاب زوهار)، الذى كتبه موسى الليونى. وصار الأكثر مبيعا وانتشر ليؤثر على الكثير من الأوروبيين من غير اليهود.

شجرة الحياة يعتبر عملاً متميزًا، بسيط لكنه ملىء بالتعقيد. ويتكون من عشر نتائج، أو حالات للوجود، تنزل من المصدر إلى مستوى الوجود الظاهرى عن طريق تركيبة ثلاثية. كل انبثاق يواجد فى أربعة عوالم، أو حالات للوعى- مثالية، وخلاقة، مكونة، ونشطة - ومنها يظهر عادة أن هناك أربعة أساليب لرؤية الدين: الغامض، والفلسفى، والمجازى، والحرفى. والاثنا والعشرون مسارًا بينها هى رحلات تجريبية، وهى بدورها على أربعة أنواع.

الكشف عن الكابالا (التلمود) يعتمد كثيرا على المستويات الغامضة للأبجدية واللغة العبرية، لكن العالمى هو أنها تخدم كمفتاح لفك أى نظام دينى. حيث إن الانبثاقات موزعة على أسماء الرب والملائكة، لتعادل كل حالة من حالات الوجود، بحيث يرى اللوجوس الشمسى على أنه الانبثاق المركزى، مثله مثل الشمس. المصدر يبقى لينبثق من السُتُر الثلاث للوجود السالب، مثل الغوامض الأورفية يقال إنها مشتقة من ظلامات ثلاث غير معلومة. الكابالا يمكن أن يكون معروفا عنه، ومعروفا فى ذاته: حيث إنه يمكن أن يكون موضوعًا للبحث العقلانى على أساس من الجنوسيس. البحث عن المعرفة أساس محرك للكابالا، الذى من خلال فهمه نصل إلى الحكمة: مساهمة أفلاطون فى فهم اللاهوت.

فلسفة أوروبا الروحانية

بقاء الفلسفة الروحانية فى أوروبا استتبعه قناتين للانتشار. وهو ما مثلته الكابالا والكوربوس هيرميتيكوس فى أثناء فترة عصر النهضة (الرينيسانس)، لكن منذ القرن التاسع الميلادى تأثرت أعمال الكتاب المسيحيين بالأفلاطونيين الجدد لدرجة كبيرة، حيث أثرت تلك المدرسة الفلسفية على الروحانيات فى العصور الوسطى.

ديونيسيوس الاريوباجيتى، وهو اسم مستعار تم تبنيه تشريفا للمتحول للقديس بولس (الفصول ٣٤:١٧)، كان واحدا من عدد من السوريين الذين يدرسون فى أثينا مع نهاية القرن الخامس الميلادى، وتابعاً لبروكلوس. عمل ديونيسيوس يعتمد على كل من العادات الأفلاطونية والآباء السكندريين والكابادوسيين، ليكشف عن تأثير كل من بروكلوس وبلوتينوس فى الأساس الروحانى للأفلاطونية الجديدة. الباقى من أعماله يتضمن كتاب "اللاهوت الروحانى" على خمسة أجزاء، و "الأسماء الإلهية"، لتكشف عن ألقاب ومفاهيم منسوبة إلى الرب، وكتاب الهيراركية السماوية، الذى يتعامل مع فئات الملك المذكورة فى العهد القديم والقديس بولس. الكثير من الكتاب المسيحيين تأثروا بالأفلاطونية الجديدة، منهم سانت أوجسطين، لكن ديونيسيوس كان أول من حاول تقديم وصف دقيق للوعى الروحانى وانتشاره إلى الذروة حيث الرب.

النصوص اليونانية لديونيسيوس كانت قد تمت ترجمتها إلى اللاتينية فى فترة وصلت إلى سنة ٨٦٢ ميلادية على يد جون سكوتوس أريوجينا (٨١٠-٨٧٧ م)، وهو دارس أيرلندى يعيش فى بلاط تشارلز الأصلع ملك فرنسا. لذلك كانت توفر من القرن التاسع إلى السابع عشر، إلهاماً وتشجيعاً للتأمل عبر أوروبا الغربية، التى وجدت فيها تفسيراً لتجاربهم الأكثر تساميا. تأثير ديونيسيوس يظهر بصفة خاصة فى القرن الرابع عشر، فى إنجلترا، فى أعمال مثل "سحابة الجهل"، فى الغالب من جانب المؤلف المجهول نفسه، ترجمة إنجليزية لكتاب "اللاهوت الروحانى" بينما فى أوروبا يوجد تأثيره على الآخرين فى أعمال لتوما الإكوينى، وجون روزبروك، وميستر إيكهارت.

خط وارثى الكابالا والكوربوس هرميتيكوس تم تسجيله بوضوح من فترة العصور الوسطى وما بعدها. الأدب الهيرمى بصفة خاصة يدين لجهود القرن الحادى عشر من جانب الدارس البيزنطى مايكل سيلاس، الذى فى مواجهة النقد من جانب الكنيسة الأرثوذكسية جمع وصنف المواد المكتوبة، مع "الوحى الكلدانى" وأعمال أفلاطون والأفلاطونيين الجدد: إنجاز قام فيما بعد بشحن عصر النهضة بالطاقة.

يوجد سبب يدفعنا إلى افتراض أن تنظيم الفرسان التمبلاريين (١١١٨-١٣١٤) كانوا على معرفة بالكابالا ، وهى حقيقة دفعنا إليها بعض الأبعاد غير الرسمية فى الفرقة ، مثل تبجيل الإله الأب فى منزلة تعلو يسوع المسيح. اسم المعبود المزعوم "بافوميت" الذى كان التمبلاريون متهمين بعبادته، وقد ظهر أنه مشتق من الكلمة العربية "أبو فيهيمات"، بمعنى أبو الحكمة، أو "رب الفهم"، وكل من المصطلحين بينما هو مشتق من كلمة صوفية روحانية، يعتبر عنوانا لـ"سوبرينال سيفيروس" على شجرة الحياة. استخدم الفيلسوف القطالونى رومان لول المعاصر لفرقة الفرسان التمبلاريين (١٢٣٢-١٣١٦) طرائق كابالية فى افتراضه لنظام يعرف باسم (Ars Raymundi) ، مشتق من الفئات العنصرية لأرسطو، وهذه المبادئ محملة بصفة عامة فى المسيحية واليهودية والإسلام، وقد تستخدم للتوفيق بين الثلاثة بصورة علمية وفلسفية وروحية .

ظهور الكابالا فى العالم المسيحى أسرع منه سقوط بيزنطة سنة ١٤٠٣، مع انتشار كمية كبيرة من النصوص المكتوبة فى أوروبا، منها الأعمال الهومبرية، والأفلاطونية التى شرحها سيليس فى القرن الحادى عشر الميلادى. كثير من هذه المواد، وعبر ترجمتها على يد مارسيليو فيسينو -الذى كان موظفًا من جانب كوسيمو دى ميدتشى للقيام بمهمة الترجمة- شكلت أساس الأفلاطونية الجديدة الفلورنسية، التى قدم إليها بيكو الكابا. كان رأى بيكو أن الاسم المقدس للرب، يصير اسم يسوع (إشعيا) مع إضافة حرف واحد وهو الـ(شين)، بذلك يثبت الاسم الحق للمسيح، مما يوفر للكابالا المسيحية وضعًا مميزًا منفصلاً عن الكابا اليهودية. الكابالا الهوميرية الأفلاطونية الجديدة بذلك صارت قابلة للتطبيق على أنها فلسفة دينية .

فى سنة ١٤٩٢ دفع طرد اليهود من إسبانيا إلى عملية من الانتشار الواسع فى فينسيا، قام الأب الفرانسسكانى "فرانسسكو جورجى" (١٤٦٦-١٥٤٠)، الذى كان قادراً على قراءة النصوص العبرانية مقارنة بالفلورنسيين، بتعليم اللاهوت الكابالى الذى كان مسيحيا تماماً، لكنه كان مستنداً إلى مبادئ كونية كبيرة وصغيرة، ورأى جورجى الكل سابقًا على الواحد عن طريق الوسط الرباعى فى الحساب، والهندسة، والتناغم، والموسيقى، وفكر فى دمج هذه العناصر فى المعمار وكذلك عن طريق الكلمات المكتوبة.

وعن طريق الإصلاح صارت تعاليم الكابالية الهوميرية راسخة لدى الفلاسفة الإيطاليين. وفكر الفيلسوف الألمانى جوناس روكلين (١٤٥٥-١٥٢٢) فى تسكين الخوف فى الأفلاطونية الجديدة عن طريق الإشارة إلى القوى العجيبة فى اللغة العبرية، وعن طريق تركيز الكابالا على القوى المقدسة، والملائكة الأسماء المقدسة للرب. عمله: "الفن

الكابالى" (١٥١٧)، الذى وضعه على شكل محادثة بين ثلاثة رجال من توجهات مختلفة، يعتبر العمل الأول الذى يضعه مفكر غير يهودى عن الكابالا. وقد قام المبشر الإنجيلى كورنيلياس أجريبا (١٤٨٦-١٥٣٥) بإرساء التعاليم الهوميرية الكابالية على أنها الفلسفة السرية التى لها نطاق كامل من المراسلات، متحدة مع خلاصته "الفلسفة السرية" مع سحر فيسينو، مع كابالا بيكو، مثله مثل بيكو رأى أجريبا الكابالا على أنها الوسيلة الآمنة للدراسة، وركز على قوى الجراماتون الرباعى.

خيط التعاليم الأفلاطونية الجديدة مر عبر العصور الوسطى حتى القرن السابع عشر، مع إعادة اكتشاف لها في القرن الثامن عشر فى أعمال ويليام لو الأفلاطونى، وترجمات وتعليقات توماس تايلور. فى نهاية القرن السادس عشر سافر الدومنيكى جيوردانو برونو، الذى كان شديد التأثير بأجريبا وكتاب لول، إلى أوروبا مبشراً بالفلسفة الهومرية الكابالية. ووصل إلى إنجلترا فى ١٥٨٣، وهناك، وعبر عدة أعوام، نشر فلسفته بين السادة الإنجليز والمفكرين فى مجالس مثل "عشاء الأربعاء" الذى كان يقام فى بيت الشاعر فولك جريفيل. وقد أهدى أعماله الكبرى عن الأخلاق - "spaccio" و "Heroici Furore" - إلى السيد فيليب سيدنى.

كل من جون دى (١٥٢٧-١٦٠٨) و إدموند سبنسر (١٥٥٢-١٥٩٩) كانا مسيحيين كاباليين وتابعين لمدرسة الأفلاطونية الجديدة، كل منهما له اتجاه محدد فيما يخص الفيثاغورسية الجديدة فى الأرقام والموسيقى. كان سبنسر متزمتاً، وفارس الصليب الأحمر، فى عمله: "الملكة العادلة" يمكن أن نفهمه على أنه تجسيد للبروتستانتية السرية. وقد قبلت هذه الفكرة وظهرت مرة أخرى فى عمله "المانفيستو الروسيكورى" فى ١٥١٤-١٥١٥، وتم نشر العملان بالألمانية. تلا المانيفستو فى سنة ١٦١٦ عمل خيالى وهو: "زفاف المسيحى روزينكريتز"، الذى كتبه جوان فالنتين أندريا، وهو إعلان لوثرى عن التعاطف مع الكالفينية، هذا العمل مثله مثل المانيفستو متأثر بجورجى وأجريبا، وبموناس هيروغليفيا لجون دى، الذى ركز على الكابالا والكيمياء والرياضيات.

كان دى نشطًا فى الألمانية سنة ١٥٨٦، كعميل لإليزابيث الأولى ملكة إنجلترا، فى العثور على الجمعية البروتستانتية السرية "رابطة الدفاع"، والمعروفة باسم: "ميليشيا الإنجيليين الفيدرالية" التى تعمل ضد الرابطة الكاثوليكية الفرنسية، التى كان غرضها تفادى ارتقاء الملك البروتستانتى النافارى. استخدم كتاب المانفيستو كمصدر رئيسى من خلاله استطاع المنتخب البروتستانتى وزوجته الإنجليزية إليزابيث ستيوارت، أن يصيرا فيما بعد الملك والملكة الشتويين لبوهيميا، وجذبا درجة من الاهتمام عندما

ظهرا. من هذه البدايات يمكن أن نتتبع تاريخ الفصائل الماسونية والروسيكورية وفروعها المتعددة.

وبذلك يمكننا أن نوضح خط التتابع الذى صارت عليه المدرسة الفيثاغورسية والمدارس الروحانية فى الألفية الأولى قبل الميلاد، عبر الفلسفة الأفلاطونية الجديدة والتعاليم الهوميرية الكابالية إلى الوقت الحاضر. المبدأ الأعلى للفلسفة الأفلاطونية كان إعمال العقل للوصول إلى الجنوسيس، وبذلك الوصول إلى الحكمة، والتعتيم على "الفنون السرية" تظهر إذا ما حملنا المفهوم فى عقولنا. الأبعاد العديدة للفلسفة الروحانية معقدة، لكن يمكن رؤيتها على أنها متعلقة بنفس البحث عن الحقيقة، الذى كان متوفراً بصدق وحرارة فى المدارس الأثينية السكندرية.

الفصل التاسع

الإسكندرية وتراثها فى القرون الوسطى
الكتاب والراهب والوردة

جى. أو. وارد

مقدمة

فـى هذه الورقة البحثية أختبر أثر اختفاء مكتبة الإسكندرية ومحتوياتها على أوروبا القرون الوسطى، فى سياق اختفاء البنية المعرفية القديمة بشكل عام. ما تبقى من هذه البنية فى العصر الكارولينى، وما كان ليبقى لو كانت مكتبة الإسكندرية قد نجت؟

هناك مكتبة واحدة فقط من القرون الوسطى تقترب من مكتبة الإسكندرية فى الطبيعة والمجال، وهى التى تشكل موضوع رواية "اسم الوردة" لإمبرتو إيكو، بالرغم من أن هذه المكتبة لم توجد فى الواقع، ووصفها مختلف بالأساس عن أى من مكتبات القرون الوسطى التى نعرف معلومات عنها.

إنه لمن المثير للاهتمام والتأمل مجال ووظيفة مكتبة من القرون الوسطى، والسؤال هو: لماذا ابتكر إيكو مكتبة من القرون الوسطى، كانت قريبة الشبه بمكتبة الإسكندرية فى الحجم والمجال، أكثر من كونها مثل المكتبات الحقيقية فى الفترة التى زعم وجودها فيها؟

دعنى أبدأ بتقديم صرح شهير، ربما يخال للمرء أن يكون هو الدير الذى وقعت فيه أحداث عام ١٣٢٧ المثيرة التى دونها إمبرتو إيكو فى رواية "اسم الوردة"، وفى

الواقع نكون مخطئين؛ لأن الدير محل النظر المبنى فى سنة ٩٩٨ ميلادية هو دير سيجرا دى سان ميشيل، أو سام إمبروجيو. فى زمن هيو دى مونت بوسير (الأوفيرجينى)، عند وادى دورا ريباريا، ومدينة كوندوف -٢٣ ميلا غرب تورين - فى بيدمونت، لم يستخدم الدير لتصوير موضوع "اسم الوردة" (الذى تستطيع رؤيته فى تتر نهاية الفيلم)! على أية حال، فكل من دير سيجرا دى سان ميشيل ودير إيكو هما فى المنطقة الجبلية الواسعة نفسها من هذا الجزء من أوروبا. مثل هذا الموقع نوع غريب من الأماكن لبناء مكتبة كبيرة مهمة (يصف إيكو المكتبة فى الدير الخاص به كأعظم مكتبة فى العالم المسيحى). وعلى أية حال فمن هنا أبدأ هذه الورقة.

١-مكتبة إيكو الرهبانية سنة ١٣٢٧ ميلادية

إمبرتو إيكو هو عالم شهير متخصص فى تاريخ القرون الوسطى وثقافتها، وروايته "اسم الوردة" ربما كانت العمل الأفضل عن الموضوع الذى تتناوله وحقبته التاريخية، وهى تأريخ للحظة الأزمة الكبرى فى الشئون الأوروبية (زمن الرواية هو زمن التوترات الكبرى فى سنة ١٣٢٧م). كل أبعاد الرواية صيغت بعناية فائقة لتتوافق مع العالم الدينى والعقلى والاجتماعى الخاص بالعصور الوسطى، كما عرفنا من العديد من الوثائق. لماذا إذن لم تصور المكتبة فى الرواية بالدقة نفسها التى تصفها الوثائق؟ وباعتبارى باحثا واقعيا فقد اهتممت بمكتبة إيكو؛ لأننى مهتم بمحتويات مكتبات القرون الوسطى؛ وأيضا ربما لأن العديد من المكتبات التى أعرفها يبدو أنها تعود بطريقة أو بأخرى للعصور الوسطى، أو ربما أيضا بسبب اشتقاق سمات مهمة من تصميمها فى المكتبات المعاصرة (مثل الإضاءة الخافتة)!

لا يجب أن يفاجئنا وجود مكتبة مهمة فى دير إيكو، وأنا أود أن أنعش ذاكرتك قليلا، كما يقول بنو عالم الخطابة الوبسالى- فى الرواية-"نحن الرهبان نعيش من أجل الكتب"، وسرعان ما يتضح أن هناك شكًّا فى مكتبة إيكو. بداية، المكتبة من المفترض أنها كانت فى الطابق العلوى من بناء الـ aedificium الذى كان "فى القرون الماضية..قلعة حصينة" فوق حجرة النساخ وأسفلها المطبخ. فى اللغة اللاتينية القديمة، التعبير Aedificium كلمة محايدة؛ وهى تعنى "البناء". فى الحقيقة فى الأصل الإيطالى من "اسم الوردة"

الكلمة المستخدمة هي -edificio الكلمة الإيطالية لـ"بناء". ثانيا، يتم الوصول إلى المكتبة عندما تغلق الأبواب سريا من خلال المطبخ في الطابق الأرضي من مبنى الـ aedificium عن طريق ممر سري من الـ assarium الذي يتم الولوج إليه من المذبح الثالث على اليسار من جناح الكنيسة الخاص. عندما وجد أبطالنا الرئيسيون للرواية أنفسهم (إديسو وويليام الباسكرفيلي) في المكتبة، عرفنا عند هذه النقطة أنهم في نوع ما من البناء بدون تحديد، وهو كبير بما فيه الكفاية للطواف والتجول عبره طوال ساعة، كبير ومعقد بما فيه الكفاية حتى إنك قد تتوه بداخله. بعد الكثير من التجوال وحساب الموقف، استنبط أبطال الرواية أن المكان هو في الواقع مكتبة وهي تحتوي على ٥٦ غرفة، أربع منها سباعية الزوايا، كل واحدة بثلاثة جدران فارغة تحتوي على صناديق كتب ضخمة. ٥٢ منها رباعية الأضلاع، مربعة بعض الشيء، أو على شكل شبه منحرف. كل واحدة بجدارين مصمتين مغطيين بصناديق كتب. ٢٤ من الحجرات واقعة في الطوابي الأربع الضخمة من مبنى الـ aedificium.

ما عدد الكتب التي احتوتها المكتبة؟ دعنا نفترض أن الغرف سباعية الزوايا حملت ثلاثة جدران لكل غرفة، بواقع حوالي ٨٠٠ كتاب لكل جدار (بثمانية أرفف، ١٠٠ كتاب لكل رف)، ومع ما نعرفه من خلال قراءتنا للرواية نجد أن عدد كتب كل غرفة هو ٢٤٠٠، و ٩٦٠٠ للغرف سباعية الزوايا، ولنقل ٩٠٠٠ على سبيل التقريب. دعنا أيضا نفترض أن الغرف المربعة تحتوي على ١٦٠٠ كتاب لكل غرفة (بكل جدارين ٨٠٠ كتاب)، حوالي ١٥٠٠ على سبيل التقريب، وهذا يعني أن المجموع الكلي للغرف السباعية والمربعة هو حوالي ٨٧٠٠٠ كتاب.

يمكنك قراءة رواية "اسم الوردة" لتتأكد من صحة هذا الرقم، لكني سوف أخفضه إلى ٨٥٠٠٠ وأفترض أنه عدد الكتب التي أرادنا إيكو أن نسلم بوجودها في مكتبة ديره الخاص. ويبدو أنه لملاءمة سمعة المكتبة العظيمة، وتاريخها العريق، ومحتوياتها السرية التي لا تقدر بعدد. لكن كيف يمكن تكديس هذا العدد الهائل من الكتب في مكتبة من مكتبات العصور الوسطى؟

كل مكتبات العصور الوسطى تقريبا اندثرت بسبب الإهمال، والحرائق، والحروب، وفي روما وحدها كان هناك حوالي ٢٦ أو ٢٨ مكتبة عامة. ومكتبة الإسكندرية الشهيرة التي أسسها بطلميوس الأول سنة ٣٠٠ ق.م، طبقا لتقديرات متعددة ومتباينة، ما بين ٧٠٠٠ و ٧٠٠٠٠٠ مخطوطة، وفي الواقع المخطوطة ليست في حجم الكتاب، فهي

أقرب لفصل من كتاب منها لكتاب كامل، ربما بقدر خطاب ألقاه شيشرون، أما المخطوطات التى كانت فى القرنين الثانى و الرابع الميلاديين فيقدر حجمها بما بين ٢٠ و ٣٠ ضعف حجم المخطوطات القديمة. لم تكن كتب القرون الوسطى التى نحققها وننقحها اليوم قادمة من مكتبات أوروبية فى العصور الوسطى، فما كان متداول فى تلك العصور لم يتعد كتيبات لا يتعدى حجمها لفافة أو اثنتين. وذلك لأغراض الحفظ والتخزين، فالكتيبات كانت فى حجم الكتب التى نتداولها اليوم. لم يخبرنا إيكو عن وضع الكتب فى مكتبته، ولكننا نشك بأنها مالت لأن تكون كتبًا من مجلد واحد وليست كتبًا من عدة مجلدات. هذا يعنى أننا على الأرجح يجب أن نزيد من الرقم ٨٥٠٠٠ كتاب قليلا ليعادل عدد مجموعة المخطوطات الأصغر فى الحجم (الكتيبات).

دعنا نفترض أن مكتبة إيكو قد احتوت على ما يقرب من ما بين ١٠٠٠٠٠ و ٢٠٠٠٠٠ مجلد من المخطوطات فى حجم الكتب. هذا جعلها فى الواقع صغيرة إذا ما قورنت بما نعرفه عن المكتبة العظيمة للإسكندرية. ربما فى حجم مكتبة برجامون التى تأسست من قبل يمينيس الثانى، حوالى سنة ١٦٠ ق.م، التى يبدو أنها كانت تحتوى على حوالى ٢٠٠٠٠٠ مخطوطة من عهد أنطونيو وكليوباترا. أو ربما أقل من حجم المكتبة الإمبراطورية فى القسطنطينية. التى تأسست سنة ٣٤٥ ميلادية، وكانت تحتوى فيما يبدو على ما يقرب من ١٢٠٠٠٠ كتاب، تحت حكم باسيليسكوس (٤٧٥-٤٧٦م) قبل أن تلتهمها النيران.

وبعد ما قلناه، فهل نحن مخطئون إذا ما تناولنا مكتبة إيكو بجدية؟ فهو على أية حال الرجل الذى كان ينصح الراغبين فى الاستجمام فى أثناء الإجازات بقراءة المجموعة الكاملة لميجن المسماة: "باترولوجى"، وهى حوالى ٢١٨ مجلداً من اللغة اللاتينية، وكل مجلد منها حوالى ٢٠٠٠ عمود، عمودان فى كل صفحة، وكل عمود حوالى ٦٠ سطرا، وهو أيضا المفكر الذى كتب مقالا قصيرا عن الذين جاءوا لمنزله، المكدسة جدرانه جميعها بالكتب من الأرض إلى السقف، وعندما سمع السؤال التقليدى الذى يلقى فى مثل هذه المناسبات: "يا إلهى، هل قرأت كل هذه الكتب؟" كان لديه إجابتان جاهزتان "أجل، قرأتها عدة مرات" أو "هذه الكتب هى التى أقرأها فى عطلة نهاية الأسبوع، أما الباقى فأحتفظ به فى مكتبى للعمل". فى مقالة أخرى كتبت وقت نشر "اسم الوردة" تخيل إيكو مكتبة بها ٣٣٣٥ غرفة، واحدة منها على الأقل بها ٣٣٣٣٥ جداراً، على كل جدار منها ٣٣٣٣٥ رفا، وعلى كل منها على الأقل ٣٣٣٣٥ كتاباً. فهل نأخذ ما يقوله مثل هذا الرجل على محمل الجد عندما يتحدث عن الكتب والمكتبات؟

المشكلة الأولى هى أنه كان هناك ٨٥٠٠٠ كتاب فى مكتبة الرهبان منذ حوالى سنة ١٣٢٧، فهل هى كلها من إبداعات القرون الوسطى، أم جاء العديد منها من العصور القديمة؟ بكل تأكيد يجب أن نتخيل أن الحالة الأولى هى الصحيحة، فعلماء العصور الوسطى مثل بيدى المبجل كتبوا حوالى ٣٠٠ كتاب، وعلماء العصر الحديث يخبروننا بأنه بالرغم من قدم القرن الثانى الميلادى، فلم يصل إلينا إلا القليل من أدب هذه الحقبة فى العصور الوسطى. إذن إذا كانت الحالة هى كما أُخبرنا، وأن كل المكتبات الكبرى فى العصور الوسطى قد اختفت مع القرن السادس، فكيف يمكن أن يكون قد وصلنا أى شىء من القرون الوسطى على الإطلاق؟ طبقا لرينولدز ويلسون، فحوالى سنة ٥٠٠ ميلادية كان معظم الأدب اللاتينى لا يزال موجوداً. هذا لا يمكن أن يكون صحيحا، فالعديد من العوامل تتجاذب، فالتغيير من اللفافة إلى المخطوطة كان يعنى فقدان الكثير من الأبحاث التى لم تكن جديرة بالاهتمام إلى درجة نسخها، خاصة مع تغير الأذواق من الوثنية إلى المسيحية وثقافتها، وبسبب غياب التعليم والتعلم فى الإمبراطورية الرومانية، التى شجعت على الاختصار، والموسوعية، بدلا من وجود مكتبات كبيرة تحتوى على دراسات فردية. يجب أن نتخيل الأمر مثل النقلة النوعية التى حدثت فى زماننا من الكلام المطبوع إلى شبكة الإنترنت، مع الكلام المطبوع مشبه باللفائف، والإنترنت ممثلة بالمخطوطات. حيث إن الأكثر أهمية وحيوية هو الذى يوضع على الإنترنت بينما يظل الباقى أقل أهمية بالنسبة إلى الذوق العام ومتطلبات الحياة على الصورة المطبوعة العادية، بنسبة أكبر من ٩٠٪ لن تصل إلى الإنترنت.

ودائما ما كانت الأذواق تتغير لتتعدى ما كان مطلوباً بالأمس ، حتى فى العصور القديمة. وعندما نقرأ جزءًا من "حوار مع الخطباء" لتاسيتوس يتضح أن هناك العديد من الأحاديث الخطابية الخاصة به وبعهد شيشرون (سيسرو)، وكانت فى مجموعات من اللفائف التى لم تعد تقرأ منذ هذين القرنين، ولدينا فقط ٥٨ من أحاديث شيشرون التى تبلغ ١٠٦، ومدح لبليني. وهذا هو كل شىء. ولم يبق الكثير من المخطوطات الكثيرة حتى عهد أنطونيوس، ثم ما حجم الأدب الرومانى القديم الذى نجهله اليوم؟

فيما يلى قائمة رئيسية: هجاء مينيبين لفيرو، وحواراته، والكتب الاثنا والأربعون للأدب القديم، ومعظم كتب "فى اللغة اللاتينية" خاصته، وكتب ليفى العديدة عن التاريخ الرومانى (ما يسمى بالعقود المفقودة)، ومعظم كتب كورنيليوس نيبوذ، وكل السجلات التأريخية الخاصة به، وكذلك الأمثلة، ومعظم ما كتب تاسيتوس عن التاريخ، وثلاثة عشر من الكتب الـ٣١ لتاريخ أميانوس مارسيلينوس، وتقريبا كل الأدب الرومانى

المبكر. يمكننى أن أستمر فى ذكر الأمثلة لكن اختيار سوتوثيوس المشهور كمثال مقرب، لدينا سيرته الذاتية عن القياصرة وأجزاء من مؤلفيه اللامعين، كما اختفت كتبه أربعة العشر الأخرى، تلك التى اشتملت على عناوين آسرة مثل: "حياة مشاهير العاهرات" و "العيوب الجسدية للجنس البشرى" و "الاحتفالات الرومانية"، و "الألعاب اليونانية". هل هذه العناوين وردت فى مكتبة إيكو؟ ربما نتساءل: هل كانت حتى فى مكتبة الإسكندرية؟

٢-المكتبات القديمة والعصور الوسطى

أعتقد أن الإجابة عن السؤال الأخير هى بالنفى، حيث كانت مكتبة الإسكندرية بصفة أساسية مؤسسة للغة اليونانية على الرغم مما توفر بها من كتب بلغات أخرى، وكلما أمكن تم ترجمتها إلى اليونانية. ومع قيام الأدب اللاتينى أعتقد أن قدرة المكتبة على تعيين مكان ونسخ الأعمال غير اليونانية لابد أنها قد انخفضت. من الصعب التحقق من كم الأدب اللاتينى الذى كان يمتد على رفوفها فى الوقت الذى اختفت فيه. وعلى أية حال فمصيرها لا توجد له علاقة مباشرة ببقاء الأدب اللاتينى، بالرغم من أن ما كان بها من أدب يونانى كان هائلا، وبالتالى كانت الخسائر هائلة هى الأخرى، كمثال، من ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف عمل للباحث ديدوموس (٨٠-١٠ق.م) عن المدرسة السكندرية التى كانت مرفقة بالمكتبة نفسها.

كان لكوارث العصر القديم اللاحق تأثير عام تسبب فى جعل الأدب القديم مجموعات سهلة القياد. ولو كانت قد نجت، كانت مكتباتنا المعاصرة لتظهر منذ زمن بعيد، كما ستفعل فى المستقبل القريب إذا لم تُبِدْ بعض الكوارث المشابهة معظم ما نملك. لم يحوِّل الدمار الذى نزل بالمكتبات القديمة الأدب القديم إلى مجموعات صغيرة وسهلة الانقياد فقط، لكنه حسَّن أيضا من نوعيتها العامة مثلما تبقت فى الأغلب بقايا أدب المدرسة الدينية. بالرغم من ذلك لا يجب أن نفترض أن بقاء أفضل المواد المقروءة كان مسألة سهلة. ففى أثناء انحسار العصور المظلمة، حوالى سنة ٥٥٠إلى٧٥٠ م توقف نسخ الكتب تقريبا، حتى إن الأدب الذى نجا من الكوارث الأثرية كان معرضا لخطر الاندثار التام. الكتب التى كانت محفوظة فى مخطوطات لم تكن تقرأ وتنسخ من قبل الأجيال التى عانت من مستقبل مظلم. وكما يؤكد ويلسون ورينولدز فنحن ندين بشدة للنسْخ

الرهبانى الأولى للكتبة الأيرلنديين والإنجليز الذين مع نهاية الفترة الكارولينية (حوالى ٩٠٠م) حفظوا ما فى مكتباتنا الخاصة المعاصرة من أدب لاتينى كلاسيكى. تعلقت نصوص عديدة بخيط رفيع كاد ينقطع حتى وصل إلينا، ولحسن حظنا وصلت إلينا عبر العديد من القرون. بعض الكتب، مثل موسوعة فيرو لم تصل إلينا، ونصوص قليلة جدا من التى لم تكن متوفرة للكارولينيين وصلت إلينا سالمة، بالأساس عن طريق قطع من ورق البردى وجدت بين الرمال الجافة لمصر. إجمالا، لابد من أن هناك مجموعات صغيرة جدا من أعمال أثرية هى التى تبقت لتلحق بالإنتاج الهائل من الكتابات المسيحية والتوراتية والدينية الأخرى التى شكلت معظم مكتبات القرون الوسطى.

فى الحقيقة يوجد عدد قليل جدا من كتب إيكو التى تبلغ ٨٥٠٠٠ كتاب، من الكتب القديمة أو المنسوخة من كتب قديمة، وذلك برغم الانطباع الذى وصلنا من خلال تجوله فى الطابق الأعلى من المبنى "المكتبة" فى دير إيكو، فهل من المحتمل أن مكتبة إيكو الهائلة قد حافظت على الكتب القديمة مما سمح بوصول عدد كبير من الكتب القديمة إلينا؟ من أجل أن نتأكد من ذلك كان علينا أن نسلم بأن معظم المجموعة كانت قد تشكلت مع آخر القرن الثالث عشر السكولاستى (الخاص بالفلسفة السكولاستية أو اللاهوت السكولاستى الذى بنى على المنطق الأرسطى ومفهومه لما وراء الطبيعة). ومع ذلك لم يكن إيكو هو الذى نقل إلينا هذا الانطباع، حيث إن المكتبة القديمة قد وصفت بأنها مجموعة محافظ عليها من الأدب القديم بالمقام الأول، مؤلفة من كلاسيكيات الماضى. لقد حان الوقت لكى نفحص ما نعرفه عن مكتبات القرون الوسطى.

٣-مكتبات العصور الوسطى

دعنى أثير نقطة عامة فى البداية، كتب القرون الوسطى الضخمة، مثل كتب التوراة كانت مكلفة فى إنتاجها وتقديمها للجمهور. حتى كتاب *القداس*، الذى كان يتطلب حوالى ١٥٦ من جلود أفضل أنواع الماشية، وربما كان إنتاج كتاب التوراة بالكامل أو أى بحث كبير يتطلب ما لا يقل عن ٥٠٠ رقعة جلد. حتى على أقل تقدير تطلبت كتب إيكو الـ ٨٥٠٠٠ من الجلود ما بين ٢ و ٨ مليون رأس ماشية. ولم نأخذ فى الحسبان المكتبات الأخرى حول العالم فى ذلك الحين، فهل هذا احتمال قائم؟

وباختصار، فإن مكتبة إيكو بكل سماتها وخصائصها لا تتفق مع ما نعرفه عن مكتبات القرون الوسطى من مصادر معتمدة. بداية من اسم المبنى الذى يأوى المكتبة، فلا أعرف شيئًا عن مكتبة من القرون الوسطى كانت تقع فى مثل هذه القلعة. عرفت مكتبات القرون الوسطى عادة بـ Ormaria أو risci أو - arcae صناديق، أو خزانات كتب، أو دواليب. وجدت أيضا الكلمة اليونانية bibliotheca لكن تعنى أصلا الشيء نفسه: صناديق الكتب. لم تبلغ المكتبات حتى القرن الثالث عشر أن تكون غرفا يتصفح فيها الناس الكتب. بعض المصادر ترجع ظهور المكتبات كغرف للمطالعة إلى ما بعد العصور الوسطى، قبل هذا العهد كانت المكتبات فى العادة عبارة عن كوات أو صناديق تخزين أو دواليب، ووزعت الكتب على الرهبان لكى تقرأ فى الدير أو غرفة الطعام به.

كانت فى العادة تحفظ فى صناديق نافذة أو جدران أديرة الكنيسة، أو فى غرفة أعلى من غرفة النساخ بالقرب من مذبح الكنيسة نفسها. وفى أغلب الأحيان كانت الكتب تخزن بشكل عشوائى مع سجلات و أشياء ثمينة مختلطة، وحتى الأدوات، وقد وصف رودنى طومسون الموقف بشكل جيد. من المعروف أن الكتب الرهبانية كانت محفوظة فى مواضع مختلفة طبقا لاستعمالها، كما وضعت فى قانون الراهب البنديكيتى، والمعدل بالتقاليد المحلية، وتقدم المعرفة وتطور الممارسات الدينية، حيث صار من غير الممكن أن يعمل دير بدون كتب تساعد على أداء الطقوس الدينية المقدسة، حيث حفظت فى الخزانة أو فى الكنيسة نفسها. وفى غرفة الطعام كانت تحفظ بضعة كتب عن العظات الدينية وتراجم القديسين للقراءة وقت تناول الطعام، وعلى أية حال، مثلت كتب الفكر الدينى وكتب الدراسة المجموعة الأكبر من مكتبات الدير.

وبقرب نهاية القرن الحادى عشر، كان أمين المكتبة هو نفسه قائد جوقة الترتيل فى الكنيسة، المسئول عن الغناء والمنشدين. ولا توجد أية رابطة تذكر فى السجلات لمهمات الطاقم بالعناية بالمكتبة أو الخدمة والصيانة فى القرن الحادى عشر. كل الكتب التى كانت فى حوزة الدير كان يتم إخراجها مرة واحدة فى العام وتوضع على بساط. وكان الرهبان يجلبون معهم الكتب التى كانت معهم طوال العام المنصرم، وكانوا يمنحون من رزمة الكتب الملقاة على البساط كتبًا للعام القادم. وكان التوزيع من مسئولية راهب يدعى الوصى على الكتب، أو حارس الكتب أو رئيس الدير للكتب.

ولدينا بالفعل صورة لمكتبة العصور الوسطى المبكرة، فى مخطوطة توراة القرن الثامن الشهيرة، فهى تظهر كتابات النبى والكاتب إسدرا أو عذرا (الذى أعاد كتابة

الكتاب المقدس بعد نهاية أسره من قبل البابليين)، وخلفه فى الصورة بوضوح نجد دولابًا بباب مزدوج، يحتوى على خمسة أرفف، كل به مجلدان كبيران موضوعان بشكل مستو على جوانبهما، مما يجعل إجمالى ما بالمكتبة عشرة كتب، وافترض إيسيدور الإشبيلى أنه كان عنده مكتبة تتكون من ١٤ دولابًا، وأنها كانت المكتبة الأكبر فى أوروبا فى ذلك الحين، وحتى فى العصور الوسطى المتأخرة، كانت الكتب تحفظ باهتمام على الأرفف المخزنة عليها. وهؤلاء الذين كانوا يرغبون فى القراءة فى أيها كان عليهم أن يجروها من السلسلة المعلقة بها فى الخزانة.

أما المكتبة التى نستطيع أن نرجع إليها من القرن الثالث عشر وهى مكتبة شهيرة ولم توجد فى الواقع فى الوقت نفسه، وهى المكتبة الشهيرة الرهبانية فى ست جال، والتى عرفت من خلال مخطوطة تم نسخها بين سنتى٨٢٠ و ٨٣٠ ميلادية، سجلت فى زاوية نى من الكنيسة الرهبانية الكبيرة نفسها، على الأرضية فوق حجرة النساخ بقرب المذبح. ليس هناك أبراج، لكن فى المنتصف كان هناك مصدر إضاءة جيد كما فى المبنى الخاص بإيكو. تبدو الأبعاد الخارجية للمكتبة بين ٣٠ و ٤٠ متراً، مع الضوء الذى يغطى حوالى ١٠ فى ١٠ أمتار. وهى بهذه الأوصاف لا تعتبر مكانًا يكفى لاحتواء ٥٦ غرفة و ٨٥٠٠٠ كتاب.

أوصاف بدايات القرن السادس عشر لمكتبة دير كلير فاوكس، تشمل واحدة من مؤسستى سيستراسيان الكبرى فى فرنسا، مع ١٧٨٨ مخطوطة، والمكتبة واقعة على سلم حلزونى كبير، أسفلها ١٤ مقصورة (بين أرفف الكتب) للدراسة على طول جانب واحد من الدير. فى المكتبة التى كانت ١٨٩ فى ١٧ متراً، كان هناك ٤٨ مقعدا، لكل مقعد أربعة رفوف أعلاه، بكتب عن كل الموضوعات، وخاصة عن اللاهوت. وفى وصف صادر سنة ١٧٢٣ توجد إشارة إلى أن الكتب كانت مقيدة إلى الأرفف، هذه هى أكبر مكتبات العصور الوسطى التى توصلت إليها فى أثناء بحثى.

مما سبق يتضح أن أعداد الكتب فى رواية إيكو ٨٥٠٠٠، عدد مبالغ فيه للغاية. فى الواقع، لا يجب أن نفكر بالمجموعات المؤلفة من ٢٠٠٠٠ إلى ٦٠٠٠٠ مخطوطة، التى وجدت اليوم فى مستودعات كبرى مثل المكتبة البريطانية فى لندن، أو ستاتيسيلوبيتيك فى ميونخ، أو المكتبة الدولية فى باريس، أو مكتبة الفاتيكان البابوية فى روما. وتعززت هذه المجموعة فى خلال القرون الحديثة عن طريق مكتبات أو مجموعات أقل عددا وتعطى صورة خاطئة كليا لما يجب أن يكون عليه حال أية مكتبة من القرون الوسطى.

لا يجب أن نعتقد أن هناك مجموعات كبيرة كتلك المكتبات الخاصة بالسادة العلماء مثل والتر سكوت، أو جيبون (الذى قيل إن مكتبته كانت تحتوى على ٧٠٠٠٠ مجلد).

فى الواقع إن ما وجدناه فى مصادرنا المعتمدة، وفى الرسائل البحثية المعاصرة هو كما يلى: ربما كانت المكتبات الرهبانية الأولى تحتوى على حوالى ٢٠ كتابا أو نحو ذلك، وفى المكتبات الرهبانية الرئيسية كان هناك حوالى ٥٠٠ مجلد لكل مكتبة كحد أقصى، خلال القرن الثانى عشر. و يبدو أن آر. أو. سوزيرن يعتبر أنه من غير المحتمل وجود مكتبة تحتوى على أكثر من هذا العدد. ويوجد كتاب نشر فى ١٩٩٥ عن الفترة من ١٠٥٠ إلى ١٣٢٥ ميلادية يقول:

من المحتمل أنه فى فترة التمدد الهائل كان هناك ما لا يزيد عن ٣٠٠ إلى ٤٠٠ كتاب من الحجم المتوسط عن كل الموضوعات الأساسية التى يمكن إجراء أبحاث دقيقة وواضحة حولها.

مع نهاية هذه الفترة دفعت مكتبات قليلة بما يزيد عن ١٠٠٠ عنوان، كان بمكتبة السوربون فى باريس سنة ١٣٣٨ وهى أغنى مكتبات العالم المسيحى حوالى ٣٣٨ مجلداً مربوطة بمناضد المطالعة، و ١٧٢٨ معروضة للاستعارة (لكن منها ٣٠٠ كتاب دون على أنه مفقود!) منح التبرع من قبل إمبليونيوس راتينك (١٣٦٣-١٤٣٥م) حوالى ٦٣٧ مخطوطة أعطت لـ"ارفورت" أكبر مخزن للكتب فى ألمانيا الشمالية وقتها. كل من هذه المجموعات يبدو أنها كانت معاصرة وليست قديمة ومغطاة بالغبار.

٤-مكتبة إيكو الرهبانية: متاهة وزقاق أعمى

لماذا إذن تعتبر مكتبة إيكو على خلاف أى من المكتبات التى وجدت فى تلك الحقبة من التاريخ؟ الجواب هو بالطبع لأنها لم تكن مكتبة على الإطلاق، إنها خيال، مجاز للتعبير عن العالم. حيث يشير "إليناردو الجروتافيراتى *العجوز*" فى نقطة ما إلى أن المكتبة كانت فى الواقع متاهة. عندما استجوبه ويليام عما إذا كانت المكتبة متاهة، أجاب: بالتأكيد، وقال بضع كلمات باللاتينية ترجمتها هى: المتاهة تشير إلى هذا العالم، كبير فى مدخله، لكنه أضيق عند الخروج.

إيكو بالطبع لا يخبرنا من أين حصل على هذه الكلمة المأثورة، لكن فى الواقع فهى قد جاءت من نقش على أرضية كنيسة القديس سافينو بياكينزا، والمكتوبة على

متاهة مرسومة، واحدة من ٢٣ متاهة منقوشة على أرضية كنائس القرون الوسطى "بدون أن تتضمن العديد من المتاهات المفتوحة على الهواء والممرات المصنوعة من الحجارة أو المقطوعة فى أيرلندا، وبريطانيا وإسكندنافيا". ويكمل النقش على أرضية كنيسة البياكينزا هذه هى رمزية المدخل الواسع والمخرج الضيق: مسرات هذا العالم جذابة، لكن حالما عرفناها يصعب علينا التعرف على طريق الخلاص. لذلك فأبطالنا فى رواية "اسم الوردة" يجدون أنه من السهل للغاية الدخول إلى المكتبة لكن يصعب الخروج منها.

المتاهات فى أرضيات كنائس القرون الوسطى كانت معروفة باسم "الطريق إلى أورشليم" أو "أورشليم" أو "مدينة الرب" . وهى متسقة فى طابعها، ومن أصل وثنى وصلت الفكرة للمسيحية عن طريق تصميم الورود على نوافذ الكنائس القوطية للقرون الوسطى، التى يشبهها جورج دوبى بـ"المتاهة التى دلت الحب نحو هدفه". نفس المفهوم الخاص بالوردة هو الهدف النهائى للمسيحية والمعرفة المسيحية سوف نجده فى الأدب، بصفة خاصة فى السطور النهائية من اسم الوردة، و "الكوميديا الإلهية" ، وهو عمل كبير من عصر الكاتدرائيات القوطية.

الوردة هى الدائرة المركزية فى المتاهة، التى تعتبر الحمل الموصوف فى "الإيحاء" على أنها مركز أورشليم السماوية. مسيح دانتى يقيم مع الوردة فى مركز الفردوس. "حديقة الوردة" هى واحدة من المسميات المفضلة للكيميائيين والرسامين فى تلك الفترة على حد سواء. وكانت مارى تسمى "الوردة الغامضة" فى دعاء لوريتو.

المتاهات تقع فى أرضيات صحن الكنيسة والكلمة صحن، التى تعنى السفينة، ترمز إلى الرحلة التى أخذتها المسيحية من أجل الوصول إلى مركز الوردة، والحمل، وأورشليم السماوية، والخلاص. وإذا قارنت أيا من الصور الخاصة بالنافذة القوطية المرسوم عليها وردة فى مكتبة إيكو فسوف تجد أن الأخيرة تشابه نافذة الوردة، أكثر مما تماثل أية مكتبة يمكن أن تكون قد عاصرت تلك الفترة.

استخدم إيكو هذه الأفكار. فى نقطة ما كان السؤال لأدسو، كيف أن ويليام تمكن من فهم خطة المكتبة فقط عندما كان بخارجها. عندما كان بداخلها كانت لغزا كبيرا بالنسبة إليه. يتضمن التفسير تناظرا مع الرب والخلق، الرب يستطيع فهم الكون لأنه خالقه وهو خارجه، ونحن الذين بالداخل لا نستطيع فهمه. يقول أدسو إن المكتبة كانت فى وقت ما هى أورشليم السماوية، وعالم سرى بين الحدود فى الأرض المجهولة،

ومثوى للأموات. ويشير ويليام بعدها إلى أن المكتبة قد شيدت بسبب الانسجام السماوى الذى يمكن أن تنسب إليه معان مختلفة ورائعة.

لكن المكتبة فى "اسم الوردة" كان لها معنى شرير إلى حد كبير. فهى رمز لسعى الإنسان الظالم للتحكم فى وفهم ما لا يستطيع أن يفهمه أو يتحكم فيه، بنظرية اصطناعية وغير صحيحة بشكل أساسى. وأحاطها عبثا عدد ضخم من الأبحاث المصاغة بعناية مع نقص فى الخبرة. المكتبة والمكتبيون يناقضون طبيعة الأشياء، فى نخرهم الجشع لاحتكار وزيادة المعرفة، ويحيدون عن الإيمان وطريق الخلاص بسعيهم الحثيث للمعرفة.

الرغبة فى الكتب والمعرفة غير مثمرة كبذرة أونان التى سقطت على الأرض بدون جدوى، بدون قراءة الناس واستعمالهم الإشارات فى الكتب، تكون الكتب نفسها غبية وعديمة النفع. أحد رؤساء الدير السابقين حفظ عن ظهر قلب كل الكتب فى المكتبة، لكنه لم يستطع أن يكتب.. مالاشى الأعمى، فى أول الرواية، قيل إنه قد حمى المكتبة بدون أن يعرف محتوياتها.

بذلك، مع نهاية الرواية، يعترف ويليام بأن حتى الخطة الرشيدة، الحسابات والاستنتاجات التى توصل إليها من أجل الوصول إلى حقيقة الأحداث الغامضة للقصة، كانت وهمية: فقد تعثر فى الحقيقة، لكن ليس بسبب خططه الخاصة واستنتاجاته. التعلم يأتى فى البداية، ويعتمد على وجود الرب، فى الواقع إن الفوضى وغياب الرب هما من تداعيات إرادة الرب الحرة "ربما (كما يقول ويليام) مهمة هؤلاء الذين يحبون البشر أن يجعلوا البشر يضحكون من الحقيقة، وأن يجعلوا الحقيقة مزحة، لأن الحقيقة الوحيدة تكمن فى التعلم أثناء السعى المجنون نحو الحقيقة".

ومن كتاب برنارد المورلاكسى، الكاتب من القرن الثانى عشر، المسمى de con-temptu mundi يخبرنا أدسو، الذى صار كبير السن، بأنه فى النهاية سوف نترك مع الـ nomina nuda الكلمات والأسماء التى نصفها ونتحدث عنها فقط. كل ما بنيناه، وما عرفناه، وكل حقائقنا تهمش من جانب الـ aedificium المحترق ورماده. وفى هذه الكلمة ترقد ضحكة إيكو الأخيرة، لأنه طبقا لهيو من سان فيكتور "الكتابات الإلهية مثل بناء، فى أساسه يمكن أن نرى المعانى الحرفية، وفى طوابقه الأعلى نجد المعانى الروحانية ". لعل المعنى الروحانى الأخير للكلمة aedificium فى رواية إيكو هى التماس بكل المعانى، خواء المعرفة النظامية. ويا له من استنتاج محير من رواية عن مكتبة!

المراجع

Awad, Mohamed. 'A Note on the Alleged Destruction of the Alexandria Library by the Arabs', *Journal of World History*, 8 (1964), 213–214.

Balsamo, Luigi. *Bibliography: History of a Tradition*, trans. William A. Pettas (Berkeley: B.M.Rosenthal, 1990).

Baratom, Marc et Christian Jacob. *Le Pouvoir des Bibliothèques* (Paris: Albin Michel, 1996).

Barnes, J. 'Medicine, Experience and Logic', in J. Barnes, J. Brunschwig and M. Schofield (eds), *Science and Speculation* (Cambridge: Cambridge University Press, 1982), 24–68.

Bell, Harold Idris. 'Hellenic Culture in Egypt', *Journal of Egyptian Archaeology*, 8 (1922), 139–155.

Bell, Harold Idris. *Juden und Griechen im römischen Alexandreia* (Leipzig: Hinrichs, 1927).

Bell, Harold Idris. *Egypt from Alexander the Great to the Arab Conquest: A Study in the Diffusion and Decay of Hellenism*. Gregynog Lectures for 1946 (Oxford: Clarendon Press, 1948).

Bell, Harold Idris. 'The Custody of Records in Roman Egypt', *Indian Archives*, 4 (1950), 116–125.

Bell, Harold Idris. *Cults and Creeds in Graeco-Roman Egypt* (Liverpool: Liverpool University Press, 1957).

Bennett, Helen T. 'Deconstructing the Monastery in Umberto Eco's *The Name of the Rose*', in Andrew MacLeish (ed.), *The Medieval Monastery* (Medieval Studies at Minnesota No. 2) (St.Cloud, Minnesota: North Star, 1988), 77–82.

Bevan, Edwyn. *The House of Ptolemy: A History of Egypt under the Ptolemaic Dynasty* (London: 1927; reprint Chicago: Argonaut, 1968).

Bing, Peter. *The Well-read Muse: Present and Past in Callimachus and the Hellenistic Poets* (Göttingen: Vandenhoeck & Ruprecht, 1988).

Bischoff, Bernhard. *Latin Palaeography: Antiquity and the Middle Ages*, trans. D.O. Cróinín and D. Ganz (Cambridge: Cambridge University Press, 1990).

Black, Jeremy A. and W. J. Tait. 'Archives and Libraries in the Ancient Near East', in Jack M. Sasson (ed.), *Civilizations of the Ancient Near East* (New York: Scribners, 1995), *IV*, 2197–2209.

Blanck, Horst. *Das Buch in der Antike* (München: C.H.Beck, 1991).

Blum, Rudolf. *Kallimachos: The Alexandrian Library and the Origins of Bibliography*, trans. Hans H. Wellisch (Madison: University of Wisconsin Press, 1991).

Boitani, Piero. 'Chaucer's Labyrinth: Fourteenth-century Literature and Language', *The Chaucer Review*, 17 (1983), 197–220.

Borges, Jorge Luis. 'The Library of Babel', in *Labyrinths: Selected Stories and Other Writings* (London: Penguin, 1962, 1964, 1970), 78–86.

Boyle, L. (ed.) *Medieval Latin Palaeography: A Bibliographical Introduction*, (Toronto: University of Toronto Press, 1984), 203–232.

Breccia, Evaristo. *Alexandria ad Aegyptum: A Guide to the Ancient and Modern Town, and to its Graeco-Roman Museum* (Bergamo: Instituto Italiano d'Arti Grafichi, 1922).

Brink, C.O. 'Callimachus and Aristotle', *Classical Quarterly*, 40 (1946), 11–26.

Brinkman, John A. 'Mesopotamian Chronology of the Historical Period', in A. Leo Oppenheim, *Ancient Mesopotamia: Portrait of a Dead Civilization* (Chicago: University of Chicago Press, 2nd ed. 1977), 335–348.

Broek, R. van den. *Studies in Gnosticism and Alexandrian Christianity* (Leiden: E.J. Brill, 1996).

Brown, A.L. 'The Dramatic Synopses attributed to Aristophanes of Byzantium', *Classical Quarterly*, 37 (2), (1987), 427–421.

Bulloch, A., E.S. Gruen, A.A. Long, and A. Stewart (eds)., *Images and Ideologies: Self-Definition in the Hellenistic World* (Berkeley: University of California Press, 1993).

Bushnell, George H. 'The Alexandrian Library', *Antiquity*, 2 (1928), 196–204.

Butler, Alfred J. *The Arab Conquest of Egypt* (Oxford: Clarendon Press, 1902; 2nd ed. by P.M. Fraser, 1978).

Calmer, C. 'Antike Bibliotheken', *Opuscula Archaeologica*, 3 (1944), 145–193.

Canfora, Luciano. *The Vanished Library: A Wonder of the Ancient World*, trans. Martin Ryle (Berkeley: University of California, 1989; London: Hutchinson Radius, 1989, Vintage, 1991).

Canfora, Luciano. *Il viaggio di Aristea* (Roma: Laterza, 1996).

Carratelli, Giovanni Pugliese (ed.) *Dall' Eremo al Cenobio: La civilità monastica in Italia dalle origini all'età di Dante* [Antica Madre: collana di studi sull'Italia antica] (Milan: Schweiwiller, 1987).

Cary, Max. *A History of the Greek World from 323 to 146 BC* (New York: Barnes and Noble, 1963).

Case, Thomas. 'Aristotle', *Encyclopedia Britannica*, Eleventh Edition (1910), vol. II, 501.
Clagett, M. *Greek Science in Antiquity* (New York: Books for Library Press, rev. ed. 1963).
Clark, John Willis. *The Care of Books: An Essay on the Development of Libraries and their Fittings, from the Earliest Times to the End of the Eighteenth Century* (Cambridge: Cambridge University Press, 1901, 2nd ed. 1902, reprinted Variorum, 1975).
Coletti, Theresa. *Naming the Rose: Eco, Medieval Signs, and Modern Theory* (Ithaca: Cornell University Press, 1988).
Csapo, E. and W.J. Slater. *The Context of Ancient Drama* (Ann Arbor: University of Michigan Press, 1995).
Dalley, Stephanie. *Myths from Mesopotamia* (Oxford: Oxford University Press, 1989).
Dantzig, Tobias. *The Bequest of the Greeks* (London: Allen and Unwin, 1955).
Daszewski, W. 'The Origins of Hellenistic Hypogea in Alexandria', in M. Minas and J. Zeidler (eds), *Aspekte spätägyptischer Kultur: Festschrift für E. Winter* in *Aegyptiaca Treverensia*, 7 (1994), 57–68.
Davis, Harold T. *Alexandria, the Golden City* (Evanston, Ill.: Principia Press, 1957).
Domeniconi, Antonio. *La Biblioteca Malatestiana* (Quaderni della Biblioteca Malatestiana I, Cesena: Bibliotheca Comunale Malatestiana, 1982).
Duby, Georges. *The Age of the Cathedrals: Art and Society, 980–1420,* tr. E. Levieux and B.Thompson (London: Croom Helm, 1981).
Duby, Georges. *History of Medieval Art, 980–1440* (1966–67 in three vols; one vol ed, London: Weidenfeld and Nicolson, 1986).
Durrell, Lawrence. *Justine* (London: Faber and Faber, 1957).
Düring, Ingemar. *Aristoteles* (Heidelberg: Winter, 1966).
Dzielska, Maria. *Hypatia of Alexandria* (Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1995).
Eco, Umberto. 'De biblioteca', in *Sette Anni di Desiderio* (Milan: Bompiani, 1983).
Eco, Umberto. *The Name of the Rose,* trans. William Weaver (London: Secker and Warburg, 1984).
Eco, Umberto. *Postscript to the 'Name of the Rose'*, trans. W. Weaver (New York: Harcourt, 1993).
Eco, Umberto. *How to Travel with a Salmon and other Essays* (London: Minerva, 1995).
Edelstein, L. 'The Interpretation of Ancient Science', in O. and L. Temkin (eds). *Ancient Medicine* (Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1987), 431.
Eisler, Robert. *Orpheus the Fisher. Comparative Studies in Orphic and early Christian Cult Symbolism* (London: J.M. Watkins, 1921).

Ellis, Walter. *Ptolemy of Egypt* (New York: Routledge, 1994).

Empereur, J.Y. *A Short Guide to the Graeco-Roman Museum* (Alexandria: Sarapis Publishing, 1995).

Encyclopedia Britannica. 'Libraries', Ninth Edition (1882), vol. XIV, 509–51.

Englund, Robert K. and Jean-Pierre Grégoire. *The Proto-Cuneiform Texts from Jemdet Nasr I: Copies, Transliterations and Glossary* (Berlin: Materialien zur frühen Schriftzeugnissen des Vorderen Orients, 1991).

Englund, Robert K. and Hans J. Nissen. *Die Lexikalischen Listen der archaischen Texte aus Uruk* (Berlin: Ausgrabungen der Deutschen Forschungsgemeinschaft in Uruk-Warka 13, 1993).

Englund, Robert K. *Archaic Administrative Texts from Uruk: The Early Campaigns* (Berlin: Ausgrabungen der Deutschen Forschungsgemeinschaft in Uruk-Warka 15, 1994).

Evans, Joan (ed.) *The Flowering of the Middle Ages* (London: Thames and Hudson, 1966).

Fales, F.M. and J.N. Postgate. *Imperial Administrative Records, Pt. I. Palace and Temple Administration* (Helsinki: Helsinki University, 1992).

Falkenstein, Adam. *Archaische Texte aus Uruk* (Leipzig: Ausgrabungen der Deutschen Forschungsgemeinschaft in Uruk-Warka 2, 1936).

Festugière, A.-J. *Antioche Païenne et chrétienne, Libanius, Chrysostome et les moines de Syrie*, Bibliothèque des Écoles Françaises de Athènes et de Rome, vol. 194 (Paris: Éditions E. de Boccard, 1959).

Fideler, David. *Porphyry's Letter to his Wife Marcella,* trans. Alice Zimmern (London: George Redway, 1896; Grand Rapids: Phanes Press, 1986).

Fideler, David (ed.) *Alexandria, Journal of the Western Cosmological Traditions* (Grand Rapids: Phanes Press, 1991).

Fideler, David. *Jesus Christ, Sun of God* (Wheaton, Illinois: Quest Books/ Theosophical Publishing House, 1993).

Forster, Edward Morgan. *Alexandria: a History and a Guide* (Garden City: Doubleday, 1961; Gloucester, Mass: P. Smith, 1968; Michael Haag, 1982).

Fortune, Dion. *The Mystical Qabalah* (London: 1935; York Beach: Samuel Weiser, 1993).

Foster, Benjamin R. *Before the Muses: An Anthology of Akkadian Literature* (Bethesda: CDL Press, 1993), 2 vols.

Fraser, P.M. *Ptolemaic Alexandria* (Oxford: Oxford University Press, 1972), 3 vols.

Frede, Michael. *Galen: Three Treatises on the Nature of Science* (Indianapolis: 1985).

Frede, Michael. *Essays in Ancient Philosophy* (Oxford: Oxford University Press, 1987).

Frede, Michael. 'The Empiricist attitude towards reason and theory', in R.J.Hankinson (ed.) *Method, Medicine and Metaphysics: Studies in the*

Philosophy of Ancient Science (Edmonton: Academic Printing and Publishing, 1988), 79–97.

Gardthausen, V.E. 'Die Alexandrinishe Bibliothek, ihr Vorbild, Katalog und Betrieb', *Zeitschrift des Deutschen Vereins fur Buchwesen und Schriftum*, 5 (1922), 73–104.

Geary, Patrick. *Phantoms of Remembrance: Memory and Oblivion at the End of the First Millenium* (Princeton: Princeton University Press, 1994).

Gellrich, J.M. *The Idea of the Book in the Middle Ages: Language Theory, Mythology and Fiction* (Ithaca: Cornell University Press, 1985).

Giangrande, Giuseppe. *Scripta minora Alexandrina* (Amsterdam: Hakkert, 1980–1985).

Goodenough, E.R. *An Introduction to Philo Judaeus* (New Haven: Yale University Press, 1940).

Grant, Sir Alexander. *Ethics of Aristotle* (London: Parker, 1857).

Green, J. R. *Theatre in Ancient Greek Society* (London: Routledge, 1994).

Green, J.R. 'From Taranto to Alexandria', in S.J. Bourke and J.-P. Descœudres (eds). *Trade, Contact and the Movement of Peoples in the Eastern Mediterranean. Studies in Honour of J.Basil Hennessy*, in *Mediterranean Archaeology*, Suppl. 3 (Sydney, 1995), 271–274.

Green, J.R. 'Excavations at the Theatre, Nea Paphos, Cyprus, 1995–1996', in C. Petrie and S. Bolton (eds). *In the Field. Archaeology at the University of Sydney*, Sydney University Archaeological Methods Series No. 4, (1997), 35–46.

Green, J.R. 'Excavations at the Theatre, Nea Paphos, 1995–6', *Mediterranean Archaeology*, 9–10 (1996–97), 239–242.

Green, Margaret W. 'The Construction and the Implementation of the Cuneiform Writing System', *Visible Language*, 15 (4), (1981), 345–372.

Griffin, Jasper. 'The Library of our Dreams', *The American Scholar*, 65 (1), (Winter 1996), 59–70.

Guthrie, W.K.C. *A History of Greek Philosophy* (Cambridge: Cambridge Universitiy Press, 1981), vol. VI, 'Aristotle, an Encounter'.

Haag, M. *Alexandria* (Cairo: The American University in Cairo Press, 1993).

Haller, Arndt. *Die Heiligtümer des Gottes Assur und der Sin-Samas-Tempel in Assur* (Berlin: Wissenschaftliche Veröffentlichungen der Deutschen-Orient Gesellschaft 67, 1955).

Hamel, Christopher de. *Scribes and Illuminators* (London: British Museum Press, 1992).

Hamilton, J.R. *Alexander the Great* (London: Hutchinson University Library, 1973).

Haskins, Charles H. *The Renaissance of the Twelfth Century* (New York: Meridian, 1957).

Hessel, Alfred. *A History of Libraries*, trans. Reuben Peiss (New Brunswick, NJ: Scarecrow Press, 1955).

Hodges, R. and J. Mitchell. *San Vincenzo Volturno: The Archaeology, Art and Territory of an early Medieval Monastery* (Osney Mead: B.A.R., 1985).

Hogart, R.C. *The Hymns of Orpheus* (Grand Rapids: Phanes Press, 1993).

Holmes, Anne. 'The Alexandrian Library', *Libri*, 30 (1980), 285–294.

Hugh of St.Victor. *The Didascalicon of Hugh of St. Victor: a Medieval Guide to the Arts,* trans. J.Taylor (New York: Columbia University Press, 1961).

Hussein, M.A. *Origins of the Book: Egypt's Contribution to the Development of the Book from Papyrus to Codex* (Greenwich, Conn.: New York Graphic Society, 1972).

Hutchinson, G.O. *Hellenistic Poetry* (Oxford: Clarendon Press, 1988).

Iamblichus. *The Exhortation to Philosophy,* trans. Thomas M. Johnson (Grand Rapids: Phanes Press, 1988).

Irwin, Raymond. *The English Library* (London: George Allen & Unwin, 1966).

Jaeger, Werner. *Aristotle—Fundamentals of the History of his Development* (Oxford: Oxford University Press, 2nd ed. 1962).

James, John. 'The Mystery of the Great Labyrinth, Chartres Cathedral', *Studies in Comparative Religion,* 11 (2), (1977), 92–115.

Johnson, Elmer D. and Michael H. Harris. *History of Libraries in the Western World* (Metuchen, NJ: Scarcrow Press, 1970, 3rd ed. 1976).

Kamil, Jill. *Upper Egypt: Historical Outline and Descriptive Guide to the Ancient Site* (New York: Longman, 1983).

Kenny, Antony. *The Aristotelian Ethics* (Oxford: Oxford University Press, 1978).

Kenyon, F.G. *Books and Readers in Ancient Greece and Rome.* (Oxford: Clarendon Press, 1932).

Knowles, D. (ed. and trans.) *The Monastic Constitutions of Lanfranc* (London: Nelson, 1951).

Koster, W.J.W. (ed.) *Scholia in Aristophanem* (Groningen: Bouma, 1975)

Landels, John G. *Engineering in the Ancient World* (London: Chatto and Windus, 1978).

Leo, Friedrich. *Die griechische-römische Biographie* (Leipzig. B.G. Teubner, 1901).

Lloyd. G.E.R. 'A Note on Erasistratus of Ceos', *Journal of Hellenic Studies*, 95 (1975), 172–175.

Lloyd, G.E.R. *Science, Folklore and Ideology* (Cambridge: Cambridge University Press, 1982).

Lloyd, G.E.R. *Adversaries and Authorities* (Cambridge: Cambridge University Press, 1996).

Loyn, H.R. 'Libraries', in *The Middle Ages: A Concise Encyclopedia* (London: Thames and Hudson, 1989), 208–09.

McKenzie, Judith. 'Alexandria and the Origins of Baroque Architecture', in *Alexandria and Alexandrianism* (Malibu: J. Paul Getty Museum, 1996), 109–125.

Maehler, H. and V.M. Strocka (eds). *Das Ptolemäische Ägypten: Akten d. internat. Symposions, 27–29 September 1976 in Berlin* (Mainz am Rhine: Von Zabern, 1978).

Marlowe, John. *The Golden Age of Alexandria: From its Foundation by Alexander the Great in 331 BC to its Capture by the Arabs in 642 AD* (London: Gollancz/Trinity Press, 1971).

Marshall, D.N. *History of Libraries, Ancient and Mediaeval* (New Delhi: Oxford and IBH Publishing, 1983).

Martin, H. J. *The History and Power of Writing*, trans. Lydia G. Cochrane (1988, Chicago: University of Chicago Press, 1994).

Matthews, W.H. *Mazes and Labyrinths: Their History and Development* (New York: Dover, 1970).

Milne, J. Grafton. *A History of Egypt under Roman Rule* (London: Metheun, 1924).

Minio-Paluello, L. 'Artistotle', *Dictionary of Scientific Biography* (New York: Charles Scribner's Sons, 1970), vol. 1, 250–281.

Mostafa, El-Abbadi. *Life and Fate of the Ancient Library of Alexandria* (Paris: UNESCO, 2nd ed. 1992).

Mutahhari, Murtazá. *The Burning of Libraries in Iran and Alexandria*, trans. N.P. Nazareno, M. Nekoodast (Tehran: Islamic Propagation Organization, 1983).

Nissen, Hans J. 'The Development of Writing and of Glyptic Art', in Uwe Finkbeiner and Wolfgang Röllig (eds). *Gamdat Nasr: Period or Regional Style?* (Wiesbaden: Tübinger Atlas des Vorderen Orients, Beiheft B 62, 1986), 317–319.

Nissen, Hans J. *The Early History of the Ancient Near East, 9000–2000 BC* (Chicago: University of Chicago Press, 1988).

Norman, A.F. 'The Book Trade in Fourth-Century Antioch', *Journal of Hellenic Studies*, 80 (1960), 122–126.

Norman, A. F. 'The Library of Libanius', *Rheinisches Museum für Philologie*, 107 (1964), 158–175.

Norman, A. F. 'Libanius: The Teacher in an Age of Violence', in G. Fatouros and T. Krischer (eds) *Libanios* (Darmstadt: Wissenschafliche Buchgessellschaft, 1983).

Nutton, V. 'Museums and Medical Schools in Antiquity', *History of Education*, 4 (1), (1975), 3–15.

O'Gorman, James F. *The Architecture of the Monastic Library in Italy, 1300–1600* (New York: New York University Press, 1972).

O'Hara, James J. *True Names: Vergil and the Alexandrian Tradition of Etymological Wordplay* (Ann Arbor: University of Michigan Press, 1996)

O'Leary, De Lacy. *How Greek Science Passed to the Arabs* (London: Routledge, 1949).

Ollé, James G. *Library History: An Examination Guidebook* (London: C. Bingley, 1979).

Oppenheim, Leo. 'The Position of the Intellectual in Mesopotamian Society', *Daedalus*, 104 (2), (1975), 37–46.

Oppenheim, Leo. *Ancient Mesopotamia: Portrait of a Dead Civilization* (Chicago: University of Chicago Press, 2nd ed. 1977).

Parpola, Simo. 'Assyrian Library Records', *Journal of Near Eastern Studies*, 42 (1983), 1–29.

Parsons, Edward Alexander. *The Alexandrian Library: Glory of the Hellenic World: Its Rise, Antiquities and Destruction* (London: Cleaver-Hume Press/New York/Amsterdam: Elsevier Press, 1952).

Peremans, W. 'Bibliothek en Bibliothecarissen te Alexandrië', in Etienne van Cauwenbergh. *Schinium Lovaniense: Historische Opstellen*, Recueil de Travaux d'Histoire et de la Philologie, ser. 4, fasc. 24 (Louvain: Université de Louvain, 1961), 79–88.

Pfeiffer, Rudolf (ed.) *Callimachus* (Oxford: Clarendon Press, 1949–1953).

Pfeiffer, Rudolf. *History of Classical Scholarship from the Beginnings to the End of the Hellenistic Age* (Oxford: Clarendon Press, 1968).

Pinner, H.L. *The World of Books in Classical Antiquity* (Leiden: A.W. Sijthoff, 1948).

Potts, Daniel T. *Mesopotamian Civilization: The Material Foundations* (London and Ithaca: Athlone and Cornell University Press, 1997).

Putnam, G.H. *Books and their Makers during the Middle Ages: A Study of the Conditions of the Production and Distribution of Literature from the Fall of the Roman Empire to the Close of the Seventeenth Century* (1896–97; New York: Hilary House, 1962), 2 vols.

Reynolds, L.D. and N.G. Wilson, *Scribes and Scholars: A Guide to the Transmission of Greek and Latin Literature* (Oxford: Clarendon Press, 1974, 3rd ed. 1991).

Riché, Pierre. *Daily Life in the World of Charlemagne*, trans. Jo Ann McNamara (1973; Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 1978).

Rist, John M. *The Mind of Aristotle: A Study of Philosophical Growth* (Toronto: Phoenix, 1989), Supplementary Series XXV.

Rogers, A. Robert and Kathryn McChesney, with the assistance of F. Laverne Carroll *et al. The Library in Society* (Littleton, Colo: Libraries Unlimited, 1984).

Rose, Valentin. *Aristotle's Fragmenta* (Stuttgart: Teubner, 1966).

Ross, Sir David. *Aristotle* (London: Methuen, 1966).

Rowe, Alan. *Discovery of the Famous Temple and Enclosure of Serapis at Alexandria* (Caïre: Institut français d'archéologie orientale, 1946).

Rowe, Alan. 'A Contribution to the Archaeology of the Western Desert, IV: The Great Serapeum of Alexandria', *Bulletin of the John Rylands Library*, 39 (1956–57), 485–520.

Runciman, Steven. *The Medieval Manichee* (Cambridge: Cambridge University Press, 1969).

Schwinge, Ernst-Richard. *Künstlichkeit von Kunst: zur Geschichtlichkeit der Alexandrinischen Poesie* (München: C. Beck, 1986).

Sievers, G. R. *Das Leben des Libanius* (Berlin: Weidmannsche Buchhandlung, 1868).

Skiadas, Aristoxenos D. (ed.) *Kallimachos* (Darmstadt: Wissenschaftliche Buchgesellschaft, 1975).

Smith, W.D. *The Hippocratic Tradition* (Ithaca: Cornell University Press, 1979).

Sorjabi, R. (ed.) *Aristotle Transformed* (London: Duckworth, 1990).

Southern, R.W. *Scolastic Humanism and the Unification of Europe* (Oxford: Blackwell, 1995).

Staquet, J. 'César à Alexandrie: l'Incendie de la Bibliothèque', *Nova et Vetera*, 12 (1928), 157–177.

Steen, G.L. (ed.) *Alexandria, the Site and the History* (New York: New York University Press, 1993).

Strecker, K. 'Medieval Libraries', in *Introduction to Medieval Latin*, trans. R.B. Palmer (Berlin: Weidmannsche, 1965), 121–126.

Thompson, J.W. *Ancient Libraries* (Berkeley: University of California Press, 1940).

Thomson, R.M. 'The Library of Bury St. Edmunds Abbey in the Eleventh and Twelfth Centuries', *Speculum*, 47 (4), (1972), 617–45.

Thomson, R.M. 'Books and Learning at Gloucester Abbey in the Twelfth and Thirteenth Centuries', in J.P. Carley and C.G.C. Tite (eds). *Books and Collectors, 1200–1700: Essays presented to Andrew Watson* (London: The British Library, 1997).

Turner, E.G. 'l'Érudition Alexandrine et les Papyrus', *Chronique d'Égypte*, 37 (1962), 135–152.

Vallance, J.T. *The Lost Theory of Asclepiades of Bithynia* (Oxford: Clarendon Press, 1990).

Veenhof, Klaas R. (ed.) *Cuneiform Archives and Libraries* (Leiden: Uitgaven van het Nederlands Historisch-Archaeologisch Instituut te Istanbul, 57, 1986).

Vleeschauwer, H.J. de. 'Afterword: The Musieon', in H. Curtis Wright. *The Oral Antecedents of Greek Librarianship* (Provo, Utah: Brigham Young University Press, 1977).

Von Arnim, H. *Die Drei Aristotelischen Ethiken* (Wien: Akademie der Wissenschaften zu Wien, Phil-Hist. Klasse Sitzurgberichte 202, Abh 2, 1924).

von dem Knesebec, Harald Wolter. 'Zur Ausstattung und Funktion des Hauptsaales der Bibliothek von Pergamon', *Boreas: Münstersche*

Beiträge zur Archäologie, 18 (1995), 45–56.
von Staden, H. *Herophilus: The Art of Medicine in Early Alexandria* (Cambridge: Cambridge University Press, 1989).
von Wyss, Wilhelm. *Die Bibliotheken des Altertums und ihre Aufgabe* (Zurich: Beer, 1923).
von Wyss, Wilhelm. 'The Libraries of Antiquity', *Living Age*, 316 (1923), 217–249.
Walden, J.W.H. *The Universities of Ancient Greece* (London: Routledge, 1912).
Wallis, R.T. *Neoplatonism* (London: Gerald Duckworth, 1972).
Weber, Gregor. *Dichtung und höfische Gesellschaft: die Rezeption von Zeitgeschichte am Hof der ersten drei Ptolemäer* (Stuttgart: F. Steiner, 1993).
Weitzmann, Kurt. *Late Antique and Early Christian Book Illumination* (New York: Braziller, 1977).
Wendel, Carl 'Bibliothek', in Theodor Klauser (ed.). *Reallexikon für Antike und Christentum* (Stuttgart: Anton Hiersemann, 1954), Bd II, 231–274.
Westermann, William Linn. *The Library of Ancient Alexandria*, Lecture given at University of Alexandria Reception Hall (Alexandria: University of Alexandria Press, 1954).
White, Heather. *Studies in Theocritus and other Hellenistic Poets* (Amsterdam: Gieben, 1979).
White, John Williams. *The Scholia on the Aves of Aristophanes* (Boston: Ginn, 1914).
Winter, Bruce W. *Philo and Paul among the Sophists* (Cambridge: Cambridge University Press, 1997).
Witty, F.J. 'The Other *Pinakes* and Reference Works of Callimachus', *Library Quarterly*, 43 (1973), 237–244.
Wormald, F. and C.E. Wright (eds). *The English Library before 1700* (London: Athlone Press, 1958).
Yates, Frances. *Giordano Bruno and the Hermetic Tradition* (London: Routledge and Kegan Paul, 1971).
Yates, Frances. *The Rosicrucian Enlightenment* (London: Routledge and Kegan Paul, 1972).
Yates, Frances. *Occult Philosophy in the Elizabethan Age* (London: Routledge and Kegan Paul, 1979).
Zeller, Edward. *Outlines of Greek Philosophy* (London: Longmans, 1885).

المحرر فى سطور

روى ماكلويد : أستاذ التاريخ فى جامعة سيدنى، درس بجامعة هارفارد، وفى الـ LSE وفى جامعة كامبردج قام بكتابة الكثير عن تاريخ العلوم الأوروبى، والتكنولوجيا، والطب. قام بالتدريس فى إنجلترا، وفرنسا، وهولندا، وفى الولايات المتحدة الأمريكية، وهو زميل جمعية الآثار فى لندن.

المقدم فى سطور

إسماعيل سراج الدين

مدير مكتبة الإسكندرية ، ويرأس مجالس إدارة المعاهد السبعة والمتاحف الثلاثة التابعة للمكتبة . وقد نال درجة الدكتوراه من جامعة هارفارد عام ١٩٧٢ ، وشغل بعدها عدة مواقع فى البنك الدولى حتى عين نائبًا لرئيس البنك فى عام ١٩٩٣ ، وظل بهذا المنصب حتى استقال منه عام ٢٠٠٠ ، وقد حصل على ١٧ دكتوراه فخرية من جميع أنحاء العالم . كما ينتمى إلى عضوية العديد من الأكاديميات والمؤسسات العلمية ، ورئيس وعضو اللجان الاستشارية فى عديد من المعاهد والهيئات البحثية والعلمية والدولية . وقد قام بتأليف وتحرير أكثر من ٥٠ كتابا ، بالإضافة إلى ٢٠٠ مقالة وبحث تقنى فى مجالات الاقتصاد والعلوم والثقافة والأدب والعمارة ، وله اهتمام خاص بمحاربة الفقر وقضايا المرأة وحقوق الإنسان وعمالة الشباب والبيئة وشئون المياه .

المترجم فى سطور

مصطفى البهنساوى

- محرر بجريدة الأهرام المصرية .
- ترجم العديد من المقالات السياسية والاقتصادية بمجلة « قراءات إستراتيچية » الصادرة عن مركز الدراسات السياسية والإستراتيچية بمؤسسة الأهرام .
- قام بإجراء عديد من التحقيقات والحوارات الصحفية فى مجلة الشباب وإصدارات مؤسسة الأهرام المختلفة .
- حصل على العديد من الدورات الصحفية المتخصصة فى مجالات الشئون العربية والإفريقية .
- خريج كلية الآثار - جامعة القاهرة .
- حصل على دبلوم الصحافة من كلية الإعلام جامعة القاهرة .
- حصل على دبلوم الترجمة من الجامعة الأمريكية بالقاهرة .

المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنبًا إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١-	اللغة العليا	جون كوين	أحمد درويش
٢-	الوثنية والإسلام (ط١)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣-	التراث المسروق	جورج جيمس	شوقى جلال
٤-	كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنيكوفا	أحمد الحضرى
٥-	ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
٦-	اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	سعد مصلوح ووفاء كامل فايد
٧-	العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	يوسف الأنطكى
٨-	مشعلو الحرائق	ماكس فريش	مصطفى ماهر
٩-	التغيرات البيئية	أندرو. س جودى	محمود محمد عاشور
١٠-	خطاب الحكاية	چيرار چينيت	محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١-	مختارات شعرية	فيسوافا شيمبوريسكا	هناء عبد الفتاح
١٢-	طريق الحرير	ديفيد براونيستون وأيرين فرانك	أحمد محمود
١٣-	ديانة الساميين	روبرتسن سميث	عبد الوهاب علوب
١٤-	التحليل النفسى للأدب	جان بيلمان نويل	حسن المودن
١٥-	الحركات الفنية منذ ١٩٤٥	إدوارد لوسى سميث	أشرف رفيق عفيفى
١٦-	أثينة السوداء (جـ١)	مارتن برنال	بإشراف: أحمد عتمان
١٧-	مختارات شعرية	فيليب لاركين	محمد مصطفى بدوى
١٨-	الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	طلعت شاهين
١٩-	الأعمال الشعرية الكاملة	چورج سفيريس	نعيم عطية
٢٠-	قصة العلم	ج. ج. كراوثر	يمنى طريف الخولى و بدوى عبد الفتاح
٢١-	خوخة وألف خوخة وقصص أخرى	صمد بهرنجى	ماجدة العنانى
٢٢-	مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	سيد أحمد على الناصرى
٢٣-	تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	سعيد توفيق
٢٤-	ظلال المستقبل	باتريك بارندر	بكر عباس
٢٥-	مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦-	دين مصر العام	محمد حسين هيكل	أحمد محمد حسين هيكل
٢٧-	التنوع البشرى الخلاق	مجموعة من المؤلفين	بإشراف: جابر عصفور
٢٨-	رسالة فى التسامح	جون لوك	منى أبو سنة
٢٩-	الموت والوجود	جيمس ب. كارس	بدر الديب
٣٠-	الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣١-	مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	عبد الستار الحلوجى وعبد الوهاب علوب
٣٢-	الانقراض	ديفيد روب	مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣-	التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	أحمد فؤاد بلبع
٣٤-	الرواية العربية	روجر آلن	حصة إبراهيم المنيف
٣٥-	الأسطورة والحداثة	پول ب . ديكسون	خليل كلفت
٣٦-	نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	حياة جاسم محمد

٢٧-	واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	جمال عبد الرحيم
٢٨-	نقد الحداثة	آلن تورين	أنور مغيث
٢٩-	الحسد والإغريق	بيتر والكوت	منيرة كروان
٤٠-	قصائد حب	آن سكستون	محمد عيد إبراهيم
٤١-	ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	عاطف أحمد وإبراهيم فتحى ومحمود ماجد
٤٢-	عالم ماك	بنجامين باربر	أحمد محمود
٤٣-	اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	المهدى أخريف
٤٤-	بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	مارلين تادرس
٤٥-	التراث المغدور	روبرت دينا وجون فاين	أحمد محمود
٤٦-	عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	محمود السيد على
٤٧-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ١)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨-	حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ماهر جويجاتى
٤٩-	الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	عبد الوهاب علوب
٥٠-	ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
٥١-	مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م. بينياليستى	محمد أبو العطا
٥٢-	العلاج النفسى التدعيمى	ب. نوفاليس وس . روجسيفيتز وروجر بيل	لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣-	الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	مرسى سعد الدين
٥٤-	المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	محسن مصيلحى
٥٥-	ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	على يوسف على
٥٦-	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ١)	فديريكو غرسية لوركا	محمود على مكى
٥٧-	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ٢)	فديريكو غرسية لوركا	محمود السيد و ماهر البطوطى
٥٨-	مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	محمد أبو العطا
٥٩-	المحبرة (مسرحية)	كارلوس مونييث	السيد السيد سهيم
٦٠-	التصميم والشكل	جوهانز إيتين	صبرى محمد عبد الغنى
٦١-	موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	بإشراف : محمد الجوهرى
٦٢-	لذّة النّص	رولان بارت	محمد خير البقاعى
٦٣-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤-	برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	رمسيس عوض
٦٥-	فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	رمسيس عوض
٦٦-	خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧-	مختارات شعرية	فرناندو بيسوا	المهدى أخريف
٦٨-	نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
٦٩-	العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠-	ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١-	السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	حسين محمود
٧٢-	السياسى العجوز	ت . س . إليوت	فؤاد مجلى
٧٣-	نقد استجابة القارئ	چين ب . تومبكنز	حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤-	صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوڤا	حسن بيومى

٧٥-	فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	أحمد درويش
٧٦-	چاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من المؤلفين	عبد المقصود عبد الكريم
٧٧-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨-	العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	أحمد محمود ونورا أمين
٧٩-	شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكى	سعيد الغانمى وناصر حلاوى
٨٠-	بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	مكارم الغمرى
٨١-	الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	محمد طارق الشرقاوى
٨٢-	مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	محمود السيد على
٨٣-	مختارات شعرية	غوتفريد بن	خالد المعالى
٨٤-	موسوعة الأدب والنقد (جـ١)	مجموعة من المؤلفين	عبد الحميد شيحة
٨٥-	منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	عبد الرازق بركات
٨٦-	طول الليل (رواية)	جمال مير صادقى	أحمد فتحى يوسف شتا
٨٧-	نون والقلم (رواية)	جلال آل أحمد	ماجدة العنانى
٨٨-	الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	إبراهيم الدسوقى شتا
٨٩-	الطريق الثالث	أنتونى جيدنز	أحمد زايد ومحمد محيى الدين
٩٠-	وسم السيف وقصص أخرى	بورخيس وآخرون	محمد إبراهيم مبروك
٩١-	المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربرا لاسوتسكا - بشونباك	محمد هناء عبد الفتاح
٩٢-	أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكى المعاصر	كارلوس ميجيل	نادية جمال الدين
٩٣-	محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	عبد الوهاب علوب
٩٤-	مسرحيتا الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	فوزية العشماوى
٩٥-	مختارات من المسرح الإسبانى	أنطونيو بويرو باييخو	سرى محمد عبد اللطيف
٩٦-	ثلاث زنبقات ووردة وقصص أخرى	نخبة	إدوار الخراط
٩٧-	هوية فرنسا (مج١)	فرنان برودل	بشير السباعى
٩٨-	الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٩٩-	تاريخ السينما العالمية (١٨٩٥-١٩٨٠)	ديڤيد روبنسون	إبراهيم قنديل
١٠٠-	مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	إبراهيم فتحى
١٠١-	النص الروائى: تقنيات ومناهج	بيرنار ڤاليط	رشيد بنحدو
١٠٢-	السياسة والتسامح	عبد الكبير الخطيبى	عز الدين الكتانى الإدريسى
١٠٣-	قبر ابن عربى يليه آياء (شعر)	عبد الوهاب المؤدب	محمد بنيس
١٠٤-	أوبرا ماهوجنى (مسرحية)	برتولت بريشت	عبد الغفار مكاوى
١٠٥-	مدخل إلى النص الجامع	چيرارچينيت	عبد العزيز شبيل
١٠٦-	الأدب الأندلسى	ماريا خيسوس روبييرامتى	أشرف على دعدور
١٠٧-	صورة الفدائى فى الشعر الأمريكى اللاتينى المعاصر	نخبـة من الشعراء	محمد عبد الله الجعيدى
١٠٨-	ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى	مجموعة من المؤلفين	محمود على مكى
١٠٩-	حروب المياه	چون بولوك وعادل درويش	هاشم أحمد محمد
١١٠-	النساء فى العالم النامى	حسنة بيجوم	منى قطان
١١١-	المرأة والجريمة	فرانسس هيدسون	ريهام حسين إبراهيم
١١٢-	الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	إكرام يوسف

١١٣-	راية التمرد	سادى پلانت	أحمد حسان
١١٤-	مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستنقع	وول شوينكا	نسيم مجلى
١١٥-	غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	سمية رمضان
١١٦-	امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	نهاد أحمد سالم
١١٧-	المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	منى إبراهيم وهالة كمال
١١٨-	النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	لميس النقاش
١١٩-	النساء والأسرة وقوانين الطلاق فى التاريخ الإسلامى	أميرة الأزهرى سنبل	بإشراف: رءوف عباس
١٢٠-	الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	مجموعة من المترجمين
١٢١-	الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	محمد الجندى وإيزابيل كمال
١٢٢-	نظام العبودية القديم والنموذج المثالى للإنسان	جوزيف فوجت	منيرة كروان
١٢٣-	الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	أنيل ألكسندرو فنادولينا	أنور محمد إبراهيم
١٢٤-	الفجر الكاذب: أوهام الرأسمالية العالمية	چون جراى	أحمد فؤاد بلبع
١٢٥-	التحليل الموسيقى	سيدرك ثورپ ديڤى	سمحة الخولى
١٢٦-	فعل القراءة	ڤولفانج إيسر	عبد الوهاب علوب
١٢٧-	إرهاب (مسرحية)	صفاء فتحى	بشير السباعى
١٢٨-	الأدب المقارن	سوزان باسنيت	أميرة حسن نويرة
١٢٩-	الرواية الإسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠-	الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	شوقى جلال
١٣١-	مصر القديمة: التاريخ الاجتماعى	مجموعة من المؤلفين	لويس بقطر
١٣٢-	ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	عبد الوهاب علوب
١٣٣-	الخوف من المرايا (رواية)	طارق على	طلعت الشايب
١٣٤-	تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	أحمد محمود
١٣٥-	المختار من نقد ت. س. إليوت	ت. س. إليوت	ماهر شفيق فريد
١٣٦-	فلاحو الباشا	كينيث كونو	سحر توفيق
١٣٧-	مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية على مصر	جوزيف مارى مواريه	كاميليا صبحى
١٣٨-	عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	أندريه جلوكسمان	وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩-	پارسيڤال (مسرحية)	ريتشارد ڤاچنر	مصطفى ماهر
١٤٠-	حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	أمل الجبورى
١٤١-	اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	نعيم عطية
١٤٢-	الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	حسن بيومى
١٤٣-	قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	ديرك لايدر	عدلى السمرى
١٤٤-	صاحبة اللوكاندة (مسرحية)	كارلو جولدونى	سلامة محمد سليمان
١٤٥-	موت أرتيميو كروث (رواية)	كارلوس فوينتس	أحمد حسان
١٤٦-	الورقة الحمراء (رواية)	ميجيل دى ليبس	على عبدالرءوف البمبى
١٤٧-	مسرحيتان	تانكريد دورست	عبدالغفار مكاوى
١٤٨-	القصة القصيرة: النظرية والتقنية	إنريكى أندرسون إمبرت	على إبراهيم منوفى
١٤٩-	النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	أسامة إسبر
١٥٠-	التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	منيرة كروان

١٥١- هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ١)	فرنان برودل	بشير السباعى
١٥٢- عدالة الهنود وقصص أخرى	مجموعة من المؤلفين	محمد محمد الخطابى
١٥٣- غرام الفراعنة	فيولين فانويك	فاطمة عبدالله محمود
١٥٤- مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	خليل كلفت
١٥٥- الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة من الشعراء	أحمد مرسى
١٥٦- المدارس الجمالية الكبرى	جى آنبال وآلان وأوديت ڤيرمو	مى التلمسانى
١٥٧- خسرو وشيرين	النظامى الكنجوى	عبدالعزيز بقوش
١٥٨- هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ٢)	فرنان برودل	بشير السباعى
١٥٩- الأيديولوچية	ديڤيد هوكس	إبراهيم فتحى
١٦٠- آلة الطبيعة	بول إيرليش	حسين بيومى
١٦١- مسرحيتان من المسرح الإسبانى	أليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	زيدان عبدالحليم زيدان
١٦٢- تاريخ الكنيسة	يوحنا الآسيوى	صلاح عبدالعزيز محجوب
١٦٣- موسوعة علم الاجتماع (جـ ١)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
١٦٤- شامبوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	نبيل سعد
١٦٥- حكايات الثعلب (قصص أطفال)	أ. ن. أفاناسيفا	سهير المصادفة
١٦٦- العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليڤمان	محمد محمود أبوغدير
١٦٧- فى عالم طاغور	رابندرنات طاغور	شكرى محمد عياد
١٦٨- دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٦٩- إبداعات أدبية	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٧٠- الطريق (رواية)	ميجيل دليبيس	بسام ياسين رشيد
١٧١- وضع حد (رواية)	فرانك بيجو	هدى حسين
١٧٢- حجر الشمس (شعر)	نخبة	محمد محمد الخطابى
١٧٣- معنى الجمال	ولتر ت. ستيس	إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤- صناعة الثقافة السوداء	إيليس كاشمور	أحمد محمود
١٧٥- التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦- نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	جلال البنا
١٧٧- أنطون تشيخوف	هنرى تروايا	حصة إبراهيم المنيف
١٧٨- مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	محمد حمدى إبراهيم
١٧٩- حكايات أيسوب (قصص أطفال)	أيسوب	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠- قصة جاويد (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
١٨١- النقد الأدبى الأمريكى من الثلاثينيات إلى الثمانينيات	فنسنت ب. ليتش	محمد يحيى
١٨٢- العنف والنبوءة (شعر)	و.ب. ييتس	ياسين طه حافظ
١٨٣- چان كوكتو على شاشة السينما	رينيه جيلسون	فتحى العشرى
١٨٤- القاهرة: حالمة لا تنام	هانز إبندورفر	دسوقى سعيد
١٨٥- أسفار العهد القديم فى التاريخ	توماس تومسن	عبد الوهاب علوب
١٨٦- معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل إنوود	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧- الأرضة (رواية)	بُزرج علوى	محمد علاء الدين منصور
١٨٨- موت الأدب	ألفين كرنان	بدر الديب

١٨٩- العمى والبصيرة: مقالات في بلاغة النقد المعاصر	بول دى مان	سعيد الغانمى
١٩٠- محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	محسن سيد فرجانى
١٩١- الكلام رأسمال وقصص أخرى	الحاج أبو بكر إمام وآخرون	مصطفى حجازى السيد
١٩٢- سياحت نامه إبراهيم بك (جـ١)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
١٩٣- عامل المنجم (رواية)	بيتر أبراهامز	محمد عبد الواحد محمد
١٩٤- مختارات من النقد الأنجلو-أمريكى الحديث	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
١٩٥- شتاء ٨٤ (رواية)	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
١٩٦- المهلة الأخيرة (رواية)	فالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
١٩٧- سيرة الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	جلال السعيد الحفناوى
١٩٨- الاتصال الجماهيرى	إدوين إمرى وآخرون	إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩- تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداو	جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠- ضحايا التنمية المقاومة والبدائل	جيرمى سيبروك	فخرى لبيب
٢٠١- الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٢٠٢- تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٤)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣- الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤- تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	أحمد هويدى
٢٠٥- الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى- سفورزا	أحمد مستجير
٢٠٦- الهيولية تصنع علماً جديداً	جيمس جلايك	على يوسف على
٢٠٧- ليل أفريقى (رواية)	رامون خوتاسندير	محمد أبو العطا
٢٠٨- شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	محمد أحمد صالح
٢٠٩- السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٠- مثنويات حكيم سنائى (شعر)	سنائى الغزنوى	يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١- فردينان دوسوسير	جوناثان كلر	محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢- قصص الأمير مرزبان على لسان الحيوان	مرزبان بن رستم بن شروين	يوسف عبدالفتاح فرج
٢١٣- مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبدالناصر	ريمون فلاور	سيد أحمد على الناصرى
٢١٤- قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	محمد محيى الدين
٢١٥- سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٢)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
٢١٦- جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٧- مسرحيتان طليعيتان	صمويل بيكيت وهارولد بينتر	نادية البنهاوى
٢١٨- لعبة الحجلة (رواية)	خوليو كورتاثار	على إبراهيم منوفى
٢١٩- بقايا اليوم (رواية)	كازو إيشجورو	طلعت الشايب
٢٢٠- الهيولية فى الكون	بارى باركر	على يوسف على
٢٢١- شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	رفعت سلام
٢٢٢- فرانز كافكا	رونالد جراى	نسيم مجلى
٢٢٣- العلم فى مجتمع حر	باول فيرابند	السيد محمد نفادى
٢٢٤- دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	منى عبدالظاهر إبراهيم
٢٢٥- حكاية غريق (رواية)	جابرييل جارثيا ماركيث	السيد عبدالظاهر السيد
٢٢٦- أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	طاهر محمد على البربرى

٢٢٧-	المسرح الإسباني في القرن السابع عشر	خوسيه ماريا ديث بوركي	السيد عبدالظاهر عبدالله
٢٢٨-	علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	ماري تيريز عبدالمسيح وخالد حسن
٢٢٩-	مأزق البطل الوحيد	نورمان كيجان	أمير إبراهيم العمري
٢٣٠-	عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	مصطفى إبراهيم فهمي
٢٣١-	الدرافيل أو الجيل الجديد (مسرحية)	خايمي سالوم بيدال	جمال عبدالرحمن
٢٣٢-	ما بعد المعلومات	توم ستونير	مصطفى إبراهيم فهمي
٢٣٣-	فكرة الاضمحلال في التاريخ الغربي	آرثر هيرمان	طلعت الشايب
٢٣٤-	الإسلام في السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	فؤاد محمد عكود
٢٣٥-	ديوان شمس تبريزي (جـ١)	مولانا جلال الدين الرومي	إبراهيم الدسوقي شتا
٢٣٦-	الولاية	ميشيل شودكيفيتش	أحمد الطيب
٢٣٧-	مصر أرض الوادي	روبين فيدين	عنايات حسين طلعت
٢٣٨-	العولمة والتحرير	تقرير لمنظمة الأنكتاد	ياسر محمد جادالله وعربي مدبولي أحمد
٢٣٩-	العربي في الأدب الإسرائيلي	جيلا رامراز - رايوخ	نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠-	الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كاي حافظ	صلاح محجوب إدريس
٢٤١-	في انتظار البرابرة (رواية)	ج . م. كوتزي	ابتسام عبدالله
٢٤٢-	سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	صبري محمد حسن
٢٤٣-	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١)	ليفي بروفنسال	بإشراف صلاح فضل
٢٤٤-	الغليان (رواية)	لاورا إسكيبيل	نادية جمال الدين محمد
٢٤٥-	نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس وأخرون	توفيق علي منصور
٢٤٦-	مختارات قصصية	جابرييل جارثيا ماركيث	علي إبراهيم منوفي
٢٤٧-	الثقافة الجماهيرية والحداثة في مصر	والتر أرمبرست	محمد طارق الشرقاوي
٢٤٨-	حقول عدن الخضراء (مسرحية)	أنطونيو جالا	عبداللطيف عبدالحليم
٢٤٩-	لغة التمزق (شعر)	دراجو شتامبوك	رفعت سلام
٢٥٠-	علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ماجدة محسن أباظة
٢٥١-	موسوعة علم الاجتماع (جـ٢)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهري
٢٥٢-	رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	علي بدران
٢٥٣-	تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوفا	حسن بيومي
٢٥٤-	أقدم لك: الفلسفة	ديف روبنسون وجودي جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥-	أقدم لك: أفلاطون	ديف روبنسون وجودي جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٦-	أقدم لك: ديكارت	ديف روبنسون وكريس جارات	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧-	تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلي رايت	محمود سيد أحمد
٢٥٨-	الغجر	سير أنجوس فريزر	عُبادة كُحيلة
٢٥٩-	مختارات من الشعر الأرمني عبر العصور	نخبة	فاروجان كازانجيان
٢٦٠-	موسوعة علم الاجتماع (جـ٣)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهري
٢٦١-	رحلة في فكر زكي نجيب محمود	زكي نجيب محمود	إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢-	مدينة المعجزات (رواية)	إدواردو مندوثا	محمد أبو العطا
٢٦٣-	الكشف عن حافة الزمن	جون جريبين	علي يوسف علي
٢٦٤-	إبداعات شعرية مترجمة	هوراس وشلي	لويس عوض

٢٦٥-	روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصمويل جونسون	لويس عوض
٢٦٦-	مدير المدرسة (رواية)	جلال آل أحمد	عادل عبدالمنعم على
٢٦٧-	فن الرواية	ميلان كونديرا	بدر الدين عرودكى
٢٦٨-	ديوان شمس تبريزى (جـ٢)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩-	وسط الجزيرة العربية وشرقها (جـ١)	وليم چيفور بالجريف	صبرى محمد حسن
٢٧٠-	وسط الجزير العربية وشرقها (جـ٢)	وليم چيفور بالجريف	صبرى محمد حسن
٢٧١-	الحضارة الغربية: الفكرة والتاريخ	توماس سى. باترسون	شوقى جلال
٢٧٢-	الأديرة الأثرية فى مصر	سى. سى. والترز	إبراهيم سلامة إبراهيم
٢٧٣-	الأصول الاجتماعية والثقافية لحركة عرابى فى مصر	جوان كول	عنان الشهاوى
٢٧٤-	السيدة باربارا (رواية)	رومولو جاييجوس	محمود على مكى
٢٧٥-	ت س إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
٢٧٦-	فنون السينما	مجموعة من المؤلفين	عبدالقادر التلمسانى
٢٧٧-	الچينات والصراع من أجل الحياة	براين فورد	أحمد فوزى
٢٧٨-	البدايات	إسحاق عظيموف	ظريف عبدالله
٢٧٩-	الحرب الباردة الثقافية	ف س. سوندرز	طلعت الشايب
٢٨٠-	الأم والنصيب وقصص أخرى	بريم شند وآخرون	سمير عبدالحميد إبراهيم
٢٨١-	الفردوس الأعلى (رواية)	عبد الحليم شرر	جلال الحفناوى
٢٨٢-	طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس وولبرت	سمير حنا صادق
٢٨٣-	السهل يحترق وقصص أخرى	خوان رولفو	على عبد الرءوف البمبى
٢٨٤-	هرقل مجنوناً (مسرحية)	يوريبيديس	أحمد عتمان
٢٨٥-	رحلة خواجة حسن نظامى الدهلوى	حسن نظامى الدهلوى	سمير عبد الحميد إبراهيم
٢٨٦-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٣)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
٢٨٧-	الثقافة والعولمة والنظام العالمى	أنتونى كنج	محمد يحيى وآخرون
٢٨٨-	الفن الروائى	ديفيد لودج	ماهر البطوطى
٢٨٩-	ديوان منوچهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	محمد نور الدين عبدالمنعم
٢٩٠-	علم اللغة والترجمة	جورج مونان	أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١-	تاريخ المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ١)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٢-	تاريخ المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ٢)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٣-	مقدمة للأدب العربى	روجر آلن	مجدى توفيق وآخرون
٢٩٤-	فن الشعر	بوالو	رجاء ياقوت
٢٩٥-	سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل وبيل مويرز	بدر الديب
٢٩٦-	مكبث (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٢٩٧-	فن النحو بين اليونانية والسريانية	ديونيسيوس ثراكس ويوسف الأهوازى	ماجدة محمد أنور
٢٩٨-	مأساة العبيد وقصص أخرى	نخبة	مصطفى حجازى السيد
٢٩٩-	ثورة فى التكنولوجيا الحيوية	جين ماركس	هاشم أحمد محمد
٣٠٠-	أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج١)	لويس عوض	جمال الجزيرى وبهاء چاهين وإيزابيل كمال
٣٠١-	أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج٢)	لويس عوض	جمال الجزيرى و محمد الجندى
٣٠٢-	أقدم لك: فنجنشتين	جون هيتون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام

٣٠٣- أقدم لك: بوذا	جين هوب وبورن فان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤- أقدم لك: ماركس	ريوس	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥- الجلد (رواية)	كروزيو مالابارته	صلاح عبد الصبور
٣٠٦- الحماسة: النقد الكانطي للتاريخ	چان فرانسوا ليوتار	نبيل سعد
٣٠٧- أقدم لك: الشعور	ديفيد بابينو وهوارد سلينا	محمود مكي
٣٠٨- أقدم لك: علم الوراثة	ستيف جونز وبورين فان لو	ممدوح عبد المنعم
٣٠٩- أقدم لك: الذهن والمخ	أنجوس جيلاتي وأوسكار زاريت	جمال الجزيري
٣١٠- أقدم لك: يونج	ماجي هايد ومايكل ماكجنس	محيي الدين مزيد
٣١١- مقال في المنهج الفلسفي	ر. ج كولنجوود	فاطمة إسماعيل
٣١٢- روح الشعب الأسود	وليم ديبويس	أسعد حليم
٣١٣- أمثال فلسطينية (شعر)	خابير بيان	محمد عبدالله الجعيدي
٣١٤- مارسيل دوشامب: الفن كعدم	جانيس مينيك	هويدا السباعي
٣١٥- جرامشي في العالم العربي	ميشيل بروندينو والطاهر لبيب	كاميليا صبحي
٣١٦- محاكمة سقراط	أي. ف. ستون	نسيم مجلي
٣١٧- بلا غد	س. شير لايموفا- س. زنيكين	أشرف الصباغ
٣١٨- الأدب الروسي في السنوات العشر الأخيرة	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٣١٩- صور دريدا	جايتري اسبيفاك وكرستوفر نوريس	حسام نايل
٣٢٠- لمعة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	محمد علاء الدين منصور
٣٢١- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ١)	ليفي برو فنسال	بإشراف: صلاح فضل
٣٢٢- وجهات نظر حديثة في تاريخ الفن الغربي	دبليو بوجين كليبناور	خالد مفلح حمزة
٣٢٣- فن الساتورا	تراث يوناني قديم	هانم محمد فوزي
٣٢٤- اللعب بالنار (رواية)	أشرف أسدي	محمود علاوي
٣٢٥- عالم الآثار (رواية)	فيليب بوسان	كرستين يوسف
٣٢٦- المعرفة والمصلحة	يورجين هابرماس	حسن صقر
٣٢٧- مختارات شعرية مترجمة (جـ١)	نخبة	توفيق على منصور
٣٢٨- يوسف وزليخا (شعر)	نور الدين عبد الرحمن الجامي	عبد العزيز بقوش
٣٢٩- رسائل عيد الميلاد (شعر)	تد هيوز	محمد عيد إبراهيم
٣٣٠- كل شيء عن التمثيل الصامت	مارفن شيرد	سامي صلاح
٣٣١- عندما جاء السردين وقصص أخرى	ستيفن جراي	سامية دياب
٣٣٢- شهر العسل وقصص أخرى	نخبة	على إبراهيم منوفي
٣٣٣- الإسلام في بريطانيا من ١٥٥٨-١٦٨٥	نبيل مطر	بكر عباس
٣٣٤- لقطات من المستقبل	آرثر كلارك	مصطفى إبراهيم فهمي
٣٣٥- عصر الشك: دراسات عن الرواية	ناتالي ساروت	فتحي العشري
٣٣٦- متون الأهرام	نصوص مصرية قديمة	حسن صابر
٣٣٧- فلسفة الولاء	جوزايا رويس	أحمد الأنصاري
٣٣٨- نظرات حائرة وقصص أخرى	نخبة	جلال الحفناوي
٣٣٩- تاريخ الأدب في إيران (جـ٣)	إدوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٣٤٠- اضطراب في الشرق الأوسط	بيرش بيربروجلو	فخري لبيب

٣٤١- قصائد من رلكه (شعر)	راينر ماريا رلكه	حسن حلمى
٣٤٢- سلامان وأبسال (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٣٤٣- العالم البرجوازى الزائل (رواية)	نادين جورديمر	سمير عبد ربه
٣٤٤- الموت فى الشمس (رواية)	بيتر بالانجيو	سمير عبد ربه
٣٤٥- الركض خلف الزمان (شعر)	بونه ندائى	يوسف عبد الفتاح فرج
٣٤٦- سحر مصر	رشاد رشدى	جمال الجزيرى
٣٤٧- الصبية الطائشون (رواية)	جان كوكتو	بكر الحلو
٣٤٨- المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ١)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٣٤٩- دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	آرثر والدهورن وآخرون	أحمد عمر شاهين
٣٥٠- بانوراما الحياة السياحية	مجموعة من المؤلفين	عطية شحاتة
٣٥١- مبادئ المنطق	جوزايا رويس	أحمد الانصارى
٣٥٢- قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	نعيم عطية
٣٥٣- الفن الإسلامى فى الأندلس الزخرفة الهندسية	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٣٥٤- الفن الإسلامى فى الأندلس. الزخرفة النباتية	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٣٥٥- التيارات السياسية فى إيران المعاصرة	حجت مرتجى	محمود علاوى
٣٥٦- الميراث المر	بول سالم	بدر الرفاعى
٣٥٧- متون هرمس	تيموثى فريك وبيتر غاندى	عمر الفاروق عمر
٣٥٨- أمثال الهوسا العامية	نخبة	مصطفى حجازى السيد
٣٥٩- محاورة بارمنيدس	أفلاطون	حبيب الشارونى
٣٦٠- أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ليلى الشربينى
٣٦١- التصحر. التهديد والمجابهة	آلان جرينجر	عاطف معتمد وآمال شاور
٣٦٢- تلميذ بابنبرج (رواية)	هاينرش شبورل	سيد أحمد فتح الله
٣٦٣- حركات التحرير الأفريقية	ريتشارد جيبسون	صبرى محمد حسن
٣٦٤- حداثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	نجلاء أبو عجاج
٣٦٥- سأم باريس (شعر)	شارل بودلير	محمد أحمد حمد
٣٦٦- نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	مصطفى محمود محمد
٣٦٧- القلم الجرىء	مجموعة من المؤلفين	البرّاق عبدالهادى رضا
٣٦٨- المصطلح السردى. معجم مصطلحات	جيرالد برنس	عابد خزندار
٣٦٩- المرأة فى أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوى	فوزية العشماوى
٣٧٠- الفن والحياة فى مصر الفرعونية	كليرلا لويت	فاطمة عبدالله محمود
٣٧١- المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ٢)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٣٧٢- عاش الشباب (رواية)	وانغ مينغ	وحيد السعيد عبدالحميد
٣٧٣- كيف تعد رسالة دكتوراه	أومبرتو إيكو	على إبراهيم منوفى
٣٧٤- اليوم السادس (رواية)	أندريه شديد	حمادة إبراهيم
٣٧٥- الخلود (رواية)	ميلان كونديرا	خالد أبو اليزيد
٣٧٦- الغضب وأحلام السنين (مسرحيات)	جان أنوى وآخرون	إدوار الخراط
٣٧٧- تاريخ الأدب فى إيران (جـ٤)	إدوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٣٧٨- المسافر (شعر)	محمد إقبال	يوسف عبدالفتاح فرج

٣٧٩-	ملك فى الحديقة (رواية)	سنيل باث	جمال عبدالرحمن
٣٨٠-	حديث عن الخسارة	جونتر جراس	شيرين عبدالسلام
٣٨١-	أساسيات اللغة	ر. ل. تراسك	رانيا إبراهيم يوسف
٣٨٢-	تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد إسفنديار	أحمد محمد نادى
٣٨٣-	هدية الحجاز (شعر)	محمد إقبال	سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٨٤-	القصص التى يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	إيزابيل كمال
٣٨٥-	مشترى العشق (رواية)	محمد على بهزادراد	يوسف عبدالفتاح فرج
٣٨٦-	دفاعًا عن التاريخ الأدبى النسوى	جانيت تود	ريهام حسين إبراهيم
٣٨٧-	أغنيات وسوناتات (شعر)	چون دن	بهاء چاهين
٣٨٨-	مواعظ سعدى الشيرازى (شعر)	سعدى الشيرازى	محمد علاء الدين منصور
٣٨٩-	تفاهم وقصص أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٩٠-	الأرشيفات والمدن الكبرى	إم. فى. روبرتس	عثمان مصطفى عثمان
٣٩١-	الحافلة الليلكية (رواية)	مايف بينشى	منى الدروبى
٣٩٢-	مقامات ورسائل أندلسية	فرناندو دى لاجرانجا	عبداللطيف عبدالحليم
٣٩٣-	فى قلب الشرق	ندوة لويس ماسينيون	زينب محمود الخضيرى
٣٩٤-	القوى الأربع الأساسية فى الكون	بول ديفيز	هاشم أحمد محمد
٣٩٥-	آلام سياوش (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
٣٩٦-	السافاك	تقى نجارى راد	محمود علاوى
٣٩٧-	أقدم لك: نيتشه	لورانس جين وكيتى شين	إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٨-	أقدم لك: سارتر	فيليب تودى وهوارد ريد	إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٩-	أقدم لك: كامى	ديفيد ميروفتش وآلن كوركس	إمام عبدالفتاح إمام
٤٠٠-	مومو (رواية)	ميشائيل إنده	باهر الجوهرى
٤٠١-	أقدم لك: علم الرياضيات	زياودن ساردر وآخرون	ممدوح عبد المنعم
٤٠٢-	أقدم لك: ستيفن هوكنج	ج. ب. ماك إيفوى وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٠٣-	ربة المطر والملابس تصنع الناس (روايتان)	توبور شتورم وجوتفرد كولر	عماد حسن بكر
٤٠٤-	تعويذة الحسى	ديفيد إبرام	ظبية خميس
٤٠٥-	إيزابيل (رواية)	أندريه جيد	حمادة إبراهيم
٤٠٦-	المستعربون الإسبان فى القرن ١٩	مانويلا مانتاناريس	جمال عبد الرحمن
٤٠٧-	الأدب الإسبانى المعاصر بأقلام كتابه	مجموعة من المؤلفين	طلعت شاهين
٤٠٨-	معجم تاريخ مصر	جوان فوتشركنج	عنان الشهاوى
٤٠٩-	انتصار السعادة	برتراند راسل	إلهامى عمارة
٤١٠-	خلاصة القرن	كارل بوبر	الزواوى بغورة
٤١١-	همس من الماضى	جينيفر أكرمان	أحمد مستجير
٤١٢-	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ٢)	ليفى بروفنسال	بإشراف: صلاح فضل
٤١٣-	أغنيات المنفى (شعر)	ناظم حكمت	محمد البخارى
٤١٤-	الجمهورية العالمية للآداب	باسكال كازانوفا	أمل الصبان
٤١٥-	صورة كوكب (مسرحية)	فريدريش دورينمات	أحمد كامل عبدالرحيم
٤١٦-	مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر	أ. أ. رتشاردز	محمد مصطفى بدوى

٤١٧-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٥)	رينيه ويليك	مجاهد عبدالمنعم مجاهد
٤١٨-	سياسات الزمر الحاكمة فى مصر العثمانية	جين هاثواى	عبد الرحمن الشيخ
٤١٩-	العصر الذهبى للإسكندرية	جون مارلو	نسيم مجلى
٤٢٠-	مكرو ميجاس (قصة فلسفية)	فولتير	الطيب بن رجب
٤٢١-	الولاء والقيادة فى المجتمع الإسلامى الأول	روى متحدة	أشرف كيلانى
٤٢٢-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ١)	ثلاثة من الرحالة	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٤٢٣-	إسراءات الرجل الطيف	نخبة	وحيد النقاش
٤٢٤-	لوائح الحق ولوامع العشق (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامى	محمد علاء الدين منصور
٤٢٥-	من طاووس إلى فرح	محمود طلوعى	محمود علاوى
٤٢٦-	الخفافيش وقصص أخرى	نخبة	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧-	بانديراس الطاغية (رواية)	باى إنكلان	ثريا شلبى
٤٢٨-	الخزانة الخفية	محمد هوتك بن داود خان	محمد أمان صافى
٤٢٩-	أقدم لك: هيجل	ليود سبنسر وأندزجى كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٠-	أقدم لك: كانط	كرستوفر وانت وأندزجى كليموفسكى	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣١-	أقدم لك: فوكو	كريس هوروكس وزوران جفتيك	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٢-	أقدم لك: ماكياڤللى	باتريك كيرى وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٣-	أقدم لك: جويس	ديفيد نوريس وكارل فلنت	حمدى الجابرى
٤٣٤-	أقدم لك: الرومانسية	دونكان هيث وجودى بورهام	عصام حجازى
٤٣٥-	توجهات ما بعد الحداثة	نيكولاس زربرج	ناجى رشوان
٤٣٦-	تاريخ الفلسفة (مج١)	فردريك كوبلستون	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٧-	رحالة هندى فى بلاد الشرق العربى	شبلى النعمانى	جلال الحفناوى
٤٣٨-	بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بيبرس	عايدة سيف الدولة
٤٣٩-	موت المرابى (رواية)	صدر الدين عينى	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠-	قواعد اللهجات العربية الحديثة	كرستن بروستاد	محمد طارق الشرقاوى
٤٤١-	رب الأشياء الصغيرة (رواية)	أروندانى روى	فخرى لبيب
٤٤٢-	حتشبسوت: المرأة الفرعونية	فوزية أسعد	ماهر جويجاتى
٤٤٣-	اللغة العربية: تاريخها ومستوياتها وتأثيرها	كيس فرستيغ	محمد طارق الشرقاوى
٤٤٤-	أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة	لاوريت سيجورنه	صالح علمانى
٤٤٥-	حول وزن الشعر	پرويز ناتل خانلرى	محمد محمد يونس
٤٤٦-	التحالف الأسود	ألكسندر كوكبرن وجيفرى سانت كلير	أحمد محمود
٤٤٧-	أقدم لك: نظرية الكم	ج. پ. ماك إيڤوى وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٤٨-	أقدم لك: علم نفس التطور	ديلان إيڤانز وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٤٩-	أقدم لك: الحركة النسوية	نخبة	جمال الجزيرى
٤٥٠-	أقدم لك: ما بعد الحركة النسوية	صوفيا فوكا وريبيكا رايت	جمال الجزيرى
٤٥١-	أقدم لك: الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن وبورن ڤان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢-	أقدم لك: لينين والثورة الروسية	ريتشارد إبجينانزى وأوسكار زاريت	محيى الدين مزيد
٤٥٣-	القاهرة: إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	حليم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤-	خمسون عاماً من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	سوزان خليل

٤٥٥-	تاريخ الفلسفة الحديثة (مج٥)	فردريك كوبلستون	محمود سيد أحمد
٤٥٦-	لا تنسنى (رواية)	مريم جعفرى	هويدا عزت محمد
٤٥٧-	النساء فى الفكر السياسى الغربى	سوزان موللر أوكين	إمام عبدالفتاح إمام
٤٥٨-	الموريسكيون الأندلسيون	مرثيديس غارثيا أرينال	جمال عبد الرحمن
٤٥٩-	نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيتنبرج	جلال البنا
٤٦٠-	أقدم لك: الفاشية والنازية	ستوارت هود وليتزا جانستز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦١-	أقدم لك: لكان	داريان ليدر وجودى جروفز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦٢-	طه حسين من الأزهر إلى السوربون	عبدالرشيد الصادق محمودى	عبدالرشيد الصادق محمودى
٤٦٣-	الدولة المارقة	ويليام بلوم	كمال السيد
٤٦٤-	ديمقراطية للقلة	مايكل بارنتى	حصة إبراهيم المنيف
٤٦٥-	قصص اليهود	لويس جنزبيرج	جمال الرفاعى
٤٦٦-	حكايات حب وبطولات فرعونية	فيولين فانويك	فاطمة عبد الله
٤٦٧-	التفكير السياسى والنظرة السياسية	ستيفين ديلو	ربيع وهبة
٤٦٨-	روح الفلسفة الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٤٦٩-	جلال الملوك	نصوص حبشية قديمة	مجدى عبدالرازق
٤٧٠-	الأراضى والجودة البيئية	جارى م. بيرزنسكى وآخرون	محمد السيد التنة
٤٧١-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ٢)	ثلاثة من الرحالة	عبد الله عبد الرازق إبراهيم
٤٧٢-	دون كيخوتى (القسم الأول)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٣-	دون كيخوتى (القسم الثانى)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٤-	الأدب والنسوية	بام موريس	سهام عبدالسلام
٤٧٥-	صوت مصر: أم كلثوم	فرجينيا دانيلسون	عادل هلال عنانى
٤٧٦-	أرض الحبايب بعيدة: بيرم التونسى	ماريلين بوث	سحر توفيق
٤٧٧-	تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين	هيلدا هوخام	أشرف كيلانى
٤٧٨-	الصين والولايات المتحدة	ليوشيه شنج و لى شى دونج	عبد العزيز حمدى
٤٧٩-	المقهـــى (مسرحية)	لاو شه	عبد العزيز حمدى
٤٨٠-	تساى ون جى (مسرحية)	كو مو روا	عبد العزيز حمدى
٤٨١-	بردة النبى	روى متحدة	رضوان السيد
٤٨٢-	موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية	روبير جاك تيبو	فاطمة عبد الله
٤٨٣-	النسوية وما بعد النسوية	سارة جامبل	أحمد الشامى
٤٨٤-	جمالية التلقى	هانسن روبيرت ياوس	رشيد بنحدو
٤٨٥-	التوبة (رواية)	نذير أحمد الدهلوى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٦-	الذاكرة الحضارية	يان أسمن	عبدالحليم عبدالغنى رجب
٤٨٧-	الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية	رفيع الدين المراد آبادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٨-	الحب الذى كان وقصائد أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٩-	هُسِّرل: الفلسفة علمًا دقيقًا	إدموند هُسِّرل	محمود رجب
٤٩٠-	أسمار الببغاء	محمد قادرى	عبد الوهاب علوب
٤٩١-	نصوص قصصية من روائع الأدب الأفريقى	نخبة	سمير عبد ربه
٤٩٢-	محمد على مؤسس مصر الحديثة	جى فارجيت	محمد رفعت عواد

٤٩٣- خطابات إلى طالب الصوتيات	هارولد بالمر	محمد صالح الضالع
٤٩٤- كتاب الموتى: الخروج فى النهار	نصوص مصرية قديمة	شريف الصيفى
٤٩٥- اللوبى	إدوارد تيفان	حسن عبد ربه المصرى
٤٩٦- الحكم والسياسة فى أفريقيا (جـ١)	إكوانو بانولى	مجموعة من المترجمين
٤٩٧- العلمانية والنوع والدولة فى الشرق الأوسط	نادية العلى	مصطفى رياض
٤٩٨- النساء والنوع فى الشرق الأوسط الحديث	جوديث تاكر ومارجريت مريويذر	أحمد على بدوى
٤٩٩- تقاطعات: الأمة والمجتمع والنوع	مجموعة من المؤلفين	فيصل بن خضراء
٥٠٠- فى طفولتى دراسة فى السيرة الذاتية العربية	تيتز رووكى	طلعت الشايب
٥٠١- تاريخ النساء فى الغرب (جـ١)	أرلت جولد هامر	سحر فراج
٥٠٢- أصوات بديلة	مجموعة من المؤلفين	هالة كمال
٥٠٣- مختارات من الشعر الفارسى الحديث	نخبة من الشعراء	محمد نور الدين عبدالمنعم
٥٠٤- كتابات أساسية (جـ١)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق
٥٠٥- كتابات أساسية (جـ٢)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق
٥٠٦- ربما كان قديساً (رواية)	آن تيلر	عبدالحميد فهمى الجمال
٥٠٧- سيدة الماضى الجميل (مسرحية)	بيتر شيفر	شوقى فهيم
٥٠٨- المولوية بعد جلال الدين الرومى	عبدالباقى جلبنارلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٥٠٩- الفقر والإحسان فى عصر سلاطين المماليك	آدم صبرة	قاسم عبده قاسم
٥١٠- الأرملة الماكرة (مسرحية)	كارلو جولدونى	عبدالرازق عيد
٥١١- كوكب مرقَّع (رواية)	آن تيلر	عبدالحميد فهمى الجمال
٥١٢- كتابة النقد السينمائى	تيموثى كوريجان	جمال عبد الناصر
٥١٣- العلم الجسور	تيد أنتون	مصطفى إبراهيم فهمى
٥١٤- مدخل إلى النظرية الأدبية	جونثان كولر	مصطفى بيومى عبد السلام
٥١٥- من التقليد إلى ما بعد الحداثة	فدوى مالطى دوجلاس	فدوى مالطى دوجلاس
٥١٦- إرادة الإنسان فى علاج الإدمان	أرنولد واشنطون ودونا باوندى	صبرى محمد حسن
٥١٧- نقش على الماء وقصص أخرى	نخبة	سمير عبد الحميد إبراهيم
٥١٨- استكشاف الأرض والكون	إسحق عظيموف	هاشم أحمد محمد
٥١٩- محاضرات فى المثالية الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٥٢٠- الولع الفرنسى بمصر من الحلم إلى المشروع	أحمد يوسف	أمل الصبان
٥٢١- قاموس تراجم مصر الحديثة	آرثر جولد سميث	عبدالوهاب بكر
٥٢٢- إسبانيا فى تاريخها	أميركو كاسترو	على إبراهيم منوفى
٥٢٣- الفن الطليطلى الإسلامى والمدجن	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٥٢٤- الملك لير (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٥٢٥- موسم صيد فى بيروت وقصص أخرى	دنيس جونسون	نادية رفعت
٥٢٦- أقدم لك: السياسة البيئية	ستيفن كرول ووليم رانكين	محيى الدين مزيد
٥٢٧- أقدم لك: كافكا	ديفيد زين ميروفتس وروبرت كرمب	جمال الجزيرى
٥٢٨- أقدم لك: تروتسكى والماركسية	طارق على وفِلْ إيفانز	جمال الجزيرى
٥٢٩- بدائع العلامة إقبال فى شعره الأردى	محمد إقبال	حازم محفوظ وحسين نجيب المصرى
٥٣٠- مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية	رينيه جينو	عمر الفاروق عمر

٥٣١-	ما الذي حَدَثَ في «حَدَث» ١١ سبتمبر؟	جاك دريدا	صفاء فتحي
٥٣٢-	المغامرُ والمستشرق	هنري لورنس	بشير السباعي
٥٣٣-	تعلُّم اللغة الثانية	سوزان جاس	محمد طارق الشرقاوي
٥٣٤-	الإسلاميون الجزائريون	سيڤرين لابا	حمادة إبراهيم
٥٣٥-	مخزن الأسرار (شعر)	نظامي الكنجوي	عبدالعزيز بقوش
٥٣٦-	الثقافات وقيم التقدم	صمويل هنتنجتون ولورانس هاريزون	شوقي جلال
٥٣٧-	للحب والحرية (شعر)	نخبة	عبدالغفار مكاوي
٥٣٨-	النفس والآخر في قصص يوسف الشاروني	كيت دانيلر	محمد الحديدي
٥٣٩-	خمس مسرحيات قصيرة	كاريل تشرشل	محسن مصيلحي
٥٤٠-	توجهات بريطانية - شرقية	السير رونالد ستورس	رءوف عباس
٥٤١-	هي تتخيل وهلاوس أخرى	خوان خوسيه مياس	مروة رزق
٥٤٢-	قصص مختارة من الأدب اليوناني الحديث	نخبة	نعيم عطية
٥٤٣-	أقدم لك: السياسة الأمريكية	باتريك بروجان وكريس جرات	وفاء عبدالقادر
٥٤٤-	أقدم لك: ميلاني كلاين	روبرت هنشل وآخرون	حمدي الجابري
٥٤٥-	يا له من سباق محموم	فرانسيس كريك	عزت عامر
٥٤٦-	ريموس	ت. ب. وايزمان	توفيق علي منصور
٥٤٧-	أقدم لك: بارت	فيليب تودي وآن كورس	جمال الجزيري
٥٤٨-	أقدم لك: علم الاجتماع	ريتشارد أوزبرن وبورن فان لون	حمدي الجابري
٥٤٩-	أقدم لك: علم العلامات	بول كوبلي وليتاجانز	جمال الجزيري
٥٥٠-	أقدم لك: شكسبير	نيك جروم وبيرو	حمدي الجابري
٥٥١-	الموسيقى والعولمة	سايمون ماندي	سمحة الخولي
٥٥٢-	قصص مثالية	ميجيل دي ثربانتس	علي عبد الرءوف البمبي
٥٥٣-	مدخل الشعر الفرنسي الحديث والمعاصر	دانيال لوفرس	رجاء ياقوت
٥٥٤-	مصر في عهد محمد علي	عفاف لطفي السيد مارسوه	عبدالسميع عمر زين الدين
٥٥٥-	الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادي والعشرين	أناتولي أوتكين	أنور محمد إبراهيم ومحمد نصرالدين الجبالي
٥٥٦-	أقدم لك: جان بودريار	كريس هوروكس وزوران جيفتك	حمدي الجابري
٥٥٧-	أقدم لك: الماركيز دي ساد	ستوارت هود وجراهام كرولي	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٨-	أقدم لك: الدراسات الثقافية	زيودين ساردارويوررين ڤان لون	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٩-	الماس الزائف (رواية)	تشا تشاجي	عبدالحي أحمد سالم
٥٦٠-	صلصلة الجرس (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوي
٥٦١-	جناح جبريل (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوي
٥٦٢-	بلايين وبلايين	كارل ساجان	عزت عامر
٥٦٣-	ورود الخريف (مسرحية)	خاثينتو بينابينتي	صبري محمدي التهامي
٥٦٤-	عُش الغريب (مسرحية)	خاثينتو بينابينتي	صبري محمدي التهامي
٥٦٥-	الشرق الأوسط المعاصر	ديبورا ج. جيرنر	أحمد عبدالحميد أحمد
٥٦٦-	تاريخ أوروبا في العصور الوسطى	موريس بيشوب	علي السيد علي
٥٦٧-	الوطن المغتصب	مايكل رايس	إبراهيم سلامة إبراهيم
٥٦٨-	الأصولي في الرواية	عبد السلام حيدر	عبد السلام حيدر

٥٦٩- موقع الثقافة	هومى بابا	ثائر ديب
٥٧٠- دول الخليج الفارسى	سير روبرت هاى	يوسف الشارونى
٥٧١- تاريخ النقد الإسبانى المعاصر	إيميليا دى ثوليتا	السيد عبد الظاهر
٥٧٢- الطب فى زمن الفراعنة	برونو أليوا	كمال السيد
٥٧٣- أقدم لك: فرويد	ريتشارد ابيجناتس وأسكار زارتى	جمال الجزيرى
٥٧٤- مصر القديمة فى عيون الإيرانيين	حسن بيرنيا	علاء الدين السباعى
٥٧٥- الاقتصاد السياسى للعولمة	نجير وودز	أحمد محمود
٥٧٦- فكر تربانتس	أمريكو كاسترو	ناهد العشرى محمد
٥٧٧- مغامرات بينوكيو	كارلو كولودى	محمد قدرى عمارة
٥٧٨- الجماليات عند كيتس وهنت	أيومى ميزوكوشى	محمد إبراهيم وعصام عبد الرءوف
٥٧٩- أقدم لك: تشومسكى	جون ماهر وجودى جروتز	محيى الدين مزيد
٥٨٠- دائرة المعارف الدولية (مج١)	جون فيزر وبول سيترجز	بإشراف: محمد فتحى عبدالهادى
٥٨١- الحمقى يموتون (رواية)	ماريو بوزو	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٢- مرايا على الذات (رواية)	هوشنك كلشيرى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٣- الجيران (رواية)	أحمد محمود	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٤- سفر (رواية)	محمود دولت آبادى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٥- الأمير احتجاب (رواية)	هوشنك كلشيرى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٦- السينما العربية والأفريقية	ليزبيث مالكموس وروى آرمز	سهام عبد السلام
٥٨٧- تاريخ تطور الفكر الصينى	مجموعة من المؤلفين	عبدالعزيز حمدى
٥٨٨- أمنحوتپ الثالث	أنييس كابرول	ماهر جويجاتى
٥٨٩- تمبكت العجيبة (رواية)	فيلكس ديبوا	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٥٩٠- أساطير من الموروثات الشعبية الفنلندية	مخبة	محمود مهدى عبدالله
٥٩١- الشاعر والمفكر	هوراتيوس	على عبدالتواب على وصلاح رمضان السيد
٥٩٢- الثورة المصرية (جـ١)	محمد صبرى السوربونى	مجدى عبدالحافظ وعلى كورخان
٥٩٣- قصائد ساحرة	بول فاليرى	بكر الحلو
٥٩٤- القلب السمين (قصة أطفال)	سوزانا تامارو	أمانى فوزى
٥٩٥- الحكم والسياسة فى أفريقيا (جـ٢)	إكوادو بانولى	مجموعة من المترجمين
٥٩٦- الصحة العقلية فى العالم	روبرت ديجارليه وآخرون	إيهاب عبدالرحيم محمد
٥٩٧- مسلمو غرناطة	خوليو كاروباروخا	جمال عبدالرحمن
٥٩٨- مصر وكنعان وإسرائيل	دونالد ريدفورد	بيومى على قنديل
٥٩٩- فلسفة الشرق	هرداد مهرين	محمود علاوى
٦٠٠- الإسلام فى التاريخ	برنارد لويس	مدحت طه
٦٠١- النسوية والمواطنة	ريان ڤوت	أيمن بكر وسمر الشيشكلى
٦٠٢- ليوتار نحو فلسفة ما بعد حداثية	چيمس وليامز	إيمان عبدالعزيز
٦٠٣- النقد الثقافى	آرثر أيزابرجر	وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسى
٦٠٤- الكوارث الطبيعية (مج١)	باتريك ل. آبوت	توفيق على منصور
٦٠٥- مخاطر كوكبنا المضطرب	إرنست زيبروسكى (الصغير)	مصطفى إبراهيم فهمى
٦٠٦- قصة البردى اليونانى فى مصر	ريتشارد هاريس	محمود إبراهيم السعدنى

٦٠٧- قلب الجزيرة العربية (جـ١)	هارى سينت فيلبى	صبرى محمد حسن
٦٠٨- قلب الجزيرة العربية (جـ٢)	هارى سينت فيلبى	صبرى محمد حسن
٦٠٩- الانتخاب الثقافى	أجنر فوج	شوقى جلال
٦١٠- العمارة المدجنة	رفائيل لوبث جوثمان	على إبراهيم منوفى
٦١١- النقد والأيديولوجية	تيرى إيجلتون	فخرى صالح
٦١٢- رسالة النفسية	فضل الله بن حامد الحسينى	محمد محمد يونس
٦١٣- السياحة والسياسة	كولن مايكل هول	محمد فريد حجاب
٦١٤- بيت الأقصر الكبير(رواية)	فوزية أسعد	منى قطان
٦١٥- عرض الأحداث التى وقعت فى بغداد من ١٩٩٧ إلى ١٩٩٩	أليس بسيرينى	محمد رفعت عواد
٦١٦- أساطير بيضاء	روبرت يانج	أحمد محمود
٦١٧- الفولكلور والبحر	هوراس بيك	أحمد محمود
٦١٨- نحو مفهوم لاقتصاديات الصحة	تشارلز فيلبس	جلال البنا
٦١٩- مفاتيح أورشليم القدس	ريمون استانبولى	عابدة الباجورى
٦٢٠- السلام الصليبى	توماش ماستناك	بشير السباعى
٦٢١- النوبة المعبر الحضارى	وليم ى. آدمز	فؤاد عكود
٦٢٢- أشعار من عالم اسمه الصين	أى تشينغ	أمير نبيه وعبدالرحمن حجازى
٦٢٣- نوادر جحا الإيرانى	سعيد قانعى	يوسف عبدالفتاح
٦٢٤- أزمة العالم الحديث	رينيه جينو	عمر الفاروق عمر
٦٢٥- الجرح السرى	جان جينيه	محمد برادة
٦٢٦- مختارات شعرية مترجمة (جـ٢)	نخبة	توفيق على منصور
٦٢٧- حكايات إيرانية	نخبة	عبدالوهاب علوب
٦٢٨- أصل الأنواع	تشارلس داروين	مجدى محمود المليجى
٦٢٩- قرن آخر من الهيمنة الأمريكية	نيقولاس جويات	عزة الخميسى
٦٣٠- سيرتى الذاتية	أحمد بللو	صبرى محمد حسن
٦٣١- مختارات من الشعر الأفريقى المعاصر	نخبة	بإشراف حسن طلب
٦٣٢- المسلمون واليهود فى مملكة فالنسيا	نولورس برامون	رانيا محمد
٦٣٣- الحب وفنونه (شعر)	نخبة	حمادة إبراهيم
٦٣٤- مكتبة الإسكندرية	روى ماكلويد وإسماعيل سراج الدين	مصطفى البهنساوى

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٢١٣٢٩ / ٢٠٠٣

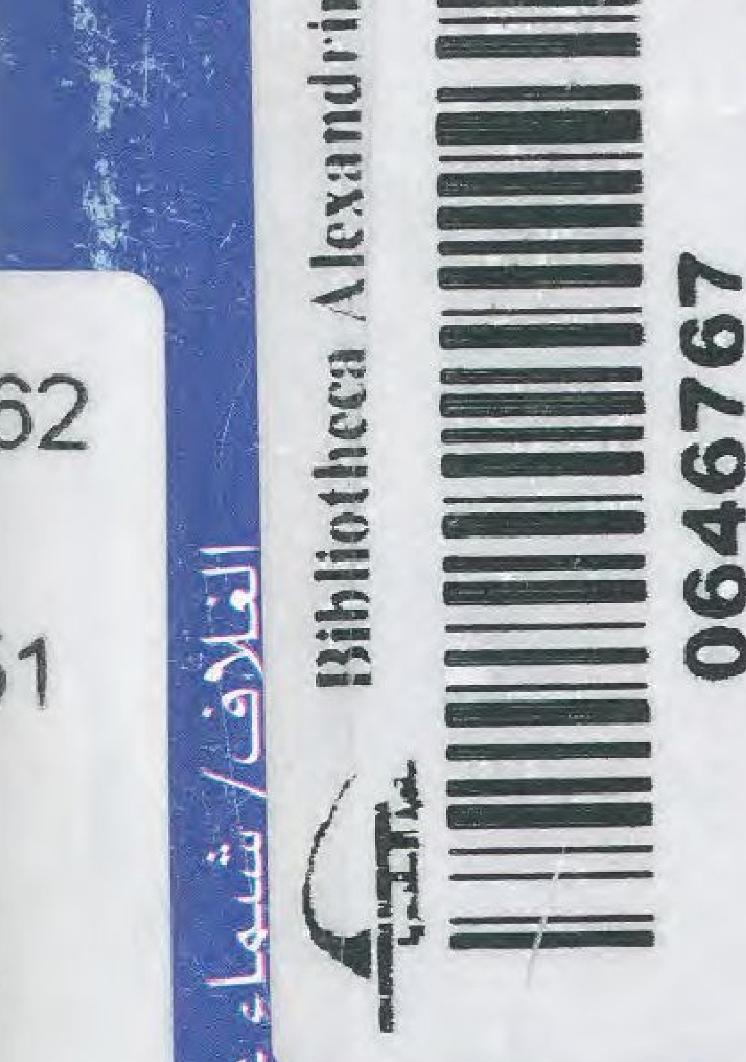




يستكشف هذا الكتاب واحداً من أعظم الآثار الثقافية للعالم القديم.

أصول "المكتبة المندثرة" للإسكندرية تكمن فى مكتبة بيشيثراتوس الكبرى فى أثينا، وهى مؤسسة حملت على عاتقها تجهيز الأجواء لإنشاء ثقافة طاغية، ألهمت الإسكندر الأكبر بناء مكتبة فى أهم مدن إمبراطوريته، حيث بسط تأثيره الثقافى والاستعمارى بطول العالم القديم وعرضه. كانت المكتبة تتضمن آلاف المخطوطات اليونانية، والعبرية، ومن أدب بلاد ما بين النهرين، وكذلك آثاراً أدبية وفنية من مصر القديمة.

يجمع روى ماكلويد فى هذا الكتاب خلاصة فكر مجموعة من العلماء المتميزين، حتى يعيدوا الحياة للمكتبة العظيمة التى انهارت سنة ٦٤٣، حيث يظهرون كيف أن السمعة المعاصرة للمكتبة ساعدت الإسكندرية على أن تكـ نقطة التقاء بين الثقافات اليونانية، والرومانية، واليهودية، التى جذبت العـ ورجال الدولة من شتى أنحاء العالم القديم.



الغلاف / شيماء عزيز